نغفر هذا العيب وإن كانت للثعالبي عنه معاذير أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطى على كل محمدة ، بل إنه ليشكك فى كل محمدة . وهذا العيب هو العصبية . وتظهر هذه العصبية فى ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين فى حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد بابا موضوعه «فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان . وذكر السبب فى ذلك» ويستهله بقوله «لم يزل شعراء عرب الشأم وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، فى الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول فى ذكر المتقدمين منهم ، ثم يعد جماعة من طبقة العتابى ومنصور النمرى ، وجماعة من طبقة الرقى وكشاجم والصنوبرى ، ثم يقول «فأما العصريون فمنهم أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم» ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب من تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه فى هذا الفصل

فالثعالبي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم فى كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم فى القسم الأول منه . لأن التقديم الذكرى لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ثم حين يريد أن يبين السبب فى ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها . فنسى سائر البلدان التى عقد الفصل عليها . ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس و [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أهل الشام . ونسى قرب [illegible] [illegible] وأن [illegible] العرب وهذا الاختلاط [illegible] [illegible] أهل الشام .

وأما [illegible] فى حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد للملوك كل [illegible] . وهو يثنى عليهم أوفر الثناء [illegible] وهو يسامح أن

يروى الضعيف من شعرهم فى حين أنه شرط ألا يروى إلا لب اللباب .
وهو أظهر فى هـذه الناحية حين يتحدث عن أبى الحسن سيف الدولة على
ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول فى مقدمة الـكتاب . فإن وقع فى خلال ما أكتبه البيت
والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود
به والمعنى لا يتم دونه . ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه . أو لأنه شعر
ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم
كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك بالانتساب إلى قائله . لا بكثرة طائله»[1] ولست
أريد أن أعرض عليك ما قاله فى سيف الدولة الحمدانى ، ولا ما قاله فى عضد
الدولة البويهى ، ولا ما قاله فى غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء .
ولـكنى أكتفى بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الـكتاب
سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجا إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون
قائل غير الجيد رئيسا أو وزيرا

والـكتاب — بعد هذا — أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس
الشعر العربى ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق
النتاج الأدبى ، فى القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجرى . وقد
خشى الثعالبى أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء
الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل
ذلك . فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع فى أخبار الشعراء الذى صنفه هارون بن المنجم . ورأى

(1) أنظر (ص ٧ ج ١)

طبقات الشعراء الذى صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز .
فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما . فصنف
« يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر » . والذى يؤخذ من مقدمته أنه صنفه
مرتين . أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله «فى[1] سنة أربع وثمانين وثلثمائة
والعمر فى إقباله . والشباب بمائه . فافتتحه باسم بعض الوزراء مجريا إياه مجرى
ما يتقرب به أهل الأدب . إلى ذوى الأخطار والرتب . ومقيما ثمار الورق
مقام نثار الورق . وكتبه فى مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه . ولا تتسع
لتوفيه شرطه . فأسرع كعجالة الراكب وقبسة العجلان . وأما المرة الثانية
فحين رأى نفسه تحاضر بأحوال كثيرة لما فيه ، فعمد إلى استئناف تأليفه . وزيادات
جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل
من نفوس الأدباء . وموقع من قلوب الفضلاء . كانت فيه . بعرج من
دثار آذانهم . ولم يصافح أذهانهم . فلذا أبلغه الذى يستحق به حسن الإحماد
ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد . ولم لا أبسط فيه عنان الكلام . وأرى
فى الإشباع والإتمام هدف المرام . فجعل يبنيه وينقضه . ويزيده وينقصه .
ويمحوه ويثبته . وينتسخه ثم ينسخه . وربما افتتحه ولا يختتمه . ويبتدئه
فلا يستتمه . والأيام تحجز . وتعد ولا تنجز . إلى أن أدرك عصر الأنس
والحنكة . وسن أولى الثبات والمسكة . فاختلس لمعة من ظلمة الدهر .
وانتهز رقدة من عين الزمان . واغتنم بعدا من أسباب النوائب . وحصة من
حصص الشوائب . واستمر فى تقرير هذه النسخة الأخيرة . وتحريرها من بين
النسخ الكثيرة . بعد أن غير ترتيبها . وجدد تبويبها . وأعاد ترصيفها ، وأحكم
تأليفها . وحصر ما فيه كمن يتأنق فى بناء داره التى هى عشه . وفيها
عيشه[2] » وكان من ثمرة هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه ، يسحر

---

(1) أنظر (ص ٤ ج ١)
(2) أنظر (ص ٥ و ٦ ج ١)

العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير فى الآفاق مسير الأمثال ، ويسرى فى البلاد مسرى الخيال ، ولقى أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء »[1] ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته . ولا سدّ الفراغ الذى قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم فى كل عصر : مايزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لايزال فى أول الطريق ، وهذا هو الذى وقع لأبى منصور فقد « وقع له على الأيام ماينخرط فى سلك اليتيمة ، ويصلح للالحاق به ، ولا يسوغ تأخيره عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لامترك لثمار خواطرهم ووسائط قلائدهم . وحينئذ يتردد فى أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فيبنى فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه فى نسختها الأولى ، يتردد فى ذلك لأن الكتاب قد سار فى الآفاق وطار ذكره فى الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه . يودعه ماشذ عنه من طرره وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوه عليه (١) » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذيول اليتيمه عده مؤلفات

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبى الحسن على بن الحسن الباخرزى المتوفى فى عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائه . وقد طبع فى حلب

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر . تأليف عماد الدين الإصفهانى المتوفى فى عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائه من الهجرة ، ويذكر حاجى خليفه

---

(١) من مطلع مقدمته لكتاب تتمة اليتيمة [illegible]

أنه فى عشر مجلدات وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبى المعالى سعد بن على الوراق المتوفى فى عام ٥٦٨ . وهو تذييل لدمية الباخرزى يقع فى مجلد واحد

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضا أن لأبى الحسن على بن زيد البيهقى كتابا على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقى الدين بن عبد القادر المصرى المتوفى فى عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصرا لليتيمة فى مقدار نصفها

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزا لأبى الحسن على بن بسام الشنترينى المتوفى فى عام ٥٤٢ من الهجرة . على تصنيف كتابه « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور فى كل شىء . فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « فى محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « فى محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبى مقسم إلى أربعة أقسام يبنى ابن بسام كتابه على أربعة أقسام . وكما جعل الثعالبى فصولا من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن فى حكمهم جعل ابن بسام الأمر فى كتابه على هذا الوجه .

ونحن نذكر هنا ما يذكره ابن بسام فى مقدمة الجزء الأول من الذخيرة وهو (يقلد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبى فى العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من شعرهم فى الأدب . وما يكون من إنتاجهم الأدبى خاص وتكون عنايته بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأحدى من عناية الثعالبى . فهو لا يكتفى بهذا الإطراء الذى لا غناء فيه والذى

تمتلئ به اليتيمة. وهو لا يكتفى برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبى ، ولكنه يعرض تاريخهم عرضا دقيقا مفصلا. يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التى أنشئت فى بيئتهم إلى مصادرها ». وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبى ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبى فيه . على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدى أن يتجنب وجوه النقص التى طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذى ألفه الثعالبى نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها . ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات فى مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربى فى هذا العصر بالجمل المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض . ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر فى النثر ، وحل بعضها الآخر « من نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم فى الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ، فلفق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع مارزقه . وعمله بجهد الخاطر . وكد الناظر وعرق الجبين . وتعب اليمين ، . . . »(١)

. .

وبعد . فأحسب أننى أسديت إلى قراء العربية يدا لا يجحدها أحد منهم بتحقيق نصوص هــــذا الكتاب . وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين . وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات . وبالإشارة

---

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للثعالبى »

أحيانا إلى المواطن التى يجد فيها القارئ ما لم يتعرض له الثعالبي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه . بل لقد ضبطت ذلك فى أصول الكتاب التى قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير مضبوط بالشكل . لأن دار الطباعة التى اختارها الناشر — مع الأسف المحض — لم يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفى للقيام بهذا العمل . وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء فى العمل على الوجه الذى أحب . وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذى تراه على أن يطول به أمد الانتظار .

هذا وأنت غير محتاج إلى الضبط بالشكل . لأن الشعر الذى تضمنه هذا الكتاب ليس من الشعر العويص الذى يكثر فيه الغريب . ولأنى ضبطت لك بالعبارة فى أسفل الصحائف ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء ؟

كتبه المعتز بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

فهرس الجزء الأول

من كتاب « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر »

لأبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى النيسابورى

ص

الباب الرابع

فى ملح شعر آل حمدان أمراء الشام ، وقضاتهم ، وكتابهم

الباب الخامس

ص

الباب السادس

الباب السابع

البـاب الثامن

الباب التاسع

ص

تمت الفهرس. والحمد لله أولا وآخراً

وصلاته وسلامه على صفوته من خلقه

يَتِيمَةُ الدَّهرِ

فى محاسن أهـــل العصر

لأبى منصور عبـد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي

المتوفى فى عام ٤٢٩ من الهجرة

الطبعة الأولى : فى عام ١٣٦٦هـ — ١٩٤٧م

القسم الأول : فى محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم

القسم الثانى : فى محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم

القسم الثالث : فى محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصبهان ، من وزراء الدولة الديلميه وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وماينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم

القسم الرابع : فى محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدوله السامانيه والغزنيه ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها

وقد وفى المؤلف فيه بما وعد . فجمع فيه من بدائع أعيان الفضل . ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيرا ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غرره . ولم تفض عذره [illegible] وما يبعد قدم العهد وتطاول المدة [illegible] من نسج صناع هؤلاء . وسبك أشباههم . وصوغ أمثالهم . [illegible] على حال [illegible] وأخلق [illegible] . وتضمن من [illegible] وملحهم [illegible] . وأطيب من [illegible] والأزهار [illegible] وألا يورد [illegible] وتكنه [illegible] مع [illegible] فى الإشارة إلى النظائر

(١) [illegible] مقدمة المؤلف ص ٦ و ٧ ج ١

والأخاسن والسّرقات »[1] .

وإن يكن فى هـذا الـكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس عـلى صاحبه ، فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض الاختيار له من الشعراء بما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم . بل إنه لم يعرض فى بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء . فالـكتاب -- فى نظر هؤلاء -- ناقص وفى مسيس الحاجة إلى سد هذا النقص ، ولعلهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة . ونحن نقرر أن هذا الـكتاب لم يوضع فى تأريخ الأدب والشعر . ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء . ولـكنه وضع فى صميم الأدب ولبابه . فهو يعنى بالقول أكثر مما يعنى بحال قائله . وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر فى الـكتاب واختارلهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئا بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما رويه لهم من الشعر العليا . ومحقق الـكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا عـكس العارى[*] من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهـل هذا الأدب من تصاريف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عنتا قد يشق عليه احتماله . وهذا لا نجد لبعض من نعرض لهم المؤلف ذكرا فى غير هذا الـكتاب . فهو يرى أن يكتفى بتحقيق النص تحقيقا يطمئن إليه . ويستطيع به أن يغمس القارئه الطمأنينة . وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين

على أن فى هـذا الـكتاب عيبا لا يريد أن يعفى صاحبه عنه . وهو فيما نعتقد [illegible] من ذلك العيب الذى قدمنا ذكره . وليس لنا أن

---

(1) انظر (ص ٧ ج ١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدىء به الكلام وختم . وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم (١)

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة . ونكتها قليلة . وأنوار الأقاويل موجودة . وثمارها عزيزة (٢) وأجسام النثر والنظم جمة . وأرواحهما نزرة (٣) . وقشورهما معرضة . ولبوبهما معوزة (٤) . ولما كان الشعر عمدة الأدب (٥) . وعلم العرب الذى اختصت به عن سائر الأمم . وبلسانهم جاء كتاب الله المنزل . على النبي منهم المرسل . صلوات الله عليه وآله وسلم (٦) ، كانت أشعار الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين . وأشعار المحدثين ألطف من أشعار المتقدمين . وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين . وكانت

(١) في [illegible] وصلى الله على خير نبي أرسل

(٢) الأنوار [illegible] بفتح النون وسكون الواو — وهو الزهر . أو [illegible] عزيزة [illegible] قليلة الوجود . وفي ج «غريرة» [illegible]

(٣) [illegible] قليلة

(٤) [illegible] ظهرته فظهر [illegible] . وأنت عارض [illegible] جمع لب — بضم اللام — وهو [illegible] غلب على ما يؤكل [illegible]

[illegible]

أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، لانتهائها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعانى استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيبا من كمال الصنعة ، ورونق الطلاوه .

وكذاك قد ساد النبي محمد كل الأنام وكان آخر مرسل[1]

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لايشينه الآن إلا سو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومج السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التى معها رواء الحداثة ، ولذه الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصوره بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها [2] ، ويشد أزرها ، ولا مجموعه فى مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها . وقد كنت تصديت لعمل ذلك فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر فى إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحته باسم بعض الوزراء مجريا إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوى الأخطار [3] والرتب ، ومقيما ثمار الورق ، مقام نثار الورق . وكتبته فى مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولاتتسع لتوفية شرطه . فارتفع

---

(1) فى م « ولذاك قد ساد »

(2) ينظم : يجمع . والشذر ـ بفتح الشين وسكون الدال ـ المتفرق المتبدد

(3) الأخطار : جمع خطر ـ بفتحتين ـ وأراد به القدر العالى والمرتبة الرفيعة

كمجالة الراكب ، وقبسه العجلان . وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمنتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ماشح عليه أبعس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان . فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره (١) وعدهم إياه من فرص العمر وغرره (٢) واهتزازهم لزهره ، واقتفارهم لفقره (٣) . وحين أعرته على الأيام بصرى ، وأعدت فيه نظرى ، تبينت مصداق ما رأيته في بعض الكتب : أن أول مايبدو من ضعف ابن آدم أنه لايكتب كتابا فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟ .

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى (٤) وزيادات حسنة عليه حصلت من أفواه الرواة لدى . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولا صافح أذهانهم . فلم لاأبلغ به المبلغ الذى يستحق حسن الإحماد . ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لاأبسط فيه عنان الكلام . وأرمى في الإسهاب (٥) والإتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقضه . وأ[illegible] وأ[illegible] [illegible] وأ[illegible] . وأ[illegible] [illegible] أنسخه . وربما أفتتحه ولا

---

(١) [illegible] جمع [illegible] [illegible] تركه السيل من الماء

(٢) [illegible] جمع غرة

(٣) [illegible] [illegible] الأثر ، و[illegible] [illegible] تبعه .
[illegible] ما انتظم من عظام الصلب
[illegible] من الكلام البليغ .

(٤) [illegible] كثيرة [illegible] فيه ووقعت

(٥) [illegible] والإكثار والمعنى واحد

أختمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز . وتعد ولا تنجز . إلى أن أدركت عصر السن والحنكة (١) ، وشارفت أوان الثبات والمسكة ، (٢) فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان . واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت فى تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة . بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلى فيها كمثل من يتأنق فى بناء داره التى هى عشه ، وفيها عيشه . فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها . ويستجدها على أنحاء عدة . وهيئات مختلفة . ويستضيف إليها مجالس كالطواوس(٣)،ويستحدث فيها كنائس كالعرائس ؛ ثم يقورها آخر الأمر هوراء توسع العين فرة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفورا له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل . ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلا وسبقهم يسيراً . مالم يأخذ الكتب المعمه

---

(١) الحنكة ـ بضم الحاء وسكون النون ـ التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل ـ مخففا من بابى نصر وضرب ، وبتشديد النون ـ إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكيما.

(٢) المسكة ـ بضم الميم ـ الرأى ، والعقل الوافر يرجع إليه

(٣) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندى معروف يضرب به المثل فى الحسن والخالة ، والطاووس أيضا : الرجل الجميل ، والأرض المخضره فيها كل ضرب من النبات

(٤) الكنائس : جمع كناس ـ بكسر الكاف ـ وهو هنا بيت الظبى الذى يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

غرره ، ولم تفتض عذره (١) ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره (٢) وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، وتتضمن من طرفهم (٣) وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، مالم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط فى هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام فى الإشارة إلى النظائر والأحاسن والسرقات ، وأخذ فى طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص | فصول | المترسلين ، يميل إلى جانب الاقتصار . فإن وقع فى خلال ماأكتبه البيت والبيتان ـ مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ـ فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لايتم دونه (٤) ولأن ماتقدمه (٥) أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أووزير أو من حضر ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق (٦) مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لابكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالا ونر الشعر مافال العبيد

(١) [illegible] ـ [illegible] وفتح ـ جمع عذرة [illegible] وهى البكارة

(٢) [illegible] ـ [illegible] الكتاب أزبره زبرا ـ من بابي ضرب ونصر ـ إذا كتبته .

(٣) [illegible] ـ جمع طرفة وهى الشىء [illegible]

(٤) [illegible] (٥) فى ج « أوأن مايتقدمه ـ إلخ »

(٦) [illegible] أثبتناه ، وينفق ـ بالنون ـ مضارع [illegible] ـ بنصر ـ نفقا ، إذا راجت ورغب فيها

وإن أخرت متقدما فعذرى فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ، كما قال الله تعالى : (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن)(١) وقال تعالى : (يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين) (٢) وكما قال حسان بن ثابت ، وذكر بنى هاشم [من الطويل] :

بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ، ومنهم أحمد المتخير

وكما قال الصلتان العبدى [من المتقارب] :

فلتنا أتنا مسلمون على دين صديقنا والنبي

وإن قدمت متأخراً فسبيله على ماقال إبراهيم الموصلى لمسرور ، وقد تقدمه فى المسير : إن تقدمتك كنت مطرفا لك (٣) ، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزنى للملك نوح فى مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام ، يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : فى محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثانى : فى محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

---

(١) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر فى الذكر على المؤمن

(٢) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود فى الذكر على الركوع .

(٣) طرقت لك ــ بتشديد الراء ــ فأنا مطرف لك : أى جعلت لك طريقا . وأصله قولهم : طرق فلان لابله .

القسم الثالث : فى محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : فى محاسن [أشعار] أهل خراسان وماوراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطارئين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها

وفيما لم يقع إلى من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدى ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفى الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القسم الأول

فى محاسن أشعار آل حمدان، وشعرائهم، وغيرهم من أهل الشام، وما يجاورها من مصر والموصل. ولمع من أخبارهم. وفيه عشرة أبواب

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشأم على شعراء سائر البلدان . وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشأم وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها . في الجاهلية والإسلام . والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم . فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي ، ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي (١) ومحمد بن زرعة الدمشقي . وربيعة الرقي . على أن في الطائيين (٢) اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وهما هما

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي . وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر ، وحدائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبريز القوم قديما وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم . وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط . ومداخلتهم إياهم . ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكا وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء هم بقية العرب . والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين

---

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترنا بأل . ودخول أل عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس . وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحتري .

أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل — انبعثت (١) قرائحهم فى الإجادة ، فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ماشاءوا .

وأخبرنى جماعة من أصحاب الصاحب أبى القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التى هى طريقة البحترى فى الجزالة والعذوبة ، والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستملى الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترا ضخم الحجم عليها (٢) . وكان لايفارق مجلسه ، ولايملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ماجمعه فيه على طرف لسانه ، وفى سن قلمه ، فطورا يحاضر به فى مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أويورده كما هو فى رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلام على تلك المعاهد إنها	تربعة وردى أو مهب شمالى
ليالى لم نحذر حزون قطيعة	ولم نمش إلا فى سهول وصال (٣)
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها	بخلب برق أو بطيف خيال

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنت المنازل زاد شوقى	ولا سيما إذا بدت الخيام (٤)
فمسح العين دون الحى شهر	ورجع الطرف دون السير عام

---

(١) «انبعثت» هذا جواب لما فى قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام — إلخ »

(٢) تقول : كسرت الكتاب على عدة أبواب — بتشديد السين — إذا كنت قد جعلته عدة أبواب . وفى نسخة ، حتى كتب دفترا — إلخ »

(٣) فى نسخة « ولم نمس » بالسين مهملة

(٤) « لاسيما » هى هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها فى قول الشاعر وهو من [illegible]

به [illegible] لاسيما عهد وفاء به من أعظم القرب

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقى الله بـلدة أنت فيها كدموعى عند اعتراض الفراق
وأرانيك فالصبا قـد ترقت يابروحى إلى أعالى الـتراق

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لافارقت عقـدة وده ولاحلت ماعمرت عن حفظ عهده
ولابد أن الدهر كاشـف أهله ويظهر للمولى موالاة عبده

وكان أبو بكر الخوارزمى فى ريعان عمره ، وعنفوان أمره . قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب فى مجمع الرواة والشعراء . ومطرح الغرباء الفضلاء . فأقام ما أقام بها مع أبى عبدالله بن خالويه ، وأبى الحسن الشمشـاطى ، وغيرهما من أئمة الأدباء ، وأبى الطيب المتنبى ، وأبى العباس النامى ، وغيرهما من فحول الشعراء (١) ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : مافتق قلبى ، وشحذ فهمى ، وصقل ذهنى ، وأرهف حد لسانى ، وبلغ هذا المبلغ بى ، إلا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية ، التى علقت بحفظى ، وامتزجت بأجزاء نفسى ، وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحداثة قشـيب ، وما كان أكثر ماينشدنى ويـكتبنى مما يضن به على غيرى من تلك الغرر التى تجرى مجرى السحر ، والملح التى يقطر منها ماء الظرف ، وأنا أكتبها فى أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله تعالى

---

(١) فى م « من فحولة الشعراء » والفحول والفحولة : جمع فحل ـ بفتح فسـكون ـ وأصله الذكر من كل حيوان ، ويطلق على الراوى ، وعلى الشاعر الذى يغلب كل شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

ومن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، تأخذ بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى ، فإنه جنى ثمارها ، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلى ، وتطبع بطبع البحترى

الباب الثانى

فى ذكر سيف الدولة أبى الحسن على بن عبدالله بن حمدان وسياق(١) قطعة من أخباره ، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكا وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة . وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم وكان رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، غرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور ، وسداد الأمور . وكانت وقائعه فى عصاة العرب تكف بأسها ، وتنزع لباسها ، وتفل أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفى الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار . وتحسم شرهم المثار . وتحسن فى الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه

---

(١) انظر ترجمة سيف الدولة فى ابن خلكان ١ : ٣٦٦ [illegible]

(١) فى [illegible]

(٢) [illegible] إذا منعه وصرفه عنه [illegible]

لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ـ بعد الخلفاء ـ ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ماينفق لديها . وكان أديبا شاعرا محبا لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ، فلو أدرك ابن الرومى زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزهم مداحهم   هز الكماة عوالى المران(١)
كانو إذا امتدحوا رأوا مافيهم   ملأريحية منهم بمكان (٢)

وكان كل من أبى محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبى الحسن على بن محمد الشمشاطى ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت ، كقول أبى الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليلى ، إنى لا أرى غير شاعر   فلم منهم الدعوى ومنى القصائد (٣)

---

(١) العوالى : جمع عالية ، وهى أعلى القناة ، أو رأس القناة الذى يلي السنان . والمران ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ شجر باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) « ملأريحية » أراد من الأريحية ، والعرب تحذف نون « من » الجارة إذا اضطرت إلي ذلك فى الشعر ، ومنه قول ذى الأصبع العدوانى :

أجعل مالى دون الدنا غرضا   وما وهى ملأمور فانصدعا

أراد « من الأمور » فحذف النون وهمزة الوصل ، وقد استعمل أبو الطيب المتنبي فى شعره مثل ذلك ، وذلك فى قوله :

نحن قوم ملجن فى زى ناس   فوق طير لها شخوص الجمال

أراد « من الجن » فحذف نون من وألف الوصل من « الجن » . وهذا كثير فى شعر العرب المحتج بشعرهم (أنظر شرحنا على شرح الأشمونى : ٣ ، ٣٨٧)

(٣) هذه الأبيات والتى بعدها فى الديوان (١ : ٢٧١ - ٢٧٥)

فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد
له من كريم الطبع فى الحرب منتض ... ومن عادة الإحسان والصفح غامد
ولما رأيت الناس دون محله ... تيقنت أن الدهر للناس ناقد

ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا ... لمى شفتيها والثدى النواهد (١)
تبكى عليهن البطاريق فى الدجى ... وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الإقدام أنك فيهم ... على القتل مرموق كأنك شاكد (٢)
وأن دما أجريته بك فاخر ... وأن فؤاداً رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الأعمار مالو حويته ... لهنئت الدنيا بأنك خالد
فأنت حسام الملك والله ضارب ... وأنت لواء الدين والله عاقد
أحبك ياشمس الزمان وبدره ... وإن لامنى فيك السهى والفراقد
وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك بارد

وكقول السرى بن أحمد الموصلى [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم النهار ... أراحتك السحاب أم البحار
خلقت منية ومنى فأضحت ... تمور بك البسيطة أو تمار
تحلى الدين أو تحمى حماه ... فأنت عليه سور أوسوار
سيوفك من شكاة الثغر برء ... ولكن للعدى فيها بوار

(١) اللمى : سمرة محبوبة فى الشفة . وهو فاعل حماها

(٢) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطى

وكذاك الغمام الجون يسرى وفى أحشائه ماءٌ ونار (١)
يمين من سجيتها المنـــايا ويسرى من عطيتها اليسار (٢)
حضرنا والملوك له قيـام تغض نواظراً فيها انكسار
وزرنا منـه ليث الغاب طلقا ولم نر قبـــله ليثا يزار
فكان لجوهر المجد انتظام وكان لجوهر المدح انتثار
فعشت مخيرا لك فى الأماني وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيف وجارك للربيع الطلق جار

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشدة ما أراه فيك أم كرم تجود بالنفس والأرواح تصطلم
يا باذل النفس والأموال مبتسما أما يهولك لا موت ولا عدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السلامة من وقع القنا تصم (٣)
نشدتك الله لا تسمح بنفس علا حياة صاحبها تحيا بها الأمم
إذا لقيت رقاق البيض منفردا تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدى بنفسك أقواما صنعتهمو وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يفاضل من تلقى القتال به وليس يفضل عنك الخيل والبهم (٤)
تضن بالطعن عنا ضن ذى بخل ومنك فى كل حال يعرف الكرم

(١) الجون : يطلق على الأبيض وعلى الأسود . وإذا كان الغيم أسود فهو ممتلىء بالمطر

(٢) فى ج . يسرى من سجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار

(٣) الجحفل : الجيش الجرار . والقنا : جمع قناة وهى من [illegible] حرب ونصم . مضارع وصمه إذا عابه

(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت . والبهم جمع بهمة . وهى [illegible] سلاحه وأدواته . يريد : إذا كنت أنت تفنى جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه . فجيشك الذى أخرجته معك تلتقى به [illegible] من فرسانه كما تعتقد

لا تبخلن على قوم إذا قتلوا ... أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبست ما لبسوا أركبت ما ركبوا ... عرفت ما عرفوا علمت ما علموا
هم الفوارس فى أيديهم أسل ... فإن رأوك فأسد والقنا أجم (١)

وكقول أبى العباس بن محمد النامى [من الوافر] :

خلقت كما أرادتك المعالى ... فأنت لمن رجاك كما يريد
عجيب أن سيفك ليس يروى ... وسيفك فى الوريد له ورود (٢)
وأعجب منه رمحك حين يسقى ... فيصحو وهو نشوان يميد (٣)

وكقول أبى الفرج السغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضن الغمام غمام ... وعزمك إن فل الحسام حسام
فهذا يبين الرزق وهو ممنع ... وذاك يرد الجيش وهو لهام
ومن طلب الأعداء بالمال والظبا ... وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبى الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسحاب فما ... أنصف بالحكم بين شكلين
أنت إذا جدت ضاحك أبدا ... وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبى نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن يدعيك العرب واحدها ... يامن ترى قدميه ضنة العرب
من يكن لك وجه سنى وجههم ... عند العيان فليس الصفر كالذهب (٤)

---

(١) الأسل: الرماح، واحدته أسلة الرمح. والأجم: جمع أجمة، وهى الغابة تكون مأوى السباع
(٢) ليس يروى: أراد أنه ظل صاديا على كثرة ما يشرب من دم الأعداء
(٣) [illegible] تجرى و[illegible] تضطرب يمينا وشمالا
(٤) الصفر: [illegible] النحاس الأصفر

وإن يكن لك نطق مثل نطقهم فليس مثل كلام الله فى الكتب

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض . فتؤرخ بها أيام المجد . وتخلد فى صحائف حسن الذكر .

***

فصل فى انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثنى أبو الحسن على بن محمد العلوى الحسينى الهمدانى الوصى ، قال : كنت واقفا فى السماطين بين يدى سيف الدولة بحلب ، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابى رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب فى الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت على وهذه حلب قد نفد الزاد وانتهى الطلب

بهذه تفخر البلاد وبالأمير تزهى على الورى العرب

وعبدك الدهر قد أضر بنا إليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة « أحسنت ، ولله أنت ! » . وأمر له بمائتى دينار

وحكى ابن لبيب غلام أبى الفرج الببغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات فى كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته . فأمر يوما لأبى الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير فى حرم نرتع بين السعود والنعم

أبدع من هذه الدنانير لم يجر قديما فى خاطر الكرم

فقد غدت باسمه وصورته فى دهرنا عوذة من العدم(١)

فزاده عشرة أخرى

وكان أبو فراس يوما بين يديه فى نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : أيكم يجيز قولى ، وليس له إلا سيدى (يعنى أبا فراس) [من الخفيف] :

(١) العوذة — بضم العين — ما يعلق على الصبي من التمائم ليعيذه العين

لك جسمى تعله فدمى لم تحله (١)
لك من قلبى المكا ن فلم لا تحله

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكا فلى الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعة بمنبج تغل ألفى دينار .

واستنشد سيف الدولة يوما أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من الطويل]:

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم

وكان معجبا بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها . فلما بلغ قوله فيها :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتاه [من الطويل] :

كأنى لم أركب جوادا للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين . وكان ينبغى لامرىء القيس أن يقول .

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم

(١) تعله : تصيبه بالعلة ، بسبب الهجر والصد

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال : أيدالله مولانا ! إن صح أن الذى استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه . فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء . وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى — وهو الموت — ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم . لأجمع بين الأضداد فى المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة وتخت من ثياب مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهى [من الكامل] :

لم يغد شكرك فى الخلائق مطلقاً إلا ومالك فى النوال حبيس
خولتنا شمسا وبدراً أشرقت بهما لدينا الظلمة الحنديس (١)
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف وغزالة هى بهجة بلقيس

---

(١) الحنديس : أصله الحندس — بكسر الحاء والدال جميعا — فأشبعت كسرة الدال فتولدت الياء ، والحندس : الليل الشديد الظلمة ، وتقول : ليل حندس ، وليلة حندسة ، وأسود حندس ، أى شديد السواد ، مثل قولهم : أسود حالك .

هذا ، ولم نقنع بذاك وهذه حتى بعثت المال وهو نفيس
أتت الوصيفة وهى تحمل بدرة وأتى على ظهر الوصيف الكيس
وبررتنا مما أجادت حوكه مصر ، وزادت حسنه تنيس [١]
فغدا لنا من جودك المأكول والـ مشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا فى لفظه « المنكوح » ، فليست مما يخاطب بها الملوك . وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابى ، قال : طلب منى رسول سيف الدولة ـ وكان [قد] قدم إلى الحضرة ـ شيئا من شعرى ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعته أياما ، ثم ألح على وقت الخروج [٢] فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ، وهى [من الكامل] :

إن كنت خنتك فى الأمانة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا فى العلا وجحدته فى فضله التوحيدا
قسما لو انى حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لى كيساً بختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمى ، وفيه ثلاثمائة دينار .

***

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبى [من الكامل] :

(١) فى أكثر النسخ « وحبوتنا مما أجادت حوكه » والحوك : النسج . حاك الثوب يحوكه حوكا وحيا كا وحياكة . وتنيس : مدينة قديمة بمصر شهرت بالنسج .

(٢) فى حـ « وقت الوداع » .

ياسيف دولة ذى الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سمى
أو ما ترى صفين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكر الغربى
فكأنه جيش ابن حرب رعته حتى كأنك يا على على (١)

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذأب البهم واغتدت بها أذؤب البيداء وهى قساور (٢)
فثقف منآد ، وأصلح فاسد وذلل جبار ، وأذعر ذاعر (٣)

وكان ظهر رجل فى الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ(٤) السير حتى لحقه فى اليوم الثالث بنواحى دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف فى أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل ، وبين يديه رأس الخارجى على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك

---

(١) ابن حرب : معاوية بن أبى سفيان ، واسم أبى سفيان حرب بن أمية وعلى المشبه به هو على بن أبى طالب ، رضي الله عنهم ! وكان فى صفين وقعة بين جيشي على ومعاوية انهزم فيها جيش معاوية .

(٢) البهم — بفتح الباء وسكون الهاء — صغار أولاد الضأن . و « استذأب البهم » صارت لها طباع الذئاب ، والأذؤب : جمع ذئب ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٣) ثقف : قوم وعدل ، والمنآد : المنحنى المنعطف . وذلل : أخضع ويسر أمره ، والذاعر : الوصف من ذعره يذعره — من باب قطعه يقطعه — إذا خوفه وأفزعه ، وكل هـذه الجمل بمعنى أن الممدوح أعاد الأمن إلى نصابه وأصلح ما فسد بصنيع المهزوم . وفى م « وشرد ذاعر » .

(٤) تقول : « أغذ فلان السير » تريد أنه أسرع .

[من الطويل] :

وأنقذ من مس الحديد وثقله   أبا وائل . والدهر أجدع صاغر
وآب ورأس القرمطى أمامه   له جسد من أكعب الرمح ضامر

وهذا من أحسن ما قيل فى الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم فى مثل ذلك [1]] [من البسيط] :

وعاد لكنه رأس بلا جسد   يسرى ، ولكن على ساق بلا قدم [2]

وقال أبو الطيب فى خلاص أبى وائل [من المتقارب] :

ولو كنت فى أسر غير الهوى   ضمنت ضمان أبى وائل
فدى نفسه بضمان النضار   وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة   فجئن بكل فتى باسل
كأن خلاص أبى وائل   معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت   على البعد عندك كالقائل
فلبيته بك فى جحفل   له ضامن وبه كافل
وعدت إلى حلب ظافراً   كعود الحلى إلى العاطل

وكان سيف الدولة اصطنع بنى كلاب . وأدناهم ، وآمن سربهم [3] . فقهروا العرب وعلت كلمتهم . إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته [4] . فأسرى

(١) ما بين الحاصرتين سقط من ج .

(٢) فى ح « يمشى ولكن على ساق بلا قدم »

(٣) يقال « فلان آمن فى سربه » بكسر السين وسكون الراء ـ قال جار الله فى الأساس « آمن فى حرمه وعياله » وهو مستعار من سرب الظباء والقطا والبقر . أى جماعتها

(٤) أحفظته : أغضبته وأحنقته

إليهم . وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن ، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعدن كما أخذن مكرمات عليهن القلائد والملاب[١]
يثنك بالذى أوليت شكرا وأين من الذى تولى الثواب ؟
وليس مصيرهن إليك شينا ولا فى صونهن لديك عاب
ولا فى فقدهن بنى كلاب إذا أبصرن غرتك اغتراب
وكيف يتم بأسك فى أناس تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجانى عتاب

هذا كلام ما لحسنه غاية .

وعين المخطئين هم ، وليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادى ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب مولده دلال وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العذاب

كأنما اقتبسه من قول الله سبحانه : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) [٢]
[ونحو من هذا قول زياد فى خطبته البتراء « والله لآخذن المحسن بالمسىء »] [٣]

ولو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

وما أحسن ما كنى عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

---

(١) الملاب ـ بفتح الميم بزنة السحاب ـ كل عطر مائع ، وهو فارسي الأصل
(٢) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف
(٣) مابين الحاصرتين ساقط من ج

ولكن ربهم أسرى إليهم   فما نفع الوقوف ولا الذهاب
كذا فليسر من طلب المعالى   ومثل سراك فليكن الطلاب

وكتب إليه أبو فراس فى تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار   محجبة لفظتها الحجب
دعاك ذووها بسوء الفعال   لما لا تشاء وما لا تحب
فوافتك تعثر فى مرطها   وقد رأت الموت من عن كثب[١]
وقد خلط الخوف لما طلعـ   ـت دل الجمال بذل الرعب
تسرع فى الخطو لا خفة   وتهتز فى المشى لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت   بدا لك منهن جيش لجب[٢]
ومازلت ، مذ كنت ، تأتى الجميل   وتحمى الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت   أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهن إذ لا حمى   وكنت أباهن إذ ليس أب
فولين عنك يفدينها   ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو   ت لا يقطع الله نسل العرب[٣]
أمرت وأنت المطاع الكريم   ببذل الأمان ورد النهب
وقد رحن من مهجات القلوب   بأوفر غنم وأغلى نشب
فإن هن يا بن الكرام السراة   رددن القلوب رددنا السلب

(١) كثب – بفتح الكاف والثاء جميعا – ههنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا اسماً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » كما فعل عمران بن حطان فى قوله :

ولقد أرى للرماح دريئة   من عن يمينى تارة وأمامى

(٢) جيش لجب – بفتح اللام وكسر الجيم – أى ذو جلبة وصياح – وذلك لكثرة عدده .

(٣) فى ح : لا قطع الله نسل العرب .

وقال أيضا يمدحه ويذكر نسوة بنى كلاب [من البسيط] :

قد ضج جيشك من طول القتال به ... وقد شكتك إلينا الخيل والإبل
وقد درى الروم مذ جاورت أرضهم ... أن ليس يعصمهم سهل ولا جبل[١]
فى كل يوم تزور الثغر لا ضجر ... يثنيك عنه ، ولا شغل ، ولا ملل
فالنفس جاهدة ، والعين ساهرة ، ... والجيش منهمك ، والمال مبتذل
توهمتك كلاب غير قاصدها ... وقد تكنفك الأعداء والشغل
حتى رأوك أمام الجيش تقدمه ... وقد طلعت عليهم دون ما أملوا
فاستقبلوك بفرسان أسنتها ... سود البراقع والأكوار والكلل
فكنت أكرم مسئول وأفضله ... إذا وهبت فلا من ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه . فمنها أنه أغار على زبطرة وعرقة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلا إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى بلدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و[قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعله أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنزيط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحى أنطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوى المراحل : لا ينتظر متأخرا ، ولا يلوى على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وأصابت الدمستق ضربة فى وجهه ، وأكثر الشعراء فى هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكل امرىء من دهره ما تعودا ... وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

---

(١) فى ج « مذ جاوزت أرضهم » محرفا

وأن يكذب الإرجاف عنه بضده   ويمسى بما تنوى أعاديه أسعدا
ورب مريد ضره ضر نفسه   وهاد إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها (١) :

سريت إلى جيحان من أرض آمد   ثلاثا ، لقد أدناك ركض وأبعدا
فولى وأعطاك ابنه وجيوشه   جميعا ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبت زرق الأسنة غيره   ولكن قسطنطين كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبل   تحف بطاريق به وزرازر (٢)
وولى على الرسم الدمستق هاربا   وفى وجهه عذر من السيف عاذر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه   وللشدة الصماء تقنى الذخائر (٣)
وقد يقطع العضو النفيس لغيره   وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث — وهى قلعة عظيمة الشأن — فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائرا بابنه قسطنطين فى عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلبا للدمستق ، فولى هاربا ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء فى هذه الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من [illegible]]

---

١ [illegible] من [illegible] الأبيات فى الديوان غير متصلة بما قبلها
٢ [illegible] ، وهو فى الأصل الذكى الخفيف
٣ [illegible] ، وهو ما تذخره لوقت الحاجة

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم[١]

وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم[٢]

تفيت الليالى كل شىء أخذنه ... وهن لما يأخذن منك غوارم

وذكر ولد الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن صهره ... وبالصهر حملات الأمير الغواشم

مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبا ... بما شغلتها هامهم والمعاصم[٣]

ويفهم صوت المشرفية فيهم ... على أن أصوات السيوف أعاجم

يسر بما أعطاك لا عن جهالة ... ولكن مغنوما نجا منك غانم[٤]

وقال السرى فى بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذى خفضت ... منه الحوادث حتى ذل جانبه

أعدته عدويا فى مناسبه ... من بعد ما كان رومياً مناسبه[٥]

فقد وفى عرضه بالبيد واعترضت ... طولا على منكب الشعرى مناكبه

مصغ إلى الجو أعلاه فان خفقت ... زهر الكواكب خلناها تخاطبه

كأن أبراجه من كل ناحية ... أبراجها والدجى وحف غياهبه[٦]

---

(١) فى م « بناها على ـ إلخ » وما أثبتناه موافق لما فى ج والديوان

(٢) التمائم : جمع تميمة ، وهى المعاذة تعلق على الصبي لتقيه العين

(٣) فى ج « لما شغلتها ـ إلخ » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان

(٤) فى م « لا من جهالة » وما أثبتناه موافق لما فى ه والديوان

(٥) « عدويا » منسوب إلى عدى ، وهو جد من أجداد سيف الدولة ؛ وانظر نسبه كاملا فى ترجمة ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن أبى الهيجاء أخى سيف الدولة فى ابن خلكان (٢ / ٢٤٩ النيل)

(٦) وحف ـ بفتح الواو وسكون الحاء ـ أصله الشعر الأسود ، والغياهب : جمع غيهب ، وهى ظلمة الليل

[ولأبى فراس فى ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسد بسيفه　　فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر]

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدنى أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقى المتيم لسيف الدولة فى وصف قوس قزح ، وهو أحسن ماسمعت فيه على كثرته [من الطويل] :

وساق صبيح للصبوح دعوته　　فقام وفى أجفانه سنة الغمض

يطوف بكاسات العقار كأنجم　　فمن بين منقض علينا ومنفض

وقدنشرت أيدى الجنوب مطارفا　　على الجو دكنا والحواشى على الأرض

يطرزها قوس الغمام بأصفر　　على أحمر فى أخضر تحت مبيض

كأذيال خود أقبلت فى غلائل　　مصبغة والبعض أقصر من بعض

وهـذا من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها السوقة . ونظيره قول ابن المعتز فى وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورق من فضة　　قد أثقلته حمولة من عنبر

وقول أبى فراس — وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس — [من الكامل] :

وكأنما [illegible] الملاء تحفها　　ألوان ذاك الروض والزهر

بسط من الديباج حمر فروزت　　أطرافهـــا بفراوز خضر

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والطل يقطر من زهور الـروض فى الشطين فصلا

كبساط وشى جردت　　أيدى القيون عليـــه نصلا

وأنشدنى أبو الحسن [illegible] قال : أنشدنى سيف الدولة لنفسه .

وأنا أراه من قوله فى صباه [من الوافر] :

أقبــله على جزع كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فأطمعه وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصــة فدنا ولم يلتــذ بالجرع

ينظرمعناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناق لنا وكم قبل مختلسات حــذار مرتقب
نقر العصافير ــ وهى خائفة من النواطير ــ يانع الرطب (١)

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياه على لطف محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غــيره . وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها . وقال [من الخفيف] :

راقبتنى العيون فيك فأشفقـ ـت ولم أخل قط من إشفاق
ورأيت العذول يحسدنى فيـ ـك مجداً يا أنفس الأعلاق (٢)
فتمنيت أن تكونى بعيداً والذى بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف فراق

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى ، قال : أنشدنى ابن خالويه بحلب لسيف الدولة [من الطويل] :

تجنى على الذنب والذنب ذنبه وعاتبنى ظلماً وفى شقه العتب (٣)

---

(١) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والثمار .
(٢) فى نسخة « ورأيت العدو » .
(٣) فى نسخة « وفى نفسه العتب » .

وأعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لى القلب ! [١]
إذا برم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنبا وإن لم يكن ذنب [٢]

يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفاء جهز جيشا سبقته طليعة من تجنى

وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدنى شاعر يعرف بالمتيم [٣] لسيف الدولة [من المديد] :

قد جرى فى دمعه دمه فإلى كم أنت تظلمه ؟
ردعنه الطرف منك فقد جرحتـه منك أسهمه [٤]
كيف يسطيع التجلد من خطرات الوهم تؤلمه ؟

وأنشدنى غير واحد له فى أخيه ناصر الدولة أبى محمد [عند وحشة جرت بينهما] [٥] [من الطويل] :

رضيت لك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بينى وبين أخى فرق
ولم يك بى عنها نكول ، وإنما تجافيت عن حقى فتم لك الحق
ولا بد لى من أن أكون مصلياً إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق [٥]

---

(١) برم يبرم برما ، مثل سئم يسأم سأما وضجر يضجر ضجرا ، فى الوزن والمعنى . وتجنى له ذنبا : أراد تكلف له ذنبا وتصنعه

(٢) المتيم : سبق للمؤلف فى مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الافريقى

(٣) فى ب « جرحته منه أسهمه » والضمير فى « أسهمه » يعود إلى اللحظ ، على الروايتين ، فان قرأت « منه » فالضمير للحظ أيضا

(٤) هذه الزيادة غير موجودة فى ب

(٥) المصلى : هو من فرسان السباق الذى يجىء بعد الفرس الأول ، والأول يسمى السابق

وأنشدت له أيضاً فى وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنما النار والرماد معاً وضوءها فى ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر أشهب

نظيرهما فى الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنما الجمر والرماد وقد كاد يوارى من ناره النورا
ورد جنى القطاف أحمر قد ذرت عليه الأكف كافورا

وقول أبى طالب المأمونى [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـقر فأضحت تخبو وطوراً تسعر(١)
وغدا الجمر والرماد عليـه فى قميص مذهب ومعنبر

* * *

(١) فى ب « أما ترى النار » بزيادة الهمزة ، وهى زائدة على الوزن . ومن سنن العرب أن يزيدوا فى أول البيت حرفا أو حرفين ، ونظيره قول النابغة الذبيانى فى بعض الروايات :

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود

بزيادة الهمزة فى « أمن » على وزن الكامل ، وهذا يسمى عند علماء العروض خزم بالخاء والزاى المعجمتين . و « تسعر » أصله تتسعر فحذف إحدى التاءين

الباب الثالث

فى ذكر أبى فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره*

وغرر أخباره وأشعاره

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة][1]

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلا ، وكرماً ونبلا ، ومجداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة . وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة . والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة . والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا فى شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بدئ الشعر بملك ، وختم بملك » يعنى امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز . ويتحامى جانبه فلا ينبرى لمباراته ، ولا يجترئ على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيبا له وإجلالا ، لا إغفالا وإخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبى فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه . ويصطحبه فى غزواته . ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين فى مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبى السيف والقلم فى خدمته .

* * *

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه

سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة ، وقد شخص

---

* تجد ترجمة أبي فراس فى وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ١٢٧ الحلبى) وقد راجعنا المختار من شعره على نسخة ديوانه المطبوعة فى بيروت عام ١٩١٠

(١) هذه الزيادة ساقطة من ب

من حضرته إلى منزله بمنبج كتاباً أصدره (١) : كتابي ـ أطال الله بقاء مولانا ! ـ من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفراً وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسما حة والعلا عنى محيد
إذ أنت سيدى الذى ربيتنى ، وأبى سعيد(٢)
فى كل يوم أستفيـ ـد من العلاء وأستزيد
ويزيد فى إذا رأيـ ـتك فى الندى خلق جديد

وكان سيف الدولة قلما ينشط لمجلس الأنس : لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبى فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلك الجوزاء أو أرفع وصدرك الدهناء بل أوسع(٣)
وقلبك الرحب الذى لم يزل للجد والهزل به موضع
رفه بقرع العود سمعا غدا قرع العوالى جل ما يسمع

---

(١) ذكر ذلك فى الديوان (ص ٥٨ بيروت) وفيه « أطال الله بقاء مولانا الأمير سيف الدولة » وليس فيه « من المنزل » وفيه « موقر الظهر والضمير وفاء وشكرا »

(٢) فى الديوان « إذ كنت »

(٣) الدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أن صدره مثلها فى الاتساع ، وفى الديوان (ص ٨٣) * محلك الجوزاء بل أرفع *

فبلغت هـــذه الأبيات المهلبي الوزير فأمر القيان [والقوالين] بحفظها وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيهـــا الملك الذى أضحت له جمل المناقب(١)
نتج الربيع محاســـناً ألقحنها غرر السحائب
راقت ورق نسيمها فحكت لنا صور الحبائب
حضر الشراب فلم يطب شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعلة وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسنى الدهر بتأخيرى عن الحضره
فما ألقى من العـــلة ما ألقى من الحسره

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [فى بعض الأعياد(٢)] وأكثروا . فكتب إليه أبو فراس [من الكامل] :

نفسى فداؤك قد بعثـ ت تعهدى بيد الرسول
أهديت نفسى ، إنما يهدى الجليل إلى الجليل
وجعلت ماملكت يدى صلة المبشر بالقبول
[لما رأيتك فى الأنا م بلا مثال أو عديل](٢)

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدتى التى أسطو بها ويدى إذا اشتد الزمان وساعدى
فرميت منك بغير ما أملته والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقى لبره أغضى على ألم لضرب الوالد

(١) فى م « جل المناقب » وما أثبتناه موافق لما فى ب
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من ب

وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستخلاف أبى فراس على الشام ، فكتب إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهز الرمح عامله وارتاح فى جفنه الصمصامة الخذم[١]
حقا لقد ساءنى أمر ذكرت له لولا فراقك لم يوجد له ألم
لا تشغلن بأمر الشام تحرسه إن الشآم على من حله حرم
وإن للثغر سوراً من مهابته صخوره من أعادى أهله القمم
لا يحرمنى سيف الدين صحبته فهى الحياة التى تحيا بها النسم[٢]
وما اعترضت عليه فى أوامره لكن سألت ، ومن عاداته «نعم»

وقال له [من الطويل] :

ومالى لا أثنى عليك وطالما وفيت بعهدى والوفاء قليل
وأوعدتنى حتى إذا ما ملكتنى صفحت ، وصفح المالكين جميل

وكتب إليه يعزيه [من السريع] :

لا بد من فقد ومن فاقد هيهات ما فى الناس من خالد[٣]
كن المعزى لا المعزى به إن كان لا بد من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

---

(١) الصمصامة : السيف ، والخذم : القاطع . وانظر الأبيات فى آخر إحدى قصائده بالديوان (ص ٦٩)

(٢) فى ب ، م * لا تحرمنى سيف الدين صحبته * وما أثبتناه موافق فى الديوان

(٣) أنظر الديوان (ص ١٤٠) ذكر مع هذين البيتين بيتا قبلهما ، وجعل صدر أول هذين عجزاً وعجزه صدراً

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه   على ، ولا عندى لأنعمه جحد [١]
سأسكت إجلالا لعلمك أننى   إذا لم تكن خصمى لى الحجج اللد

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران . وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ، فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجد   برغم شانيك مقبل [٢]
ترى لنفسك أمراً   وما يرى الله أفضل

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنو   ب وجدتها فينا كثيره [٢]
تكن عادتك الجميـ   ـلة أن تغض على بصيره

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهمارا   ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتى وتقر عينى   ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممن   تعز عليه فرقته اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدوا   لنفس أو يئوب . ولا قرارا
ستذكرنى إذا طردت رجال   دققت الرمح بينهم مرارا
وأرض كنت أملؤها رجالا   وجو كنت أرهجه غبارا [٣]

(١) ذكر فى الديوان (ص ١٢٩) هذين البيتين ، وفيه فى أولها « وما عندى لأنعمه زهد »

(٢) أنظر البيتين فى الديوان (ص ٦٠)

(٣) الرهج ـ بفتح الراء والهاء ـ الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار

إذا بقى الأمير قرير عين   فديناه اختيارا واضطرارا
يمد على أكابرنا جناحا   ويكفل عند حاجتها الصغارا
أرانى الله طلعته سريعاً   وأصحبه السلامة حيث سارا
وبلغه أمانيه جميعاً   وكان له من الحدثان جارا

وكتب إليه [من الوافر] :

ألا من مبلغ سروات قومى   إذا حدثن جمجمن الكلاما (١)
بأنى لم أدع فتيات قومى   وسيف الدولة الملك الهماما
شريت ثناءهن ببذل نفسى   ونار الحرب تضطرم اضطراما
ولما لم أجد إلا فرارا   أشد من المنية أو حماما
حملت على ورود الموت نفسى   وقلت لصحبتى موتوا كراما
وهل عذر وسيف الدين ركنى   إذا لم أركب الخطط العظاما
وأقفو فعله فى كل أمر   وأجعل فضله أبداً إماما
وقد أصبحت منتسباً إليه   وحسبى أن أكون له غلاما
أرانى كيف أكتسب المعالى   وأعطانى على الدهر الذماما
وربانى ففقت به البرايا   وأنشأنى فسدت به الأناما
فأحياه الإله لنا طويلا   وزاد الله نعمته دواما

ما أخرج من مخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببنى كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان قد حسن بلاؤه فى تلك الوقعة [من الوافر] :

---

(١) السروات : جمع سراة ، بفتح السين ، وهو جمع سرى ، أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كل شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الاسرار بالكلام وإخفاؤه .

ألم ترنا أعز الناس جارا وأمنعهم وأمرعهم جنابا(١)
لنا الجبل المطل على نزار حللنا النجد منه والهضابا (٢)
يفضلنا الأنام ولا نحاشي ونوصف بالجميل ولا نحابى
وقد علمت ربيعة بل نزار بأنا الرأس والناس الذنابى
ولما أن طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنا إذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجت آسادا غضابا
أسنته إذا لاقى طعانا صوارمه إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام إذا أصابت مراميها فراميها أصابا

هذا أحسن ما قيل فى معناه . وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبى . فكتب فى كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنأ الله مولانا كافى الكفاة هذه المناجح التى هى نتائج عزائمه ، وثمرات صرائمه . فما يرى عبده وصنيعته . وسائر من يكنفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاما إذا أصابت فراميها المصيب ، وما لها فى المحمدة نصيب » .

ولأبى فراس من قصيدة أولها (٣) [من الوافر] :

---

(١) أمرعهم جنابا : أخصبهم محلا وأكثرهم نعمة . وانظر الديوان (ص ٢٧)
(٢) فى ب « حللنا المجد » محرفا عما أثبتناه . والنجد : ما ارتفع من الأرض . والهضاب جمع هضبة ـ بفتح الهاء والضاد جميعا ـ وهى ما طال من منها
(٣) أنظر الديوان (ص ١٨) والبيتان الأولان من أربعة الأبيات الأولى ليست فيه . وفيه ثلاثة أبيات غيرهما يليها ثالث هذه الأبيات فما بعده

أيلحاني على العبرات لاحى وقد يئس العواذل من صلاحى
تملكني الهوى بعد التأبى وراضنى الهوى بعد الجماح
ألا يا هـذه هل من مقيل لضيفان الصبابة أو مراح
فلولا أنت ما قلقت ركابى ولا هبت إلى نجد رياحى

ومنها :

ومن جراك أوطنت الفيافى وفيك غذيت ألبان اللقاح
أصاحب كل خل بالتجافى وآسو كل داء بالسماح
إذا ما عن لى أرب بأرض ركبت له ضمينات النجاح
ولى عند العداة بكل أرض ديون فى كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء (١) [من الكامل] :

إنا إذا اشتد الزما ن وناب خطب وادلهم (٢)
ألفيت حول بيوتنا عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا بيض السيو ف وللندى حمر النعم
هـذا وهـذا دأبنا يودى دم ويراق دم

وله من قصيدة أولها (٣) [من الطويل] :

أقلى فأيام المحب قلائل وفى قلبه شغل عن اللوم شاغل

يقول فيها :

تطالبنى البيض الصوارم والقنا بما وعدت جدى فى المخايل (٤)

---

(١) اقرأ هذه الأبيات فى الديوان (ص ١٨) ضمن سبعة أبيات
(٢) فى الديوان « أنا من إذا اشتد الزمان ـ إلخ »
(٣) هذا المطلع وأغلب ما سيذكره من أبيات هذه القصيدة لا يوجد فى الديوان ، وانظره (ص ٢٥)
(٤) فى الديوان « بيض الصوارم » على الاضافة . والبيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه فتوسم جداه فيه الشجاعة والاقدام .

وواللّه ما قصرت فى طلب العلا ولكن كأن الدهر عنى غافل
مواعيد أيام تطالبنى بها مراءاة أزمان ودهر مخاتل
وأخلاف أيام متى ما انتجعتها حلبت بكيات وهن حوافل(١)
تدافعنى الأيام عما أريغه كما دفع الدين الغريم المماطل(٢)
خليلى ، شدا لى على ناقتيكما إذا ما بدا شيب من الفجر ناصل
فمثلى من نال المعالى بسيفه وربتما غالته عنها الغوائل
وما كل طلاب من الناس بالغ ولا كل سيار إلى المجد واصل
وإن مقيما منجح العز خائب وإن مريعاً خائب الجهد نائل
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه وإنى لها فوق السماكين جاعل
أصاغرنا فى المكرمات أكابر وآخرنا فى المأثرات أوائل
إذا صلت صولا لم أجد لى مصاولا وإن قلت قولا لم أجد من يقاول

وله من قصيدة أخرى (٣) [من الوافر] :

عذيرى من طوالع فى عذارى ومن رد الشباب المستعار
وثوب كنت ألبسه أنيق أجرر ذيله بين الجوارى
وما زادت عن العشرين سنى فما عذر المشيب إلى عذارى ؟

أخذه من قول أبى نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السن كم هى لم أجد للشيب عذراً للنزول براسى

(رجع) وما استمتعت من راعى التصابى إلى أن جاءنى داعى الوقار

---

(١) الاخلاف : الأثداء . والبكيات : جمع بكية ، وهى التى قل لبنها . والحوافل : الممتلئة لبناً

(٢) أريغه : أطلبه . ورواية صدر هذا البيت فى الديوان * ولكن دهراً دافعتنى صروفه *

(٣) اقرأها فى الديوان (ص ٧٠)

تلاعب بى على هوج المطايا خلائق لا تقر على الصغار [١]
ونفس دون مطلبها الثريا وكف دونها فيض البحار
وما يخنيك من هِمَم طوال إذا قرنت بأحوال قصار
عزيز حيث حط السير رحلى تداريني الأنام ولا أدارى
فأهلى من أنخت إليه عيسى وداري حيث كنت من الديار [٢]

وله [من الوافر] :

لنا بيت على عنق الثريا بعيد مذاهب الأطناب سامى
تظلله الفوارس بالعوالى وتفرشه الولائد بالطعام

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحى أنا لنا الجبل الممنع جانباه
يفىء الراغبون إلى ذراه ويأوى الخائفون إلى حماه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحث كأس ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان إلا لمجد أو لبأس أو لجود

وله[٣] [من الوافر] :

علونا جوشنا بأشد منه وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى ظننت البر بحراً من سلاح
وألسنة من العذبات حمر تخاطبنا بأفواه الرياح[٤]

---

(١) فى الديوان « لا تقر على الصغار » وأحسبه محرفا عما أثبتناه .
(٢) العيس : الابل ، واحدها أعيس أو عيساء
(٣) اقرأها فى الديوان (ص ٥٩)
(٤) فى الديوان « بأفواه الرماح »

وأروع جيشه ليــل بهيم وغرته عمود للصبــاح [١]
صفوح عنـد قدرته كريم قليل الصفح ما بين الصفاح
وكان ثباته للقلب قلبا وهيبته جناحا للجناح

وله من قصيدة [٢] [من الوافر] :

قتلت فتى بنى عمرو بن عبـد وأوسعهم على الضيفان ساحا
ولست أرى فساداً فى فساد يجر علـى فريقيه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلابا وشردها . فقصدت أبا فراس وهو ببالس فى خف من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة . فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت وفودهم إليه ، فخرج وتوسط فى أسرهم مع سيف الدولة ، وقال فى [٣] ذلك [من الوافر] :

سلى عنا سراة بنى كلاب ببالس عنـد مشتجر العوالى [٤]
اقيناهم بأسياف قصـار كفين مؤونة الأسل الطوال
فولى بابن عوسجة كثير وساع الخطو فى ضنك المجال
يرى البرغوث إذ نجــاه منا أجل عقيـلة وأحب مال
ندور به إماء بنى قريط وتسأله النساء عن الرجال
يقلن له السلامة خير غنم وإن الذل فى ذاك المقال
وعادوا سامعين انـا فعدنا إلى المعهود من شرف الفعال
ونحن متى رضينا بعد سخط أسونا ما جرحنا بالنوال

(١) فى الديوان « عمود من صباح »
(٢) اقرأها فى الديوان (ص ٧٤)
(٣) اقرأها فى الديوان (ص ١٥٠)
(٤) بالس : بلدة بشط الفرات ، والعوالى : جمع عالية ، وهى أعلى الرمح واشتجارها : اختلاطها

أخذه من قول أبي نواس :

وكلت بالدهر عينا غير غافلة بجود كفك تأسو كل ما جرحا

وله من قصيدة أولها(١) [من الوافر] :

وقوفك بالديار عليك عار وقد رد الشباب المستعار

ومنها :

وكم من ليلة لم أروَ منها حننت لها وأرقنى ادكار(٢)

عسفت بها عوارى الليالى أحق الخيل بالركض المعار(٣)

فبت أعل خمرا من رضاب لها سكر وليس لها خمار(٤)

إلى أن رق ثوب الليل عنا ونادت قم فقد برد السوار(٥)

ومنها :

إذا ما العز أصبح فى مكان سموت له، وإن بعد المزار

مقامى حيث لا أهوى قليل ونومى عند من أقلى غرار

أبت لى همتى وغرار سيفى وعزمى والمطية والقفار

ونفس لا تجاورها الدنايا وعرض لا يرف عليه عار

وقوم مثل من صحبوا كرام وخيل مثل من حملت خيار

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٢٣)

(٢) فى الديوان « جنيت بها »

(٣) فى الديوان « عشقت بها عوادى الليالى » وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا فى كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار

(٤) الخمار ـ بالضم ، بزنة الغراب ـ الصداع يعترى شارب الخمر

(٥) فى الديوان « وقالت قم »

وكم بلد شنناهن فيه ضحى وعلا منابره المغار
وكم ملك نزعنا الملك عنه وجبار به دمه جبار(١)

وله من أخرى(٢) [من الطويل] :

ولو نيلت الدنيا بفضل منحتها فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكنها الأيام تجرى بما جرت فيسفل أعلاها وتعلو الأسافل(٣)
لقد قل أن تلقى من الناس مجملا وأخشى قريبا أن يقل المجامل(٤)
ولست بجهم الوجه فى وجه صاحبى وإن سأل الأعمار ما هو سائل

وله(٥) [من الطويل] :

بخلت بنفسى أن يقال مبخل وأقدمت جبنا أن يقال جبان
وملكى بقايا ما وهبت مفاضة ورمح وسيف قاطع وسنان

وله [من الوافر] :

بأطراف المثقفة العوالى تفردنا بأوساط المعالى
وما تحلو مجانى العز يوما إذا لم تجنها سمر العوالى
عمالكنا مكاسبنا إذا ما توارثها رجال عن رجال
إذا لم تمس لى نار بأرض أبيت لنار غيرى غير صالى

(١) جبار ــ بضم الجيم ، بزنة شجاع ــ أى هدر لا ثأرله ، وفى الحديث « جرح العجماء جبار »
(٢) اقرأها فى الديوان (ص ٢٦)
(٣) فى الديوان « تجرى كما جرت »
(٤) فى ا . ب ، حـ « لقد قل من تلقى » وما أثبتناه عن الديوان
(٥) الديوان (١٣٠)

وله[1] [من الكامل] :

غيرى يغيره الفعال الجافى ويحول عن شيم الكريم الوافى[2]
لا أرتضى ودا إذا هو لم يدم عند الجفاء وقلة الإنصاف
تعس الحريص وقل ما يأتى به عوضا عن الإلحاح والإلحاف
إن الغنى هو الغنى بنفسه ولو انه عارى المناكب حافى
ما كل ما فوق البسيطة كافياً وإذا قنعت فبعض شىء كافى[3]
وتعاف لى طمع الحريص فتوتى ومروءتى وقناعتى وعفافى[4]
ما كثرة الخيل العتاق بزائدى شرفا ، ولا عدد السوام الضافى
خيلى - وإن قلت - كثير نفعها بين الصوارم والقنا الرعاف
ومكارمى عدد النجوم ، ومنزلى مأوى الكرام ومنزل الأضياف
لا أقتنى لصروف دهرى عدة حتى كأن خطوبه أحلافى[5]
شيم عرفت بهن مذ أنا يافع ولقد عرفت بمثلها أسلافى

وله [من الوافر] :

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً وأن نمسى وسائدى العراب[6]
وتربط فى مجالسنا المذاكى وتنزل بين أرحلنا الركاب[7]

---

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٨١)
(٢) فى الديوان « ويحول عن شيم الكرام الوافى »
(٣) فى الديوان « فكل شىء كاف »
(٤) فى الديوان * ويعاف لى طبع الحريص أبوتي *
(٥) فى الديوان * حتى كأن صروفه أحلافى *
(٦) العراب : الخيل العربية
(٧) المذاكى : جمع مذك ، وهو من الخيل ما تم له بعد فروحه سنتان ، وفى المثل « جرى المذكيات غلاب »

وهـذا العز أورثنـا العوالى وهـذا الملك ملـكنا الضراب
فقصرك إن حالا ملـكتنا لحال لا تذم ولا تعاب

وله(١) [من الطويل] :

ونحن أناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا فى المعالى نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر

* * *

الإخوانيات

قال وكتب بها إلى أخيه أبى الهيجاء [من المتقارب] :

حللت من المجـد أعلى مكان وبلغك الله أقصى الأمانى
فإنك ــ لاعدمتك العلا ! ــ أخ لا كإخوة هـذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالـكلام المعـانى

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لم أؤاخذك بالجفاء لأنى واثق منك بالوداد الصريح
فجميل العـدو غير جميـل وقبيح الصـديق غير قبيح

وله [من الكامل] :

ما كنت تصبر فى القديـ ـم فلم صـبرت الآن عنـا
ولقـد ظننت بك الظنو ن لأنه من ضن ظنا

وقال [من الكامل] :

أشفقت من هجرى فسـلـ ـطت الظنون على اليقين

(١) اقرأهما فى الديوان (ص٩٣) وهما من قصيدته المشهورة التى أولها
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر

وضننت بى فظننت بى والظن من شيم الضنين

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقد أبيت وجل ما أدعو به حتى الصباح وقد أقض المضجع
لا هم إن أخى لديك وديعتى أبدا ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبى العشائر وهو أسير بأرض الروم(١) [من الطويل] :

نفى النوم عن عينى خيال مسلم تأوب من أسماء والركب نوم(٢)
وخطب من الأيام أنسانى الهوى وأحلى بنى الموت والموت علقم(٣)
ووالله ما شيبت إلا علالة ومن نار غير الحب قلبى يضرم
فمن مبلغ عنى الحسين ألوكة تضمنها در الكلام المنظم(٤)
لذيذ الكرى حتى أراك محرم ونار الأسى بين الحشا تتضرم
وأترك أن أبكى عليك تطيرا وقلبى يبكى والجوانح تلطم

لم يسمع أحسن من هذا البيت فى التفجع بمنكوب .

وأظهر للأعداء فيك جلادة وأكتم ما ألقاه ، والله يعلم
وما أغربت فيك الليالى وإنها لتصدعنا من كل شعب وتثلم
طوارق خطب ماتغب وفودها وأحداث أيام تفذ وتتئم(٥)
فما عرفتنى غير ما أنا عارف ولا علمتنى غير ما كنت أعلم

(١) اقرأها فى الديوان (ص ١٠٨)

(٢) تأوب : رجع (٣) فى ب « وأحلى مذاق الموت »

(٤) الألوك ، والألوكة ، والمألك ، والمألكة : كل ذلك بمعنى الرسالة

(٥) تفذ : تأتى بالمصائب فذة ، أى مفردة . وتتئم : تأتى بها زوجا . وأصله قولهم « أتأمت المرأة » إذا ولدت توأما

ومنهـا :

أندعو كريمـا من يجود بمـاله ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم(١)
إذا لم يكن ينجي الفرار من الردى على حالة فالصبر أرجى وأحزم(٢)
لعمرى لقد أعذرت لو أن مسعدا وأقدمت لو أن الكتائب تقدم
وما عابك ابن السابقين إلى العلا تأخر أقوام وأنت مقدم
ومالك لا تلق بمهجتك القنـا وأنت من القوم الذين هم هم
لعاً يا أخى لامسك السوء ! إنه هو الدهر فى حاليه بؤسى وأنعم

وكتب إليه قصيدة أخرى منها(٣) [من الكامل] :

أأبا العشائر إن أسرت فطالمـا أسرت لك البيض الخفاف رجالا
لمـا أجلت المهر فوق رؤوسهم نسجت له حمر الشعور عقالا

ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه

يامن إذا حمل الحصان على الوجى قال اتخذ حبك التريك نعـالا(٤)
ما كنت نهزة آخذ يوم الوغى لو كنت أوجدت الكميت مجالا
أخذوك فى كبد المضايق غيلة مثل النسـاء تربب الرئبـالا(٥)

---

(١) فى الديوان « ومن يبذل النفس الكريمة »

(٢) هذا البيت فى الديوان من قصيدة أخرى كتب بها إلى أبى العشائر أيضا

(٣) اقرأها فى الديوان (ص ١٠٥)

(٤) الوجى : التعب . والحبك : جمع حبيكة ، وهى المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعالا له ، وذلك كناية عن قهره إياهم واستيلائه على عمائلهم

(٥) فى ا ، ب ، جـ « تحبب الرئبالا » وما أثبتناه عن الديوان . والرئبال : الأسد .

زلل من الأيام فيك يقيله ملك إذا عثر الزمان أقالا
بالخيل ضمرا والسيوف قواضبا والسمر لدنا والرجال عجالا

وقال [من البسيط] :

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلانى ليست مؤاخذة الإخوان من شانى
يجنى الخليل فأستحلى جنايته حتى أدل على عفوى وإحسانى
إذا خليلى لم تكثر إساءته فأين موقع إحسانى وغفرانى
يجنى على وأحنو صافحا أبدا لا شىء أحسن من حان على جانى

وقال [من الكامل] :

ما صاحبى إلا الذى من بشره عنوانه فى وجهه ولسانه
كم صاحب لم أغن عن إنصافه فى عشرة وغنيت عن إحسانه

وكتب فى وصف كتاب ورد عليه من صديق له(١) [من البسيط] :

ووارد مورد أنسا يؤكده صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت سحائبه منه على نزه تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطق جدد كالماء يخرج ينبوعا من الحجر
وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت أيدى الربيع بها بردا من الوشى أو ثوبا من الحبر

وقال لأبى الحصين القاضى [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترف وبفضل علمك أعترف
أنشدتنى فكأنما شققت عن در الصدف

---

(١) فى الديوان (ص ٨٣) ثلاثة أبيات فى هذا المعنى وعلى هذه القافية والروى كتب بها إلى أبي محمد بن أفلح ، وألفاظها تختلف قليلا عن ثانى وثالث وخامس هذه الأبيات

شعرا إذا ما قسته بجميع أشعار السلف
قصرن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنى عليك أبا حصين عاتب والحر يحتمل الصديق ويغفر
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرا إليه ، وفى المحافل أشكر

هكذا شرط الصداقة . لا كما حكاه أبو إسحاق الصابى فى قوله [من الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى سرا ، ويبدو الإنكار وسط النادى
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك فى الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع فى الروميات

قال [من الطويل] :

أرانى وقومى فرقتنا مذاهب وإن جمعتنا فى الأصول المناسب
فأقصاهم أقصاهم من مساءتى وأقربهم مما كرهت الأقارب
غريب وأهلى حيث ما كر ناظرى وحيد وحولى من رجالى عصائب
نسيبك من ناسبت بالود قلبه وجارك من صافيته لا المصاقب
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها وأهون من عاديته من تحارب
وما الذنب إلا العجز يركبه الفتى وما ذنبه إن حاربته المطالب
ومن كان غير السيف كافل رزقه فللذل منه ـ لا محالة ـ جانب

وقال [من البسيط] :

مالى أعاتب؟ مالى؟ أين يذهب بى؟ قد صرح الدهر لى بالمنع والياس[1]

---

(١) فى ا ، ب ، ج «لمن أعاتب» وما أثبتناه عن الديوان (ص ٨٤)

أبغى الوفاء بدهر لا وفاء له   كأنى جاهل بالدهر والناس

وقال(١) [من الطويل] :

تمنيتم أن تفقدونى ، وإنما   تمنيتم أن تفقدوا العـــز أصيدا

أما أنا أعلى من تعدون همة ؟   وإن كنت أدنى من تعدون مولدا

إلى الله أشكو عصبة من عشيرتى   يسيئون فى القول غيا ومتبدأ

وإن حاربوا كنت المجن أمامهم   وإن ضاربوا كنت المهند واليدا

وإن ناب خطب أو ألمت ملمة   جعلت لهم نفسى وما ملكت فدا

وقال [من الطويل] :

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا   أيا قومنا لا تقطعوا اليد باليـــد

فيا ليت دانى الرحم منا ومنكم   إذا لم يقرب بيننا لم يبعــد

عداوة ذى القربى أشد مضاضة   على المرء من وقع الحسام المهنـد

وقال [من الطويل] :

ويغتابنى من لو كفانى غيبه   لكنت له العين البصيرة والأذنا

وعندى من الأخبار مالو ذكرته   إذا قرع المغتاب من ندم [illegible]

وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلى لا أسوغ نفعه   فأفضل منه أن أرى غير فاضل

ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل   يجور على حوبائها حكم جاهل

الغزل والنسيب

[قال] [من الوافر] :

تبسم إذ تبسم عن أقاح   وأسفر حين أسفر عن [illegible]

وأتحفنى براح من رضاب   [illegible]

(١) قرأها فى الديوان ، ص [illegible]

فمن لألاء غرته صباحي ... ومن صهباء ريقته اصطباحي

وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظه لا من مدامته ... ومال بالنوم عن عينى تمايله
فما السلاف دهتنى ، بل سوالفه ... ولا الشمول ازدهتنى ، بل شمائله
ألوى بعزمى أصداغ لوين له ... وغال صبرى ماتحوى غلائله

وقال [من الكامل] :

من أين للرشأ الغرير الأحور ... فى الخد مثل عذاره المتحدر
قمر كأن بعارضيه كليهما ... مسكا تساقط فوق ورد أحمر

وقال [من مخلع البسيط] :

قد كان بدر السماء حسنا ... والناس فى حبه سواء
فزاده ربه عذاراً ... تم به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربنا قدير ... يزيد فى الخلق ما يشاء

وقال [من الطويل] :

وظبي غرير فى فؤادى كناسه ... إذا اكتنست عين الفلاة وحورها
فمن خلقه أجيادها وعيونها ... ومن خلقه عصيانها ونفورها

وقال [من البسيط] :

وشادن قال لى لما رأى سقمى ... وضعف جسمى والدمع الذى انسجما
أخذت دمعك من خدى ، وجسمك من ... خصرى ، وسقمك من طرفى الذى سقما

وقال [من الطويل] :

أساء فزادته الإساءة حظوة ... حبيب على ما كان منه حبيب
يعد على الواشيان ذنوبه ... ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيهـا الغازى الذى يغـ ـزو بجيش الحب جسمى
ما يقوم الأجر فى غز وك للروم بإثمى

وقال [من الكامل] :

وإذا يئست من الدنـــو رغبت فى فرط البعـاد
أرجو الشهادة فى هوا ك لأن روحى فى جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنى الرسول عن الجواب تظرفا ولئن كنى فلقد علمنـا ما عنى
قل يارسول ولا تحاش فإنه لا بد منـه أساء بى أم أحسنا
الذنب لى فيما جنـاه لأننى مـكنته من مهجتى فتمكنا

وقال [من الوافر] :

عدتنى عن زيارته عواد أقل مخوفهـا سمر الرماح
ولو أنى أطعت رسيس شوقى ركبت إليه أعناق الرياح

وقال(١) [من الخفيف] :

ياعسوفاً بالمستهام الشفيق وعنيفاً على الرفيق الرفيق
أسرق الدمع من نديمى بكأس فأحلى عقيانهـا بالعقيق

وقال [من مخلع البسيط(٢)] :

لطيرتى بالصـداع نالت فوق منـال الصداع منى
وجدت فيه اتفاق سوء صـدعنى مثل صـد عنى

وقال [من البسيط] :

ياليلة لست أنسى طيبها أبداً كأن كل سرور حاضر فيهـا
باتت وبت وبات الزق ثالثنـا حتى الصباح تسقينى وأسقيهـا
كأن سود عنافيـد بلمتهـا أهدت سلافتهـا خمراً إلى فيهـا

(١) ثانى هذين البيتين فى الديوان ١٣٤ ثالث ثلاثة أبيات
(٢) اقرأهما فى الديوان (ص ٧٥)

وقال [من الوافر] :

مسيء محسن طوراً وطوراً فما أدرى عدوى أم حبيبي
وبعض الظالمين وإن تناهى شهى الظلم مغتفر الذنوب

وقال [من الخفيف] :

قمر دون حسنه الأقمار وكثيب من النقا مستعار
وغزال فيه نفار ، وما ينـ ـكر من شيمة الظباء النفار
لا أعاصيه فى اجتراح المعاصى فى هوى مثله تطيب النار
قد حذرت الملاح دهراً ولكن ساقنى نحو حبه المقدار
كم أردت السلو فاستعطفتنى رقية من رقاك ياعيار

وقال [من الهزج] :

من السلوان فى عينيـ ـك آيات وآثار
أراها منك بالقلب وفى الأضلاع أبصار
إذا مابرد القلـ ـب فما تسخنه النار

وقال [من المجتث] :

يا معشر الناس هل لى مما لقيت مجير
أصاب غرة قلبى ذاك الغزال الغرير
فعمر ليلى طويل وعمر يومى قصير

وقال من الرمل :

أجملى يا أم عمرو زادك الله جمالا
لاتبيعنى برخص إن فى مثلى يغالى
[أنا إن جدت بوصل أحسن العالم حالا]

الأوصاف والتشبيهات

قال فى وصف الجسر [من الرجز] :

كأنما الماء عليه الجسر درج بياض خط فيه سطر
كأننا لما تهيا العبر أسرة موسى حين شق البحر

وجلس يوماً فى البستان البديع والماء يتدرج فى البرك ، فقال فى وصفه ، وكل واصف فإنما يشبه الموصوف بما هو من جنس صناعته ، أو بما يكثر رؤيته له [من الكامل] :

أنظر إلى زهر الربيع والماء فى برك البديع
وإذا الرياح جرت عليه فى الذهاب وفى الرجوع
نثرت على بيض الصفا ئح بيننا حلق الدروع

وقال فى وصف النار والفحم [من الكامل] :

لله برد ما أشد ومنظر ما كان أعجب
جاء الغلام بناره هوجاء فى فحم تلهب
فكأنما جمع الحلى فمحرق منه ومذهب
وكأنها لما خبت ما بيننا ند معشب

وقال [من الطويل] :

مددنا علينا الليل والليل راضع إلى أن تردى رأسه بمشيب
بحال ترد الحاسدين بغيظهم وتطرف عنا عين كل رقيب
إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه مبادى نصول فى عذار خضيب

وقال [من الرجز] :

وجلنار مشرف على أعالى شجره
كأن فى رءوسه أحمره وأصفره

قراضة من ذهب فى خرق معصفره

وقال فى جارية مسبية [من الكامل] :

وخريدة كرمت على آبائها زمناً . وعند سبائها لم تكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت كرها ، وكان صداقها للمقسم
راحت وصاحبها لعرس حاضر برضا الإله وأهلها فى مأتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبى [من الطويل] :

تبكى عليهن البطاريق فى الدجى وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام مابين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد

ولأبى فراس فى طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لما رأت أثر السنان بخده ظلت تقبله بوجه عابس
خلف السنان به مواقع لثمها بئس الخلافة للمحب البائس
حسن الثناء بقبح ما صنع القنا يوم الطعان بصحن خد الفارس

الحكمة والموعظه

قال [من الهزج] :

غنى النفس لمن يعقـ ـل، خير من غنى المال
وفضل الناس فى الأنفـ ـس ، ليس الفضل فى الحال

وقال [من الكامل] :

المرء نصب مصائب لا تنقضى حتى يوارى جسمه فى رمسه
فمؤجل يلقى الردى فى أهله ومعجل يلقى الردى فى نفسه(١)

وقال [من الكامل] :

أنفق من الصبر الجميل فإنه لم يخش فقراً منفق من صبره

(١) فى ب * فمؤجل يلقى الردى فى غيره *

والمرء ليس ببالغ فى أرضه كالصقر ليس بصائد فى وكره

وقال [من الكامل] :

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا مما يكون وعله وعساه
والدهر أقصر مدة مما ترى وعساك أن تكفى الذى تخشاه

وقال [من الهزج] :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وقال [من الطويل] :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائر
وهل ينفع الخطى غير مثقف وتظهر ، إلا بالصقال ، الجواهر
وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوق إليك سبيل
وإن هو لم يرشدك فى كل مسلك ضللت ، ولو أن السماك دليل

وقال [من الخفيف] :

لست بالمستضيم من هو دونى اعتداء . ولست بالمستضام
رب أمر عففت عنه اختياراً حذراً من أصابع الأيتام
أبذل الحق للخصوم إذا ما عجزت عنه قدرة الحكام

الروميات من غرر أبى فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم فى بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقى نصله فى فخذه .

وحصل مثخنا بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتطاولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل نجح رقيب من الآفات ، وقدكانت تصدر أشعاره فى الأسر والمرض واستزادة سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه، والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج ، وقلب شج ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكى سامعها ، وتعلق بالحفظ لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

ما للعبيد من الذى   يقضى به الله امتناع
ذدت الأسود عن الفرا   ئس ثم تفرسنى الضباع !

وقوله [من السريع] :

قد عذب الموت بأفواهنا   والموت خير من مقام الذليل
إنا إلى الله لما نابنا   وفى سبيل الله خير السبيل

ولما شقت نخذه عن نصل السهم الذى أصابه قال [من الطويل] :

فلا تصفن الحرب عندى ، فإنها   طعامى مذ بعت الصبا وشرابى
وقد عرفت وقع المسامير مهجتى   وشقق عن زرق النصول إهابى
ولججت فى حلو الزمان ومره   وأنفقت من عمرى بغير حساب

وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنة أسيراً   فلقد حللت بها مغيرا
ولقد رأيت النار تن   تهب المنازل والقصورا
ولقد رأيت السبى يجلـ   ـب نحونا حوا وحورا
من كان مثلى لم يبت   إلا أميرا أو أسيرا
ليست تحل سراتنا   إلا الصدور أو القبورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها (١) [من الطويل] :

دعوتك للجفن القريح المسهد   لدى ، وللنوم القليل المشرد

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٣١)

وما ذاك بخلا بالحياة وإنها لأول مبذول لأول مجتد
ولا زال عنى أن شخصا معرضاً لنبل العدا إن لم يصب فكأن قد
ولكننى أختار موت بنى أبى على سروات الخيل غير موسد
وآبى وتأبى أن أموت موسداً بأيدى النصارى موت أكمد أكبد
نضوت على الأيام ثوب جلادتى ولكننى لم أنض ثوب التجلد
فمن حسن صبر بالسلامة واعد ومن ريب دهر بالردى متوعدى
فمثلك من يدعى لكل عظيمة ومثلى من يفدى بكل مسود(١)
تشبث بها أكرومة قبل فوتها وقم فى خلاصى صادق العزم واقعد
فإن تفتدونى تفتدوا شرف العلا وأسرع عواد إليكم معود
يدافع عن أعراضكم بلسانه ويضرب عنكم بالحسام المهند(٢)
متى تخلف الأيام مثلى لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقلد
ولا وأبى ما ساعدان كساعد ولا وأبى ما سيدان كسيد
وإنك للمولى الذى بك أقتدى وإنك للنجم الذى بك أهتدى
وأنت الذى عرفتنى طرق العلا وأنت الذى أهديتنى كل مقصد
وأنت الذى بلغتنى كل غاية مشيت إليها فوق أعناق حسدى
فيا ملبسى النعمى التى جل قدرها لقد أخلقت تلك الثياب فجدد (٣)
ألم تر أنى فيك صافحت حدها وفيك شربت الموت غير مصرد(٤)
وفيك لقيت الألف زرقا عيونها بسبعين فيها كل أشأم أنكد

---

(١) في الديوان « ومثلك من يدعى لكل عظيمة »

(٢) فى الديوان « يطاعن عن أحسابكم »

(٣) أخلق الثوب : بلى . هذا أصح هذه العبارة .

(٤) مصرد . من التصريد . وهو تقليل العطاء . وسقى ما دون الرى

يقولون جنب عادة ما عرفتها شديد على الإنسان مالم يعود
فقلت أما والله ما قال قائل شهدت له فى الخيل ألأم مشهد
ولكن سألقاها فإما منية هى الظن أو بنيان عز مؤيد
ولم أدر أن الدهر من عدد العدا وأن المنايا السود يرمين عن يد

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التى به [من الطويل] :

مصابى جليل والعزاء جميل وظنى بأن الله سوف يديل[1]
جراح تحاماها الأساة مخافة وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسر أقاسيه وليل نجومه أرى كل شىء غيرهن يزول
تطول بى الساعات وهى قصيرة وفى كل دهر لا يسرك طول
تناسانى الأصحاب إلا عصابة ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإن الذى يبقى على العهد منهم وإن كثرت دعواهم لقليل
أقلب طرفى لا أرى غير صاحب يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أن المتارك محسن وأن خليلا لا يضر وصول

كأنه مأخوذ من قول المتنبى [من البسيط] :

إنا لفى زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إنعام وإفضال

(رجع)

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن إلى غير شاك للزمان وصول
أكل خليل أنكد غير منصف وكل زمان بالكرام بخيل
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوة أجاب إليها عالم وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه وخلى أمير المؤمنين عقيل
فيا حسرتى من لى بخل موافق أقول بشجوى مرة ويقول

---

(١) سوف يديل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم . وفى ا ، ب والديوان ٣٤ « سوف يزيل »

وإن وراء السر أما نكاؤها　على ، وإن طال الزمان ، طويل
فيا أما لا تعدمى الصبر ، إنه　إلى الخير والنجح القريب رسول[1]
ويا أمتا لا تحبطى الأجر ، إنه　على قدر الصبر الجميل جزيل
تأسى كفاك الله ما تحذرينه　فقد غال هذا الناس قبلك غول
لقيت نجوم الأفق وهى صوارم　وخضت سواد الليل وهو خيول
ولم أرع للنفس الكريمة خلة　عشية لم يعطف على خليل
ولكن لقيت الموت حتى تركته　وفيه وفى حد الحسام فلول
ومن لم يوق الله فهو ممزق　ومن لم يعز الله فهو ذليل
ومن لم يرده الله فى الأمر كله　فليس لمخلوق إليه سبيل

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل]

هل تعطفان على العليل　لا بالأسير ولا القتيل
بات تقلبه الأكـ　ـف سحابة الليل الطويل
فقد الصوف مكانه　وبكاه أبناء السبيل
وتعطلت سمر الرما　ح وأغمدت بيض النصول
يا فارج الكرب العظيـ　ـم وكاشف الخطب الجليل
كن يا قوى لذا الضعيـ　ـف ويا عزيز لذا الذليل
قربه من سيف الهدى　فى ظل دولته الظليل
لم أروَ منه ولا شفيـ　ـت بطول خدمته غليلى
والله حنت إلى درا　ه لقد حننت إلى وصول
لا بالقطوب ولا العبو　س ولا الكذوب ولا الملول
[illegible] فى [illegible]　ب وظلتى عند المقيل

---

(١) [illegible] وهذا لا استعمال خاص بالنداء

أين المحبـــة والذمام وما وعدت من الجميل؟
أجمل على النفس الكريـــمة فى والقلب الجمــول

وكتب إلى والدته ، من الكامل | :

لولا العجوز بمنبج ما خفت أسباب المنيه
ولكان لى عما سألـــت من الفدى نفس أبيه
لكن أردت مرادها ولو انجذبت إلى الدنيه
أمست بمنبج حرة بالحزن من بعدى حريه
فيها التقى والدين مجـــموعان فى نفس زكيه
لا زال يطوى منبجا من كل غادية تحيه
يا أمتا لا تحزنى وثقى بفضل الله فيه
يا أمتا لا تيأسى لله ألطاف خفيه
أوصيك بالصبر الجميـــل فإنه خير الوصيه

وكتب إلى علاء بن له [من الخفيف]

هل تعطفان على العليل ... [illegible]
[illegible]

أنا أصبحت لا أطيق حراكا   كيف أصبحت أنت يا منصور

وكتب إليه [من السريع] :

ارث لصب بك قد زدته   على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها   لكنه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم فى بلدة   وهو أسير القلب فى أخرى

وكتب إليه أيضا [من السريع] :

يا ليل ما أغفل عما بى   حبائبى فيك وأحبابى
يا ليل نام الناس عن موجع   ناء على مضجعه نابى
هبت له ريح شآمية   متت إلى القلب بأسباب
أدت رسالات حبيب بها   فهمتها من بين أصحابى

بلغنى أن الصاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستملحهما ويكثر الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيكم أذكر   وفى أيكم أفكر
وكم لى على بلدتى   بكاء ومستعبر
ففى حلب عدتى   وعزى والمفخر
وفى منبج من رضا   ه أنفس ما أذخر
ومن حبها زلفه   بها يكرم المحشر
وأصبيه كالفرا   خ أكبرهم أصغر
يخيل لى أمرهم   كأنهم حضر
وقوم ألفناهم   وغصن الصبا أخضر
لحزنى ما ينقضى   ودمعى ما يفتر[1]

(١) يفتر : يضعف

أيا غفلتا كيف لا أرجى كما أحذر
وماذا القُنوط الذى أراه وأستشعر
بلى ، إن لى سيدا مواهبه أكثر
بذنبى أوردتنى ومن فضلك المصدر

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحبوب على معنى القلب مكروب
يا عيد قد عدت إلى ناظر عن كل حسن فيك محجوب
يا وحشة الدار التى ربها أصبح فى أثواب مربوب (١)
قد طلع العيد على أهلها بوجه لا حسن ولا طيب
مالى وللدهر وأحداثه لقد رمانى بالأعاجيب

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربى حمامة أيا جارتى هل تشعرين بحالى
معاذ الهوى ماذقت طارقة الهوى ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم على غصن نائى المسافة عالى
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالى أقاسمك الهموم تعالى (٢)
تعالى ترى روحا لدى ضعيفة تردد فى جسم يعذب بالى
أيضحك مأسور وتبكى طليقة ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعى فى الحوادث غالى

---

(١) تقول : رب فلان فلانا ، إذا استعبده .

(٢) كسر اللام من « تعالى » عند إسنادها لياء المخاطبة وضمها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية قليلة . والأكثر بقاء اللام مفتوحة فى كل أحوالها .

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أما لجميل عندكن ثواب ولا لمسيء عندكن متاب

إذا الخل لم يهجرك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عتاب

إذا لم أجد من خلة ما أريده فعندي لأخرى عزمة وركاب

وليس فراق ما استطعت فإن يكن فراق على حال فليس إياب

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر [من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل

(رجع) :

صبور ولو لم تبق مني بقية قؤول ولو أن السيوف جواب

وقور وأحداث الزمان تنوشني وللموت حولي جيئة وذهاب

بمن يثق الإنسان فيما ينوبه ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئاب ... ...

تغابيت عن قوم فظنوا غباوة بمفرق ... ...

ولو عرفوني بعض معرفتي بهم إذا علموا ...

... أتشكو ... تحكم في ... ...

... ... موضع لدى ولا ...

... ... ولا ... لى ...

... ... ولا نبتت لى في الحروب حراب

... ... وكلاب

بنى عمنا ، نحن السواعد والظبا ويوشك يوما أن يكون ضراب
وما أدعى ما يعلم الله غيره رحاب على للعفاة رحاب
وأفعاله للراغبين كريمة وأمواله للطالبين نهاب
ولكن نبا منه بكفى صارم وأظلم فى عينى منه شهاب

ألم فيه يقول البحترى [من الطويل]

سحاب عدانى جوده وهو ريق وبحر حطانى فيضه وهو مفعم
وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا وموضع رحلى منه أسود مظلم

(رجع)

وأبطأ عنى والمنايا سريعة وللموت ظفر قد أطل وناب
فإن لم يكن ود قريب تعده ولا نسب بين الرجال قراب
فأحوط للإسلام أن لا تضيعنى ولى عنه فيه حوطة ونياب
ولكننى راض على كل حالة أعلم أى الخلتين سراب
وما زلت أرضى بالقليل محبة لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلب إبقاء على الود أرضه وذكرى منى فى غيرها وطلاب
كذاك الوداد المحض لا يرتجى له ثواب ولا يخشى عليه عقاب

ومثله للمتنبى [من الطويل]

وما أنا بالباغى على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب

(رجع)

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع وفى كل يوم لقية وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر وللبحر حولى زخرة وعباب ؟
أمن بعد بذل النفس فيما تريده أثاب بمر العتب حين أثاب
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذى بينى وبينك عامر   وبينى وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين   وكل الذى فوق التراب تراب

وكتب إليه [من الكامل] :

بالكره منى واختيارك   أن لا أكون حليف دارك

يا تاركى إنى لشكـ   ـرك ما حييت لغير تارك

كن كيف شئت فإننى   ذاك المواسى والمشارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبى غرب هذا الدمع إلا تسرعا   ومكنون هذا الحب إلا تضوعا(١)

وكنت أرى أنى مع الصبر واجد   إذا شئت لى ممضى وإن شئت مرجعا(٢)

فلما استمر الحب فى غلوائه   رعيت مع المضياعة الغر مارعى(٣)

فحزنى حزن الهائمين مبرحا   وسرى سر العاشقين مضيعا

وهبت شبابى والشباب مضنة   لأبلج من أبناء عمى أروعا(٤)

أبيت معنى من مخافة عتبه   وأصبح محزونا وأمسى مروعا

فلما مضى عصر الشبيبة كله   وفارقنى شرخ الشباب فودعا

تطلبت بين العتب والهجر فرجة   فحاولت أمراً لا يرام ممنعا

وصرت إذا مارمت فى الخير لذة   تتبعتها بين الهموم تتبعا

وها أنا قد حلى الزمان مفارقى   وتوجنى بالشيب تاجاً مرصعا

---

(١) أنسب المعانى للغرب هنا أن يكون بمعنى عرق فى العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

(٢) ممضى : مصدر ميمى بمعنى المضى

(٣) الغلواء — بضم ففتح — حدة الشباب ونشاطه وميعته . واستعاره هنا لشدة الحب

(٤) يقال للشىء النفيس الذى تضن به النفوس : إنه علق مضنة . على الأخذ به

فلو أننى مكنت مما أريده — من العيش يوما لم أجد فى موضعا
أما ليلة تمضى ولا بعض ليلة — أسر بها هذا الفؤاد المفجعا
أما صاحب فرد يدوم وفاؤه — فيصفى لمن يصفى ويرعى لمن رعى
أفى كل دار لى صديق أوده — إذا ما تفرقنا حفظت وضيعا
(١) إذا خفت من أخوالى الروم خطة — تخوفت من أعمامى العرب أربعا
وإن أوجعتنى من أعادى شيمة — لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا
ولو قد رجوت الله لا شىء غيره — رجعت إلى آلى وأملت أوسعا
لقد قنعوا بعدى من القطر بالندى — ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا
وما مر إنسان فأخلف مثله — ولكن يزجى الناس أمرا مرفعا
تنكر سيف الدين لما عتبته — وعرض بى تحت الكلام وقرعا
فقولا له من صادق الود : إننى — جعلتك مما رابنى منك مفزعا
ولو أننى أكننته فى جوانحى — لأورق ما بين الضلوع وفرعا
فلا تغترر بالناس، ما كل من ترى — أخوك إذا أوضعت فى الأمر أوضعا
فلله إحسان على ونعمة — ولله صنع قد كفانى التصنعا
أرانى طرق المكرمات كما رأى — على ، وأسعى لى عليا كما سعى
فإن يك بطء مرة فلطالما — تعجل بى نحو الجميل فأسرعا
وإن يجف فى بعض الأمور فإننى — لأشكره النعمى التى كان أودعا
وإن يستجد الناس بعدى فلم يزل — بذاك البديل المستجد ممتعا

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتى إن تعذرت عليك فأذن لى فى مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادونى وينوبوا عنك فى أمرى . فأجابه سيف

---

(١) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان بيت آخر وهو قوله :

أقمت بأرض الروم عامين لا أرى — من الناس محزونا ولا متصنعا

الدولة بكلام حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أسيف الهدى وقريع العرب إلام الجفاء ؟ وفيم الغضب ؟
وما بال كتبك قد أصبحت تنكبني مع هذى النكب
وأنت الكريم، وأنت الحليم وأنت العطوف، وأنت الحدب
وما زلت تسعفني بالجميل وتنزلني بالمكان الخصب
وإنك للجبل المشمخر لى ، بل لقومك ، بل للعرب
علا يستفاد ، وعاف يفاد ، وعز يشاد ، ونعمى ترب
وما غض منى هذا الإسار ولكن خلصت خلوص الذهب
ففيم يقرعنى بالخمو ل مولى به نلت أعلى الرتب ؟
وكان عتيدا لدى الجواب ولكن لهيبته لم أجب
أتنكر أنى شكوت الزمان وأنى عتبتك فيمن عتب
فألا رجعت فأعتبتني وصيرت لى ولقولى الغلب
فلا تنسبن إلى الخمول علىك أقمت فلم أغترب
وأصبحت منك فإن كان فضل وإن كان نقص فأنت السبب
وإن خراسان إن أنكرت علاى فقد عرفتها حلب
ومن أين ينكرنى الأبعدون أمن نقص جد ؟ أمن نقص أب ؟
ألست وإياك من أسرة وبينى وبينك عرق النسب ؟
وداد تناسب فيه الكرام وتربية ومحل أشب
ونفس تكبر إلا عليك وترغب إلاك عمن رغب
فلا تعدلن فداك ابن عمك لا بل غلامك عما يجب
وأنصف فتاك فإنصافه من الفضل والنسب المكتسب

فكنت الحبيب، وكنت القريب ليالى أدعوك من عن كثب
فلما بعدت بدت جفوة ولاح من الأمر ما لا أحب
فلو لم أكن بك ذا خبرة لقلت صديقك من لم تغب

وكتب إليه أيضا [من الوافر]:

زمانى كله غضب وعتب وأنت على والأيام إلب[1]
وعيش العالمين لديك سهل وعيشى وحده بفناك صعب
فكيف وأنت دافع كل خطب مع الخطب الملم على خطب
إلى كم ذا العتاب وليس جرم وكم ذا الاعتذار وليس ذنب
فلا تحمل على قلب جريح به لحوادث الأيام ندب[2]
أمثلى تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب
جنانى ما علمت، ولى لسان يقد الدرع والإنسان عضب[3]
وزندى وهو زندك ليس يكبو ونارى وهى نارك ليس تخبو[4]
وفرعى فرعك السامى المعلى وأصلى أصلك الزاكى وحسب
وفضلى تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجد ترب[5]

---

(1) [illegible] القوم [illegible] مجتمعون عليهم .
وقال الأنصارى
الناس [illegible] وأطراف [illegible]
(2) الندب [illegible]
(3) [illegible]
[illegible] عونى
(4) يقول [illegible] الزند [illegible]
(5) فلان [illegible] بكسر التاء وسكون الراء [illegible] أى يساويه
فى السن

فدت نفسي الأمير كان حظي وقربي عنده ما دام قرب
فلما حالت الأعداء دوني وأصبح بيننا بحر ودرب(١)
ظللت تبدل الأقوال بعدي ويبلغني اغتيابك ما يغب(٢)
فقل ما شئت في فلي لسان مليء بالثناء عليك رطب
وقابلني بإنصاف وظلم تجدني في الجميع كما تحب

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك عنفا من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهاقهم ، فكتب إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

ياحسرة ما أكاد أحملها آخرها مزعج وأولها
عليلة بالشآم مفردة بات بأيدي العدى معللها
إذا اطمأنت ، وأين؟ أو هدأت عنت لها ذكرة تقلقلها
تسأل عنا الركبان جاهدة بأدمع ما تكاد تمهلها
يامن رأى لي بحصن خرشنة أسد شرى في القيود أرجلها
يامن رأى في الدروب شامخة دون لقاء الحبيب أطولها
يا أيها الراكبان هل لكما في حمل نجوى يخف محملها

---

(١) الدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم ، وقال امرؤ القيس بن حجر الكندي :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٢) تقول : أغب فلان زيارتنا ، إذا كان يجيء أحيانا ويقطع أحيانا ، تريد أنه لا يواصل الزيارة . والشاعر هنا يريد أن المخاطب يواصل اغتيابه

(١) يا أمتا هذه منازلنا نتركها تارة ونتزلها

ومنها :

يا سيداً ما تعد مكرمة إلا وفى راحتيك أكلها
ليست تنال القيود من قدمى وفى اتباعى رضاك أحملها
لا تنيم والماء تدركه غيرك يرضى الصغرى ويقبلها
أنت سماء ونحن أنجمها أنت بلاد ونحن أجبلها
أنت سحاب ونحن وابله أنت يمين ونحن أشملها
بأى عذر رددت والهة عليك دون الورى معولها
جاءتك تمتاح رد واحدها ينتظر الناس كيف تقفلها(٢)
تلك العقود التى عقدت لنا كيف وقد أحكمت تحللها
أرحامنا منك ، لم تقطعها ؟ ولم تزل دائبا توصلها
سمحت منى بمهجة كرمت أنت ، على يأسها ، مؤملها
إن كنت لم تبذل الفداء لها فلم أزل فى هواك أبذلها
تلك المودات كيف تهملها تلك المواعيد كيف تغفلها
أين المعالى التى عرفت بها تقولها دائباً وتفعلها ؟
يا واسع الدار كيف توسعها ونحن فى صخرة نزلزلها
يا ناعم الثوب كيف تبدله ثيابنا الصوف ما نبدلها !
يا راكب الخيل لو بصرت بنا نحمل أقيادنا وننقلها

(١) وقع فى الديوان بين هذا البيت والذى قبله بيت آخر ، وهو قوله :

قولا لها إذ وعت كلامكما وإن ذكرى لها ليذهلها

(٢) أصل الامتياح استخراج الماء من البئر ، والمراد هنا تسأل ، وتقفلها : تعيدها وترجعها ، قفل فلان : رجع . وأقفله : رجعه

رأيت فى الضر أوجها كرمت فارق فيك الجمال أجملها
قد أثر الدهر فى محاسنها تعرفها تارة وتجهلها
لا يفتح الناس باب مكرمة صاحبها المستغاث يقفلها
أينبرى دونك الكرام لها وأنت قمقامها وأجملها (١)
وأنت إن عز حادث جلل قلبها المرتجى وحولها (٢)
منك تردى بالفضل أفضلها منك أفاد النوال أنولها (٣)
فإن سألنا سواك عارفة فبعد قطع الرجاء نسألها (٤)
لم يبق فى الناس أمة عرفت إلا وفضل الأمير يشملها
نحن أحق الورى برأفته فأين عنا وكيف معدلها
يا منفق المال لا يريد به إلا المعالى التى يؤثلها (٥)
أصبحت تشرى مكارماً فضلا فداؤنا ما علمت أنضلها
لا يقبل الله قبل فرضك ذا نافلة عنده تنفلها (٦)

وكتب إلى أبى المعالى وأبى المكارم ابنى سيف الدولة [من الكامل] :

يا سيدى أراكما لا تذكران أخاكما

---

(١) القمقام : السيد الكثير العطاء ، وجمعه قماقم وقماقة ، والأجمل: جمع جمل .
(٢) يقال : فلان قلب حول ، إذا كان بصيرا بمسالك الأمور ، خبيرا بحل مشكلها ، قادراً على التحيل لها .
(٣) أصل تردى لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمساك بالفضل ، وأنولها : أشدها نوالا .
(٤) العارفة : النوال والعطاء .
(٥) أثل ماله ، وتأثله : أصله وعظمه وتملكه .
(٦) تنفلها : أراد تتنفلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجـــدتما بدلا به يبنى سمـاء علا كما
أوجـــدتما بدلا به يفرى نحور عدا كما(١)
من ذا يعاب بما لقيـــت من الورى إلا كما
لا تقعدا بى بعدها وسلا الأمير أباكما
وخذا فداى، جعلت من ريب المنون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف فى رسوم المستجا ب وناد أكناف المصلى
تلك المنازل والملا عب لا أراها الله محلا (٢)
أوطنتهـا زمن الصبا وجعلت منبج لى محلا
حيث التفت رأيت ما ء سائحا وسكنت ظلا
والمـــاء يفصل بين زهـــر الروض فى الشطين فصلا (٣)
كبساط وشى جردت أيدى القيون عليـــه نصلا (٤)
من كان سر بمـا عرا نى فليمت ضرا وهزلا
ما غض منى حادث والقـــرم قرم حيث حلا (٥)
أنى حللت فإنمـــا يدعوننى السيف المحلى

---

(١) يفرى : يقطع حتى يستأصل .

(٢) دعاء للمنازل بأن تبقى ناعمة مخصبة ، والمحل : الجدب .

(٣) هذا البيت والذى بعده ذكرهما المؤلف فى مطلع المختار من شعر سيف الدولة على أنهما من المعانى التى لا يصل إليها السوقة ، واستدل بهما على أن أبا فراس كان يستعمل أدوات الفرس .

(٤) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، وهو عندهم الذى يصنع السيوف

(٥) غض منى : نقص من منزلتى وطامن من قدرى

ولئن خلصت فإننى شرق العـــدا طفلا وكهلا
ما كنت إلا السيف زا د على صروف الدهر صقلا (١)
ولئن قتلت فإنما موت الكرام الصيد قتلى (٢)
يغـــتر بالدنيا الجهو ل وليس بالدنيـا مملى (٣)

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلى أنا مشتاق وعندى لوعة ولكن مثلى لا يذاع له سر
إذا الليل أضوى بى بسطت يد الرجا وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر
تكاد تضىء النار بين جوانحى إذا هى أذكتها الصبابة والفكر

ومنها :

وإنى لجرار لكل كتيبة معودة أن لا يخل بها النصر
وأصدأ حتى ترتوى البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ومنها :

أسرت وما صحبى بعزل لدى الوغى ولا فرسى مهر ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرىء فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابى : الفرار أو الردى فقلت : هما أمران أحلاهما مر
ولكننى أمضى لما لا يعيبنى وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

---

(١) صقل سيفه صقلا وصقالا : جلاه .

(٢) الصيد ــ بكسر الصاد ــ جمع أصيد ، وهو الذى يميل رأسه كبرا أو مخيلة .

(٣) تملى فلان بعمره ، وملاه الله تعالى به : أى امتد له فى عمره ، وأطال الله حياته حتى انتفع بها .

ولا خير فى دفع الردى بمذلة　　كما ردها يوما بسوأته عمرو[1]

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

مالى جزعت من الخطوب ، وإنما　　أخذ الإله لبعض ما أعطانى
إن لم تكن طالت سنى فإن لى　　رأى الكهول ونجدة الشبان
قمن بما سر الأعادى موقفى　　والدهر برز لى مع الأقران
يا دهر خنت مع الأصادق خلتى　　وغدرت بى فى جملة الإخوان
لكن سيف الدولة المولى الذى　　لم أنسه وأراه لا ينسانى
أيضيعنى من لم يزل لى حافظا　　كرما ويخفضنى الذى أعلانى
إنى أغار على مكانى أن أرى　　فيه رجالا لاتسد مكانى

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعز على الأحبة بالشآم　　حبيب بات ممنوع المنام
وإنى للصبور على الرزايا　　ولكن الكلام على الكلام[2].
جروح ما يزلن يردن منى　　على جرح قريب العهد دام
تأملنى الدمستق إذ رآنى　　فأبصر صيغة الليث الهمام
أتنكرنى كأنك لست تدرى　　بأنى ذلك البطل المحامى
فلا هنئتها نعمى بأخذى　　ولا وصلت سعودك بالتمام
أما من أعجب الأشياء علج　　يعرفنى الحلال من الحرام

---

(١) يقال : إن عمرو بن ود ـ ويقال : هو عمرو بن العاص ـ كان يقاتل على بن أبى طالب . فنال أبو الحسنين منه فصرعه ، وأراد أن يجهز عليه ، فرفع ثوبه وأظهر سوأته ، وكان على لا ينظر إلى سوأة أحد قط ، فتركه.

(٢) الكلام بكسر الكاف ـ الجراح ، واحدها كلم ، ونظيره جرح وجراح . لفظا ومعنى .

وتكنفه بطارقة تيوس تبارى بالعثانين الضخام (١)
لهم خلق الحمير فلست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام
يريغون العيوب ، وأعجزتهم . وأى العيب يوجد فى الحسام (٢)
ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام
ألام على التعرض للمنايا ولى سمع أصم عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ولو عمر المعمر ألف عام
ألا يا صاحبى تذكرانى إذا ما شمتما البرق الشآمى (٣)
إذا ما لاح لى لمعان برق بعثت إلى الأحبة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب وناديت بالتسليم خير مجيب
ولم يبق منى غير قلب مشيع وعود على ناب الزمان صليب (٤)
وقد علمت أمى بأن منيتى بحد حسام أو بحد قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه فى الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت فى منامها ـ وهى حبلى ـ كأن نارا خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ثم وقعت فى الماء فانطفأت، فلما كان من أمره ما كان ونعى

---

(١) العثانين : جمع عثنون ـ بزنة عصفور ـ وهو اللحية ، أو ما فضل منها بعد العارضين .

(٢) يريغون العيوب : يطلبونها ويبحثون عنها ، يريد أنهم يتلمسون عيبا . والحسام : السيف الذى يحسم مادة الشر والخلاف .

(٣) شام البرق يشيمه : إذا نظر اليه ليعرف أين يقع مطره .

(٤) قلب مشيع ـ بزنة اسم المفعول ـ جرىء قوى ، كأنما شيع بما يجعله قادرا على أن يهزم الأحداث

إليها لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق فى الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطة ... وأملت نصرا كان غير قريب
وللعار خلى رب غسان ملكه ... وفارق دين الله غير مصيب(١)
ولم يرتغب فى العيش عيسى بن مصعب ... ولا خف خوف بالحزون خبيب(٢)

وأحفظ أبو فراس الدمستق فى مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا ... ونحن أسود الحرب ، لا نعرف الحربا(٣)
فويلك ! من للحرب إن لم تكن لها ؟ ... ومن ذا الذى يضحى ويمسى لها تربا ؟
ومن ذا يكف الجيش من جنباته ... ومن ذا يقود العين أو يصدم القلبا
[وويلك ! من أردى أخاك بمرعش ... وجلل ضربا وجه والدك العضبا
[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً ... وخلاك باللقان تبتدر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتى كأننا ... وإياك لم يعصب بها قلبنا عصبا] (٤)
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه ... فكنا بها أسداً وكنت بها كلبا
وسل برد ، سل عنا أباك وصهره ... وسل أهل بردا ليس أعظمهم خطبا(٥)

(١) أراد برب غسان جبلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولطم أعرابيا مسلما لأنه داس رداءه ، فأراد عمر أن يقتص منه إلا أن يرضى الأعرابى ، فاستمهله إلى الغد ، ثم فر فى جنح الليل ، ولحق بالروم متنصرا ، فى قصة طويلة

(٢) كذا فى ب ، وفي الديوان (١٠٤) * ولا حب خوف بالحروب حبيب * وكلاهما تصحيف ، ولعل الأصل * ولا خف خوف الحرب قلب خبيب *

(٣) اللغاديد : جمع لغدود أو لغديد ، وهو لحمة فى الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن ، وقيل : ما أطاف بأقصي الفم إلى الحلق من اللحم

(٤) مابين الحاصرتين ساقط من ب ، وهو فى الديوان (ص ١٠٤)

(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : إسم مكان

وسل فرقاشا والشمقمق صهره ... وسل سبطه البطريق أثبتهم قلبا
وسل صيدكم آل الملابين ، إننا ... نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا(١)
وسل أهل بيرام وأهل بلنطس ... وسل آل شنوان الخناجرة الغلبا(٢)
وسل بالبطرصيس العساكر كلها ... وسل بالمسيطر ناطس الروم والعربا
ألم تكفهم قتلا ونهبا سيوفنا ... وأسد الشرى الملأى وإن جمدت رعبا
بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا ؟ ... وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا ؟(٣)
تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا ... لقد أوسعتك النفس يابن استها كذبا
رعى الله أوفانا - إذا قال - ذمة ... وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضربا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليلى ما أعددتما لمتيم ... أسير لدى الأعداء جافى المرافد
فريد عن الأحباب لكن دموعه ... مثان على الخدين غير فرائد(٤)
جمعت سيوف الهند من كل وجهة ... وأعددت للأعداء كل مجالد
إذا كان غير الله للمرء عدة ... أتته الرزايا من وجوه الفوائد
فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة ... وكان يراها عدة للشدائد(٥)
[وجرت منايا مالك بن نويرة ... عقيلته الحسناء أيام خالد](٦)

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المائل الرأس كبرا وخيلة . والملابين : جمع ملبون ، وهو من به مثل السكر

(٢) فى الديوان الحناجرة — بالحاء المهملة — وفسر بالغلاظ

(٣) أجحر : دخل الجحر

(٤) مثان : جمع مثنى ، وأراد متتالية يأتى بعضها إثر بعض

(٥) الحنفاء : أراد بها القوس ، والحنف فى الأصل : الاعوجاج

(٦) العقيلة : أراد بها ههنا الزوجة ، وخالد : أراد به سيف الله خالد بن الوليد بطل الاسلام الذى دوخ أهل الردة فى عهد أبى بكر ، وهو قاتل مالك ابن نويرة ، ولذلك قصة كثر فيها القول

وأردى ذؤابا فى بيوت عتيبة   بنوه وأهلوه بشدو القصائد(١)

ولما خفف عن أبى فراس ورفه ، ونوظر فى أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلى ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عندى فى الإسار وغيره   مواهب لم يخصص بها أحد قبلى

حللت عقوداً أعجز الناس حلها   ومازلت لاعقدى يذم ولا حلى

إذا عاينتنى الروم قد ذل صيدها   كأنهم أسرى يدى بلا كبل(٢)

وأوسع أياما حللت كرامة   كأنى من أهلى نقلت إلى أهلى

فأبلغ بنى عمى وأبلغ بنى أبى   بأنى فى نعماء يشكرها مثلى

وماشاء ربى غير نشر محاسنى   وأن يعرفوا ماقد عرفتم من الفضل

* * *

ما أخرج من مزدوجته الطردية(٣)

ما العمر ما طالت به الدهور   العمر ما تم به السرور

أيام عزى ونفاذ أمرى   هى التى أحسبها من عمرى

[ما أجور الدهر على بنيه   وأغدر الدهر بمن يصفيه](٤)

لو شئت مما قد قللن جدا   عددت أيام السرور عدا

أنعت يوما مر لى بالشام   ألذ ما مر من الأيام

دعوت بالصقار ذات يوم   عند انتباهى سحرا من نومى(٥)

---

(١) اقرأ هذه الأبيات فى الديوان (ص ١٠٢)

(٢) الكبل : القيد ، وفى ب * إذا عاينتنى الروم كفر صيدها *

(٣) اقرأها فى الديوان (ص ١٥٢)

(٤) هذا البيت ساقط من ب ، وهو ثابت فى م والديوان

(٥) أراد بالصقار الذى مهنته رعاية صقور الصيد .

قلت له اختر سبعة كبارا   كل نجيب يرد الغبارا

يكون للأرنب منها اثنان   وخمسة تفرد للغزلان

واجعل كلاب الصيد نوبتين   يرسل منها اثنان بعد اثنين

ثم تقدمت إلى الفهاد   والبازيارين بالاستعداد[١]

وقلت إن خمسة لتقنع   والزرقان الفرخ والململع

وأنت يا طباخ لا تباطا   عجل لنا اللفات والأوساطا

وياشرابي البلقسيات   تكون للراح ميسرات

بالله لا تستصحبوا ثقيلا   واجتنبوا الكثرة والفضولا

ردوا فلانا وخذوا فلانا   وضمنوني صيدكم ضمانا

فاخترت لما وقفوا طويلا   عشرين أو فويقها قليلا

عصابة أكرم بها عصابه   معروفة بالفضل والنجابه

ثم قصدنا صيد عين باصر   مظنة الصيد لكل خابر[٢]

جئناه والشمس قبيل المغرب   تختال في ثوب الأصيل المذهب

وأخذ الدراج في الصياح   مكتنفا من سائر النواحي

في غفلة عنا وفي ضلال   ونحن قد زرناه بالآجال

يطرب للصبح وليس يدري   أن المنايا في طلوع الفجر

حتى إذا أحسست بالصباح   ناديتهم : حي على الفلاح

نحن نصلي والبزاة تخرج   مجردت . والخيول تسرج

---

(١) البازيارين : حملة البازي الحيوان الذي يستعمل في الصيد . وهو استعمال فارسي

(٢) عين باصر : اسم مكان . والخابر : العارف . ووقع في ب «عين بصر» وما أثبتناه موافق لما في الديوان

وقلت للفهاد : إمضِ وانفرد، وصح بنا إن عن ظبي ، واجتهد
فلم يزل غير بعيـــد عنا إليـه يمضى ما يفر منـا
وسرت فى صف من الرجال كأنمـــا نزحف للقتال
فما استوينا كانا حتى وقف غليم كان قريبا من شرف
ثم أتانى عجلا قال السبق فقلت إن كان العيان قد صدق
سرت إليـه فأرانى جاثمه ظننتها يقظى وكانت نائمه
[ثم أخذت نبلة كانت معى ودرت دورين ولم أوسع][1]
حتى تمكنت فلم أخط الطلب لكل حتف سبب من السبب[2]

ومنها :

ثم دعوت القوم : هذا بازى فأيكم ينشـط للبراز
فقال منهم رشأ : أنا . أنا ولو درى ما بيدى لأذعنا

ومنها[3] :

جئت بباز حسن وهبرج دون العقاب وفويق الزج[4]
زين لرائيـه وفوق الزين ينظر من نارين فى غارين
كأن فوق صدره والهادى آثار مشى الذر فى الرماد
ذى منسر فخم وعين غائره وأخذ مثل الجبال وافره

(١) هذا البيت ساقط من ب . وهو ثابت فى الديوان

(٢) فى ب « ثم تمكنت » وذكر فيها هذا البيت منفصلا عما قبله، ومذكور مع الأبيات الآتية . وهو في الديوان على ما أثبتناه

(٣) سقطت هذه الكلمة من ب ؛ والأبيات غير متصلة فى الديوان

(٤) فى ب « ا‍صهبرج » . والمبرج ـ بزنة جعفر ـ هو السمين . والزج ـ بزنة سكر ـ طائر

ضخم قريب الدستبان جدا يلقى الذى يحمل منه كدا

وراحة تحمل كفى بسطة زادت على قدر البزاة بسطة [1]

سر وقال هات قلت مهلا احلف على الرد فقال كلا

أما يمينى فهى عندى غاليه وكلتى مثل يمينى وافيه

فقلت خذه هبة بقبله فصد عنى وعلته خجله

ثم ندمت غاية الندامه ولمت نفسى أكثر الملامه

على مزاحى والرجال حضر وهو يزيد خجلا ويحصر

فلم أزل أمسحه حتى انبسط وهش للصيد قليلا ونشط

ومنها فى وصف البازى واستيلائه على الكركى

حتى إذا جندله كالعندل أيقنت أن العظم غير الفضل [2]

صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر انزل عن المهر وهات ماحضر

جاء بأوساط وجردباج من حجل الطير ومن دراج

فما تنازلنا عن الخيول يمنعنا الحرص من النزول

وجيء بالكأس وبالشراب فقلت : وفرها على أصحابى

أشبعنى اليوم ورواني الفرح فقد كفانى بعض وسط وقدح

ومنها :

ثم انصرفنا والبغال موقره فى لبئة مثل الصباح مسفره

حتى أتينا رحلنا بليل وقد سبقنا بجياد الخيل

ثم نزلنا فطرحنا الصيدا لما عددنا مائة وزيدا [3]

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من ب . وهو ثابت فى الديوان

(٢) كذا فى ا ـ ب ، م . والعندل : الناقة العظيمة . وفى الديوان « جدله كالعدل »

(٣) زيدا : مصدر زاد يزيد . وأراد : مائة وزائد عليها

فلم نزل نشوى ونقلي ونصب   حتى طلبنا صاحيا فلم نصب
شربا كما عن من الزقاق   بغير ترتيب وغير ساق
ولم نزل سبع ليال عددا   أسعد من راح وأحظى من غدا

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمذاني قال : قال الصاحب أبو القاسم يوما لجلسائه وأنا فيهم — وقد جرى ذكر أبي فراس — : لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعرا ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصل يدها بباعك   ولا تغز السباع إلى رباعك
ولا تعن العدو علي ، إني   يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه قد أحسن . ولكن لم يشق غبار أبي فراس

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :

ما العمر ما طالت به الدهور   العمر ما تم به السرور

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروح القلب ببعض الهزل   تجاهلا مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل   والمزح أحيانا جلاء العقل

* * *

فصل

وقد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس . وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها ، ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها — كما قرأته لبعض

البلغاء ـ لو سمعته الوحش أنست . أو خوطبت به الخرس نطقت . او استدعى به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب عن إساره . لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافى عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبى إسحاق الصابى فى مرثيته على أنه قتل فى وقعة كانت بينه وبين بعض موالى أسرته ، وما أحسن وأصدق قول المتنبى [من البسيط] :

فلا تنلك الليالى ، إن أيديها إذا ضربن كسرن النبع بالغرب [1]
ولا يعن عدواً أنت قاهره فإنهن يصدن الصقر بالخرب [2]

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبى فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى [من الكامل] :

أبنيتى لا تجزعى كل الأنام إلى ذهاب
نوحى على بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولى إذا كلمتنى فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتع بالشباب

اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !! .

---

(١) النبع : شجر صلب ينبت فى رءوس الجبال ، والغرب : نبت ضعيف ينبت على الأنهار ، يريد يكسرن القوى بالضعيف .

(٢) الخرب ـ بفتحتين ـ ذكر الحبارى ، والصقر من الطيور الجارحة يعنى أن الليالى إذا أعانت الضعيف صاد القوى .

الباب الرابع
فى ملح شعر آل حمدان
وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

أخبرنى جماعة من أهل الأدب أن المتنبى لما عونب فى آخر أيامه على راجع شعره قال : قد تجوزت فى قولى ، وأعفيت طبعى ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان ، وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقته منا   قبائل يعرب وبنو نزار
لقيناهم بأرماح طوال   تبشرهم بأعمار قصار

يعنى أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول ـ يعنى أبا العشائر ـ [من الكامل] :

أأخا الفوارس لو رأيت مواقفى   والخيل من تحت الفوارس تنحط (١)
لقرأت منها ما تخط يد الوغى   والبيض تشكل والأسنة تنقط

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى لبعضهم [من الكامل] :

أعمام ما يدريك ما أفعالنا   والخيل تحت النقع كالأشباح
تطفو وترسب فى الدماء كأنها   صور الفوارس فى كؤوس الراح

وأنشدت لأبى العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ،   ظبى من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذاران قد خطا بوجنته   فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فكل قال من شغف :   يا ليته فى سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبى العشائر أعوده من علة هجمت عليه . فقلت له : ما يجد الأمير ؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن

---

(١) تنحط : تزفر من أجهادها .

رضوان غفل عنه فأبق من الجنة ، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقم هذا الغلام جسمى بما بعينيه من سقام
فتور عينيه من دلال أهدى فتورا إلى عظامى
وامتزجت روحه بروحى تمازج الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد » هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمى هـذا الغزال ، فإنه رمانى بسهمى مقلتيه على عمـد
ولا تقتلوه إننى أنا عبـده ولم أر حرا قط يقتل بالعبد

وأنشدت لبعضهم . وهو أحسن ما سمعت فى معناه [من الكامل] :

للعبد مسألة لديك جوابها إن كنت تذكره فهذا وقته
ما بال ريقك ليس ملحا طعمه ويزيدنى عطشاً إذا ما ذقته !

ووجدت بخط أبى بكر الخوارزمى هذه الأبيات منسوبة إلى أبى وائل تغلب بن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والذى جعل الموا لى فى الهوى خدم العبيد
وأصار فى أيدى الظبا ء قياد أعناق الأسود
وأقام ألوية المنيـ ـة بين أفنية الصدود
ماالورد أحسن منظرا من حسن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلى [من الخفيف] :

يا رسول الحبيب ويحك قد أ لقى عليك الحبيب حسناً وطيبا
وتعلمت حسن ألفاظه تلـ ـك فظرفت بادئاً ومجيبا
ولقد كدت أن أضمك لولا أن يسىء الظنون أو يستريبا
خيفة أن يكون ذاك كما قيـ ـل قديما : صار الرسول حبيبا

ولأبى وائل الحمدانى لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلى ، أسعدانى فقد عيـ ـل ، اصطبارى على احتمال البليه
غربة قارظيــة ، وغرام عامرى ، ومحنــة علوية (١)

ولأبى زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمت أنى ظالم فهجرتنى . ورميت فى قلبى بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاغتفر لى زلتى هــذا مقام المستجير العائذ

وأنشدنى الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالى هذه الأبيات ولم يسم قائلا ، ثم وجدتها فى بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أجل عينيك فى عينى تجدها مشربة ندى ورد الخدود
وصافحنى تجد عبقاً بكفى يضوع إليك من ردع النهود (٢)
وخذ سمعى إليك فإن فيه بقايا من حديث كالعقود

وأنشدنى أبو الحسن محمد بن أبى موسى الكرخى ، قال : أنشدنى القاضى أبو القاسم على بن المحسن بن القاضى أبى القاسم التنوخى ، قال : أنشدنى أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبى محمد لنفسه . تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إنى لأحسد «لا» فى أسطر الصحف إذا رأيت اعتناق اللام الألف

---

(١) قارظية : أراد دائمة أبد الدهر . وهو مأخوذ من قولهم فى مثل « لا أفعله حتى يؤوب القارظان » وعامرية : نسبة إلى بنى عامر عشاق العرب منهم ليلى العامرية . وعلوية : نسبة إلى آل على بن أبى طالب .

(٢) العبق : الريح الطيب . ويضوع : ينتشر وتفوح رائحته . والردع : أثر الطيب .

وما اظنهما طال اجتماعهما   إلا لما لقيا من شدة الشغف

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أفدي الذي زرته بالسيف مشتملا   ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له   حتى لبست نجاداً من ذوائبه
فكان أنعمنا عيشاً بصاحبه   من كان في الحب أشقانا بصاحبه

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قالت لطيف خيال زارها ومضى :   بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال : خلفته لو مات من ظمإ   وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت : صدقت الوفا في الحب عادته   يا برد ذاك الذي قالت على كبدي !

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها[1] تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتان يلمحها   ضوء من البدر أحيانا فيبليها
وكيف تنكر أن تبلى معاجرها   والبدر في كل حين طالع فيها [1]

وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلي الثياب الحلوة .

وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقده   وإن كان لي مؤلما موجعا
لقد نال كل الذي يشتهي   حسود علينا ببين دعا

وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به   من بعد فرقتكم يوماً إلى أحد

---

(١) المعجر ـ بزنة المنبر ـ ثوب يشده المرأة على وسطها ؛ وجمعه معاجر . ومن هذا المعنى قول الشاعر (من المنسرح) :

لا تعجبوا من بلى غلالته   قد زر أزراره على القمر

ولست أعتده من بعدكم نظراً   لأنه نظر من مقلتي رمد

منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذى أهوى من الناس   ونمت عن جودى وعن باسى
يوم أرى الدجن فلا أرتوى   من ريق إلفى ومن الكاس

وقوله [من السريع] :

كأنها والقرط فى أذنها   بدر الدجى قرط بالمشترى
قد كتب الحسن على وجهها   « ياأعين الناس قفى وانظرى »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير فى كفه مداما   ألذ من غفلة الرقيب
كأنها إذ صفت ورقت   شكوى محب إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عادالزمان بمن هويت فأعتبا   ياصاحبي فسقيانى واشربا
كم ليلة سامرت فيها بدرها   من فوق دجلة قبل أن يتغيبا
قام الغلام يديرها فى كفه   فحسبت بدر التم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه   قد سل فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا فى وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك .
وأحسن ما سمعت فيه ـ على كثرته ـ قول القاضى التنوخى [من الكامل] :

أحسن بدجلة والدجى متصرب   والبدر فى أفق السماء معرب
فكأنها فيه بساط أزرق   وكأنه فيها طراز مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على وجـــه غزال مونق
بقمر منتقب بخـاتم منتطق
والبـدر فوق دجلة والصبح لمـا يسرق
كحلية من ذهب على رداء أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كتبت إليك بمـاء الجفون وقلبي بمـاء الهوى متشرب
فـكفي تخط وقلبي يمـل وعيني تمحو الذي تـكتب

وقوله [من مخلع البسيط] :

ألبسني ذلة العبيـد من قلبه صيغ من حديد
ونم طرفي بمـا ألاقي من كمد دائم المزيد
وكيف يخفى الهوى عميد ودمـه صاحب البريد

وقوله [من البسيط] :

قالوا: عليك سبيل الصبر ، قلت لهم : هيهات ! إن سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنه حين يبصره حتى يعود إليـه القلب مشتاقا

ولأحمد [من الرمل] :

لا يكن للـكأس في كف ك يوم الغيث لبث
أو ما تعـلم أن الـ غيث سـاق مستحث

وله [من الهزج

ولولا أن برذون الـ ـهوى بعنلف الرد ء
ركبناه إلى الصـيد وأرسـلنا له كلبه
قصـدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخنـه "ضبه

وصيرنا لزيت الوصـ ـل من جلد استهاربه

وله ، ويروى لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها

مالى فى لوعتى شبيه قال : وأبصرت لى شبيها ؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطب

فأدمى خـــدها لحظى وأدمى لحظهـــا قلبى

وله [من الرجز] :

واعطشى إلى فم يمج خمراً من برد

إن قسم الناس فحسـ ـبى بك من كل أحد

أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله . ابنا ورقاء الشيبانى

من رؤساء عرب الشام وقوادها . والمختصين بسيف الدولة وما منهما إلا أديب شاعر جواد ممدح . وبينهما وبين أبى فراس مجاوبات . وإليهما أرسل أبو فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتانى عن بنى ورقاء قول ألذ جنى من الماء القراح

وأطيب من نسيم الروض حفت به اللذات من روح وراح

ولو أنى اقترحت على زمانى لكنتم ، يا بنى ورقا ، اقتراحى

ولأبى أحمد فى جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] .

أصاح قلبـه أم غـير صاح وقد خنت له عصر البطاح

ظباء الوحش تحكى ماثلات ظباء الإنس بالصور الملاح

ومنها :

يدرن مراض أجفان صحاح فياعجبي من المرضى الصحاح
وما زالت عيون العين فينا تؤثر فوق تأثير السلاح

ومنها :

أمطلعة الهلال على قضيب ومسدلة الظلام على الصباح !
عدتني عن زيارتك العوادي ودهر للأكارم ذو اطراح !

ومنها :

أمـدرو تغلب لسنا وعلما ومصقع نطقها عند التلاحي
لقد أوتيت علما واضطلاعا بآداب وألفاظ فصاح
لمقولك المضاء إذا انتضاه الـ قصيد على المهندة الصفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعري . والحوادث جمة . وما كنت في دهري إلى الناس شاكيا
أمخترمي ريب المنون بحسرة تبلغ نفسي من شجاها التراقيا ؟
إلى الله أشكو أن في الصدر حاجة تمر بها الأيام وهي كما هيا

ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضر بهم :

وإنهم لما استهاجوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا
كأن شب ناراً في شعار ثيابه وهيج ليثاً للفريسة ضاريا

وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

« لعل خيال العامرية زائر »

عمرن بعمار من الإنس برهة فهن صفر ليس فيهن صافر
أخذت بمغناها دمى وخرائد وحلت بأقصاها مها وجآذر
أدرن عيوناً باللحاظ دوائر على عاشقيهن الدموع بوادر

ضعائف يقهرن الأشداء قدرة عليهم وسلطان الصبابة قاهر

ومنها :

ألا يا ابن عم يستزيد ابن عمه رويدك إنى لانبساطك شاكر
تصفحت ما أنفذته فوجدته كما استودعت نظم العقود الجواهر
وذكرنى روضا بكته سماؤه فضاحكه مستأسد وهو زاهر
عرائس تجلوها عليك خدورها ولكنها تلك الخدور دفاتر
فعدلا ، فإن العدل فى الحكم سيرة بها سار فى الناس الملوك الأساور

ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنا إذا اشتد الزما ن وناب خطب وادلهم

من أبيات قد مرت (١) أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من أبيات [من الكامل] :

أنتم كما قد قلت بل أعلى وأشرف يا ابن عم
ولكم سوابق كل فخـ ـر واللواحق من أمم
أحسنت والله العظـ ـيم نظام بيتك حين تم
فيما ذكرت من السيو ف وما ذكرت من النعم
حتى كأن بنظمه للحسن درا منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبى إسحاق الصابى ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من الكامل] :

يا ذا الذى جعل القطيعة دأبه إن القطيعة موضع للريب
إن كان ودك فى الطوية كامنا فاطلب صديقا عالما بالغيب !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

---

(١) اقرأها فى (ص ٤٢) من هذا الجزء

قد يهجر الخل السليم الغيب | للشغل وهو مبرأ من ريب
ويواصل الرجل المنافق مبديا | لك ظاهرا مستبطنا للعيب
لاتفرحن من الصديق بشاهد | حتى يكون موافقا للغيب
وتأمل المسود من شعر الفتى | أهو الشبيبة أم خضاب الشيب؟
وإذا ظفرت بذى وداد خالص | فاغفر له مادون غش الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل]

ومشمولة صرف صرفت بشربها | وجوه لحاظ قاطبات الحواجب
إذا جال فيها المزج خلت حبابها | عيون الأفاعى أو قرون الجنادب
وعاذلة فى بذل ما ملكت يدى | رددت لها المسعى بصفقة خائب
فإن زئير الأسد من كل جانب | ليشغل سمعى عن صياح الثعالب
أفى الحق أن قايست غير محقق | فظاظة جندى إلى [illegible]
ولا سيما أنت الذى نشرت له | محاسن كالأعلام فوق [illegible]
ومازلت بين الناس صدر محافل | وعين [illegible]

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالا يدعى أبوه هلالا | جل [illegible]
أنت بدر حسنا ، وشمس علوا ، | وحسام [illegible]

أبو حصين على بن عبدالملك الرقى القاضى [illegible]

هو الذى يقول فيه السرى الموصلى من قصيدة [illegible]

لقد أصبحت خلال أبى حصين | [illegible]
كسانى ظل وانه ، وقوى | [illegible]
وكنت كروضة [illegible] | [illegible]

وكتب إليه أبو فراس ـ وقد عزم على المسير إلى الرقة ـ قصيدة افتتاحها [من البسيط] :

ياطول شوقى إن كان الرحيل غدا لا فرق الله فيما بيننا أبدا

فأجابه القاضى بقصيدة أولها [من البسيط] :

الحمـــد لله حمداً دائمـاً أبداً أعطانى الدهر مالم يعطه أحدا

ومنهـا :

إن كان ماقيل من سير الركاب غدا حقا فإنى أرى وشك الحمام غدا

ومنها فى ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأن الفضل مبدؤه مه اقلت بأن الفضل منك بدا

دام البقـاء له ماشاء مقتـدرا تمضى أوامره . إن حل أو عقدا

يذل أعداءه عـزا ، ويرفع من والاه فضلا ، ويبق للعلا أبدا

وكتب أبو حصين إلى أبى فراس من قصيدة جوابا [من البسيط] :

من واثب الدهر كان الدهر قاهره ومن شكا ظلمه قلت نواصره

إن كان سار فإن الروح تذكره ، والعين تبصره ، والقلب حاضره

يا من أخالصه ودى . وأمحضه نصحى، وتأنيه من وصنى جواهره

أتى كتابك والأنفاس خافتة والجسم مستسلم . والسقم قاهره

والطرف منكسر .والشوق طارفه . والوجد باطنه . والصبر ظاهره

فانتاشنى وأعاد الروح فى بدنى وشد صدعاً وكسراً أنت جابره

ما زلت فى نزهة منه وفى زهر وأحسن الروض مادامت زواهره

حسبى بسيدنا فخراً أصول به هو الفخور وما خلق يفاخره

من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟ أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟ (١)

---

(١) أصل المساجلة أن تملأ دلوا ويملأ آخر دلوا لترايا أيكما أكثر متحاه ثم نقلت إلى المباراة فى المآثر والمفاخرة فى الماجد .

أم من يفاقهه ؟ أم من يشاعره ؟ أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟
أم من يقاربه فى كل مكرمة ؟ أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟(١)
أم من يبارزه ؟ أم من يواقفه فى كل معترك ؟ أم من يصابره ؟
الحرب نزهته ، والبأس همته ، والسيف عزمته ، والله ناصره
والجود لذته ، والشكر بغيته ، والعفو والعرف والتقوى ذخائره

ومنها :

هذا جواب عليل لا حراك به قد خانه فهمه ، بل مات خاطره
يشكو إليك بعاداً عنك أتلفه وطول شوق ونيرانا تخامره(٢)
إن كان قصر فيما قال مجتهدا فأنت بالعدل والإحسان عاذره

وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنى ما بقيت رهين شكر الحارث(٣)
فإذا المنية شارفت ورثت ذلك وارثى(٤)
رقى له من بعد سيدنا وليس لثالث
قسما على صدق الضمير ولست فيه بحانث

أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجرى مع الماء لطافة وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

---

(١) يساوره : أى يواثبه ، والمراد يحاربه .
(٢) تخامره : تداخله وتخالطه ، وأصل معناه تنتهز غفلته لتتمكن منه
(٣) آليت : حلفت .
(٤) المنية الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

من سره العيد فما سرنى   بل زاد همى وأشجانى [1]
لأنه ذكرنى ما مضى   من عهد أحبابى وإخوانى

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

من سره العيد الجديد   فما اقيت به سرورا
كان السرور يتم لى   لو كان أحبابى حضورا

ولأبى الفرج ، ويروى للقاضى أبى النعمان البصرى [من المنسرح] :

نوح حمام بيثرب غرد   هيج شوقى وزاد فى كمدى
وا كبدى من عذابكم ! وكذا   من ذاق ماذقت صاحوا كبدى!
فارقت إلفى فصار فى بلد   بالرغم منى . وصرت فى بلد

وأنشدنى أبو على محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدنى القاضى أبو الفرج ببيروت لنفسه [من الكامل] :

مولاى مالى منك بخت   قد ذبت من كمد ومت
تصفو بك الدنيا ولا   يصفو لعبدك منك وقت
مولاى ما ذنبى إليك ؟   فلو عرفت الذنب تبت
لا أننى أنسيتكم   أو أننى للعهد خنت
إن كان ذاك فلا بقيت   . وإن بقيت فلا سلمت

أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه . معروف ببعد المدى فى مضمار الأدب وحلبة الكتابة ، أخذ بطرفى النظم والنثر . وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه فى السفارة إلى الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه فى استغراق الأغراض .

---

(١) أشجانى : أحزانى ، وواحد الأشجان شجن ، مثل سبب وأسباب

وتحصيل المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السرى بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محت رسم الكرى عن مقلتيه ... رواسم لا تمل من الرسيم (١)
تروم وقد فرعن بنا فروعا ... من الفياض طيبة الأروم
إذا طافت بعبد الله لاقت ... سمات المجد في الوجه الوسيم
لك القلم الذى يضحى ويمسى ... به الإقليم محمى الحريم
هو الصل الذى لو عض صلا ... لأسلمه إلى ليل السليم (٢)
أخو حكم إذا بدأت وعادت ... حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكت خطامها فعلوت قساً ... برونقها وقيس بن الخطيم (٣)
نجوم لا تغور فمن دراري ... يسار بضوئهن ومن رجوم
كحلى الخود مؤتلف النواحي ... ووشى الروض مختلف الرقوم (٤)

وكان يعجن مداده بالمسك . ولا تلاق دواته إلا بماء الورد ، تفاديا من قول القائل [من الوافر] :

دعى في الكتابة لا روى ... له فيها يعد ولا بديه
كأن دواته من ريق فيه ... تلاق فريحها أبدا كريه

وإيثاراً لما قال الآخر [من الرجز] :

---

(١) الرواسم : الابل . والرسيم : ضرب من السير .

(٢) الصل : الأفعى ، وأسلمه إلى كذا : سلم قياده له . والسليم ههنا : اللديغ ، ومن قولهم « السليم لاينام ولا ينيم » يريدون أنه يسهر ليله كله مخافة أن يسرى السم في جسده .

(٣) في ب ، م « قيس بن الحطيم » بالحاء المهملة . وهو تحريف .

(٤) الخود : المرأة الناعمة ، والرقوم : جمع رقم ، وأراد به سطور الأزهار

في كفه مثل سنان الصعده أرقش بز الأفعوان جلده [١]
كأنما النقش إذا استمده غالية مدوفة بنده [٢]

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع فى معناه أحسن منه [من البسيط] :

قم فاسقنى بين خفق الناى والعود ولا تبع طيب موجود بمفقود
كأسا إذا أبصرت فى القوم محتشما قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوج ابن سحاب بنت عنقود

وأنشدنى أبو على محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدنى ابن الفياض لنفسه بحلب فى غلام له أثير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالى على إقبال وخشيت أن تتساويا فى الحال
هيهات ! لاتجزع فكل طريفة ربح يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدنى لنفسه فى ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرنى وأنت المذنب وظننت أنك عاتب لا تعتب
وأمنت من قلبي التقلب واثقا بوفائه لك ، والقلوب تقلب

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على الشراب
ولثمك وجنتى قمر منير يجول بخده ماء الشباب

---

(١) الصعدة : القناة المستوية ، وأراد قلمه ، والأرقش من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيات . وبز : غلب وقهر ، يريد أنه اغتصب جلد الأفعوان ولبسه . والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .

(٢) الغالية : ضرب من الطيب ، وكذا الند ، ومدوفة : مخلوطة ، تقول : داف الطيب يدوفه .

أبو القاسم الشيظمى

قال يصف نمرقة(١) رآها بجنب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقة منها استعا ر الروض أصناف الملح
فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح
كأنما دارت على سمائها قوس قزح

أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسى الفداء لمن عصيت عواذلى فى حبه لم أخش من رقبائه
الشمس تطلع فى أسرة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه

وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مروع منك كل يوم محتمل فيك كل لوم
إن كنت أنكرت ملك رقى غصباً صراحاً بغير سوم
فقل لجنبي : أين قلبي ؟ وقل لعيني : أين نومى ؟

أبو الفتح البكتمرى

يعرف بابن الكاتب الشامى . له شعر يتغنى بأكثره ملاحه ولطافه .

(١) النمرقة : الصغيرة من الوسائد ، والجمع نمارق ، وفى التنزيل العزيز (ونمارق مصفوفة)

أنشدنى أبو بكر الخوارزمى ، قال : أنشدنى ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :

وروضة راضية عن الديم وطأتها بناظرى دون القدم
وصنتها صونى بالشكر النعم

قال : وأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

قالوا : بكيت دما ؟ فقلت : مسحت من خدى خلوقا
أبصرت لؤلؤ ثغره فنثرت من جفنى عقيقا
لولا التمسك بالهوى خلت فى دمعى غريقا

وأنشدنى غيره له من الكامل :

قمر كأن قوامه من قد غصن مسترق
وكأنما اصطبح الربيع بوجنيه واغتبق
وكأنما قلم الزمر د فوق عارضه مشق

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقانى بعينيه كأس الهوى وثنى وتلث بالحاجب
كأن العذار على خده فذالك من مشقة الكاتب

ووجدت على ظهر دفتر عراقى الخط هذين البيتين منسوبين اليه من الكامل] :

ردوا الهدو كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكى رمتم أن تغدروا ما بعد فرقة بيعن تخير(١)

وله زعم فى الميضأة [من السريع] :

أحق بيت من بيوت الورى بصونه قدما وإيناره
بيت إذا [ما] زاره زائر فقد قضى أعظم أوطاره

(١) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا »

يدخله المولى بخز كما يدخله العبد بأطماره
وهو إذا ما كان مستنظفا مروءة الإنسان فى داره

وأنشدنى أبو بكر الخوارزمى ، قال : أنشدنى بعضهم لنفسه فى أبى الفتح ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتى كاتب والشعر من آلته فضل
أنشدنا شعراً فقلنا له : ذا غزل ويحك أم غزل ؟
وملت عنه نحو أصحابنا أسألهم : هل عندكم نعل ! ؟

أبو الفرج العجلى الكاتب

أنشدنى أبو بكر الخوارزمى له أبياتا تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعى تلك البلاد . فمنها قوله [من المتقارب] :

أقول له يا مذيق الهوى ولم أك فيما مضى ذقته
سألتك بالله لا تدننى إلى أجل مادنا وقته
ملكت فؤادى فعذبته ولو أنه فى يدى صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلت نظرة وامق لك خائف من عين واش لحظه ما يفتر
وجعلت أوهم أن قلبى مضمر شيئا سوى نظرى . وأنت المضمر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنى سلوت . وإنى لمشوق والله صب إليه
وهواه يدب فى كل قلب كدبيب السواد فى عارضيه

ومنها قوله وأنشدنيه غيره [من الوافر] :

عذار كالطراز على الطراز   وبدر فى الحقيقة لا المجاز
ولو جاز السجود له سجدنا   ولكن ليس ذاك بمستجاز

أبو عبد الله الحسين بن خالويه*

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه . وله شعر لم يحضرنى منه الآن إلا قوله فى وصف برد همذان [من الطويل] :

إذا همذان اعتارها القر وانقضى   بزعمك أيلول وأنت مقيم
فعينك عمشاء وأنفك سائل   ووجهك مسود البياض بهيم
وأنت أسير البرد تمشى بعلة   على السيف تحبو مرة وتقوم
بلاد إذا ما الصيف أقبل جنة   ولكنها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم فى برد همذان [من الكامل] :

همذان متلفة النفوس ببردها   والزمهرير ، وحرها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها   فكأنما تموزها كانون[1]

(*) اقرأ ترجمة ابن خالويه فى ابن خلكان (١ : ٢٨١ النيل) وقد وقع فى كافة الأصول هنا اسمه « الحسن » وصوبناه على ما فى الوفيات

(١) تموز : شهر رومى يكون فى فصل الصيف ، وكانون : اسم للشهرين من شهور الروم اللذين يكونان فى الشتاء ، كانون أول ، وكانون ثان

، كاتب بكر [من السريع] :

يا بلدة أسلمني بردها   وبرد من يسكنها للقلق
لا يسلم الشاقي به من أذى   من لثق أو دمق أو زلق

ولأبي الربيع البلخي في الشاش[1] [من المجتث] :

الشاش في الصيف جنه   ومن أذى الحر جنه[2]
لكنني تعتريني   بها لدى البرد جنه[3]

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادنا مت قبله   قد صار في الحسن قبله
امنن على بقبله   تشفي فؤاداً موله

ولابن خالويه أيضا [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً   فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل : مالي رأيتك راجلا ؟   فقلت له : من أجل أنك فارس !

أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي *

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهراً طويلا ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعرابه ، وكان الشعر أقل خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله ، فمن ذلك قوله في الغزل [من مجزوء الوافر] :

غزال غير وحشي   حكى الوحشي مقلته
رآه الورد يجني الور   د فاستكساه حلته

(١) الشاش : بلدة مما وراء النهر ، ينسب إليها كثير من العلماء

(٢) « جنة » الأولى بفتح الجيم بمعني البستان ، والثانية بالضم بمعنى الوقاية

(٣) « جنة » ههنا بكسر الجيم بمعنى الجنون

* اقرأ ترجمة أبي الفتح بن جني في وفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٥٦١ النيل)

وشم بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته (١)

وله [من الطويل] :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتووا ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا
وجود المنى أن لا يكاثر بالمنى ونيل الغنى أن لا يكاثر بالغنى
ومن كان فى الدنيا أشد تصورا تجده عن الدنيا أشد تصونا

الشمشاطى

هو أبو الفتح الحسن بن على بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله فى البنفسج [من الكامل] :

اشرب على زهر البنف سج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه آثار قرص فى الخدود

وقوله فى الجلنار [من الخفيف] :

وبدا الجلنار مثل خدود قد كساها الحياء ثوب عقار
صبغة الله كالعقيق تراه أحمرا ناصعا لدى الاخضرار

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرنى شعره أبو القاسم الآدمى . وإذا حصلت عليه ألحقته به . وهذا آخر الباب الرابع .

(١) الصهباء : الخمر ، والنكهة : الريح .

الباب الخامس

فى ذكر أبى الطيب المتنبي ، وما له وما عليه *

هو ـ وإن كان كوفى المولد ـ شامى المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج . نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر فى صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه ، المشهور به . إذ هو الذى جذب بضبعه (١) ، ورفع من قدره ، ونفق سعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر ، وسافر كلامه فى البدو والحضر ، وكادت الليالى تنشده والأيام تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدى ... إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا ... وغنى به من لا يغنى مغردا

وكما قال [من المتقارب] :

ولى فيك ما لم يقل قائل ... وما لم يسر قمر حيث سارا
وعندى لك الشرد السائرا ... ت لا يختصصن من الأرض دارا
إذا سرن من مقول مرة ... وثبن الجبال وخضن البحارا

هذا من أحسن ما قيل فى وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول على بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكن إحسان الخليفة جعفر ... دعانى إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس فى كل بلدة ... وهب هبوب الريح فى البر والبحر

---

* اقرأ ترجمة أبى الطيب في وفيات الأعيان لابن خلكان (١ : ٦٢ النيل) وفى المنتظم لابن الجوزي (٧ : ١٤ ــ ٢٠) وفي ما لا يحصى من المراجع .

(١) كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره ، وفى معناه قول العامة فى ديار مصر « أخذ بيده » .

فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس . ولا أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء فى المحافل ، ولا لحون المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألفت الكتب فى تفسيره ، وحل مشكله وعويصه . وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديئه . وتكلم الأفاضل فى الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه (١). وتفرقوا فرقا فى مدحه والقدح فيه والنضح (٢) عنه . والتعصب له وعليه . وذلك أول دليل دل على وفور فضله ، وتقدم قدمه ، وتفرده عن أهل زمانه ، بملك رقاب القوافى ، ورق المعانى . فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت هفواته وما زالت الأملاك تهجى وتمدح

وأنا مورد فى هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه . وما يرتضى وما يستهجن من مذاهبه فى الشعر وطرائقه . وتفصيل الكلام فى نقد شعره . والتنبيه على عيونه وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله . وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ، ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتميزه عن أصحابها بعلو الشأن فى شعر الزمان . والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة فى كندة سنة ثلاث وثلاثمائة . وأن أباه سافر إلى بلاد الشام . فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها . ومن مدرها

---

(١) العون ـ بضم العين ـ جمع عوان ، وهى النصف من النساء . وفى القرآن (عوان بين ذلك) .

(٢) النضح عنه : أراد الدفاع عنه .

إلى وبرها ، ويسلمه فى المكاتب ، ويردده فى القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجح فيه . حتى توفى أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع . وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوما من رائشى نبله(١) ، على الحداثة من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج . فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل فى الحبس قصيدته التى أولها ، من المتقارب

أيا خدد الله ورد الخدود   وقد قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقى ، ومن شأنه   هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا   ء ، والموت منى كحبل الوريد
دعوتك لما برانى البلى   وأوهن رجلى ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشيهما فى النعال   فقد صار مشيهما فى القيود
وكنت من الناس فى محفل   فها أنا فى محفل من قرود
تعجل فى وجوب الحدود   وحدى قبل وجوب السجود!

أى : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبى لم تجب على الصلاة بعد . ويجوز أن يكون قد صغر سنه وأمر نفسه عند الوالى . لأن من كان صبيا لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف

(١) دعا إلى بيعته : يريد أنه طلب الملك ، وهذا هو المعتقد فى أبى الطيب أما ادعاء النبوة فاما أن يكون اختلاقا عليه وهو الغالب ، وإما أن يكون مخرقة منه وازدراء بالناس ، ورائشى نبله : كناية عمن يقوى بهم ساعده . تقول : راش النبل يريشه ، إذا لزق فيه الريش ليقوى .

ومن شعره فى الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرة [من المنسرح] :

أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيد ، ياأبا دلف
غير اختيار قبلت برك بى والجوع يرضى الأسود بالجيف

يشبه قول أبى عيينة [من مخلع البسيط] :

ما أنت إلا كلحم ميت دعا لى إلى أكله اضطرار

(رجع)

كن أيها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف
لو كان سكناى فيك منقصة لم يكن الدر ساكن الصدف

ويحكى أنه تنبأ فى صباه ، وفتن شرذمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ..وحكى أبو الفتح عثمان بن جنى قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبى لقولى [من الخفيف] :

أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدا وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود

وفى هذه القصيدة يقول :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

وما زال فى برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور حب الولاية والرياسة فى راسه ، ويظهر ما يضمر من كامن وسواسه ، فى الخروج على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ، ويستكثر من التصريح بذلك فى مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
لأتركن وجوه الخيل ساهمة والحرب أقوم من ساق على قدم

[والطعن يحرقها والزجر يقلقها حتى كأن بها ضربا من اللمم
قد كلمتها العوالى فهى كالحة كأنما الصاب مذرور على اللجم (١)
بكل منصلت مازال منتظرى حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج فى الحرم

وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا
وطعن كأن الطعن لاطعن بعده وضرب كأن النار من حره برد
إذا شئت حفت بى على كل سابح رجال كأن الموت فى فمها شهد

وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتضريب أعناق الملوك ، وأن ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك فى الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وقوله [من البسيط] :

وإن عمرت جعلت الحرب والدة والسمهرى أخا . والمشرفى أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسما حتى كأن له فى قتله أربا
قح يكاد صهيل الخيل يقذفه من سرجه مرحاً للعز أو طربا
الموت أعذر لى ، والصبر أجمل بى ، والبر أوسع ، والدنيا لمن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله ، ويمشى فى مناكب الأرض ، ويطوى المناهل والمراحل . ولازاد إلا من ضرب الحراب ، على

(١) هذا البيت والذي قبله ساقطان من ب

صفحة المحراب (١) . ولا مطية إلا الخف أوالنعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتى تقبل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها . والشسوع مقودها

وإنما ألم فى هذا المعنى بأبى نواس فى قوله [من الطويل] :

إليك أبا العباس من بين من مشي عليها امتطينا الحضرمى الملسنا (٢)
قلائص لم تعرف حنيناً على طلا ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا (٣)

وكما قال فى شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتنى الدنيا فلما جئتها مستسقيا مطرت على مصائبا (٤)
وحبيت من خوص الركاب بأسود من دارش فغدوت أمشى راكبا

وكما قال فى الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرجلة [من المنسرح] :

ومهمه جبته على قدمى تعجز عنه العرامس الذلل (٥)
[بصارمى مرتد ، بمخبرتى مجتزىء ، بالظلام معتمل] (٦)

---

(١) أراد بالمحراب ههنا العنق ، يريد أنه ينتهب الناس بعد ما يقتلهم .

(٢) أراد بالحضرمى الملسن النعل الذى يلبسه فى رجله .

(٣) قلائص : هى فى الأصل النوق الشواب ، والطلا ، هنا : الصغير من ولد الابل ، والفنيق : الفحل من فحولة الابل ، والهنا : طلى الابل الجربى بالقطران ، وإذا كان هو إنما يريد نعله فان النعل لا يعرف شيئا من ذلك .

(٤) أظمتنى : أصلها أظمأتنى ـ بالهمز ـ فسهل الهمزة وصارت ألفا ، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية

(٥) العرامس : النوق الشديدة ، والذلل ـ بضمتين ـ جمع ذلول ، وهو السهلة القياد .

(٦) هذا البيت ساقط من ب

إذا صديق نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب وفي بلاد من أختها بدل

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرفاهم بأني من مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب . ويصطاد ما بين الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها [من الكامل] :

بأبي الشموس الجانحات غواربا [اللابسات من الحرير جلابيا]

ومنها :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلي منها تائبا

إلا دينارا واحدا ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرت له أخلاف الدنيا على يده ، كان من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السرى خلفي لمن قل ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
وقيدت نفسي في هواك محبة ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا

وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلقة عليك رقابها مغلولة ، إن الوفاء إسار

ولكنه أخذ عباءة وردها ديباجا ، وأرسلها مثلا سائرا ، وكرر هذا المعنى فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط]:

أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل دعا فلباه قبل الركب والإبل

وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة، فلما انتهى إلى قوله :

يا أيها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان، لاقبلي

[ماكان نومي إلا فوق معرفتي بأن رأيك لا يؤتى من الزلل]

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد زد هش بش تفضل أدن سر صل

وقع تحت أقل : قد أقلناك، وتحت أنل : يحمل إليه من الدراهم كذا. وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب، وتحت احمل: يقاد إليه الفرس الفلاني. وتحت عل : قد فعلنا، وتحت سل : قد فعلنافاسل، وتحت أعد : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا، وتحت زد : يزاد كذا. وتحت تفضل : قدفعلنا، وتحت أدن : قد أدنيناك، وتحت سر : قد سررناك. وتحت صل : قدفعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية، فأمرله بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي — وهو شيخ كان بحضرته ظريف — قال له — وحسد المتنبي على ما أمر به — : يا مولاى قد فعلت به كل شيء سألكه، فهلا قلت له لما قال لك هش بش : هه هه هه، يحكي الضحك، فضحك سيف الدولة، فقال له : ولك أيضاً ما تحب، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال من الخفيف :

احل وامرر وضر وانفع ولن واخـ شن ورش وابر وانتدب للمعالي

وحكى ابن جنى قال : حدثنى أبو على الحسين بن أحمد الصنوبرى ، قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلثم قد أهوى نحوى برمح طويل ، وسدده إلى صدرى ، فكدت أطرح نفسى عن الدابة فرقا ، فلما قرب منى ثنى السنان وحسر لثامه[1]، فإذا المتنبى ، وأنشدنى [من الطويل] :

نثرنا رءوسا بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم

ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد قتلتنى يا رجل ، قال ابن جنى : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبى الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا على من التقريظ والثناء بما يقال فى مثله .

قال : وأنشدت أبا على ليلا قصيدة أبى الطيب التى أولها [من البسيط] :

. واحر قلباه ممن قلبه شبم[2]

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشر ما قنصته راحتى قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم

أعجب جدا به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت ومن لا قدر له فى أخذ عطاياك فأى فضل لى عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل

قال : وحدثنى المتنبى قال : حدثنى فلان الهاشمى من أهل حران بمصر ،

---

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه ، فانكشف وجهه وظهر

(٢) شبم ــ بفتح الشين وكسر الباء ــ أراد به البارد لأنه لم يداخله الحب فلم يحترق بناره

قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك [من البسيط] :

بم التعلل لا أهل ولا وطن   ولا نديم ولا كأس ولا سكن ؟

فأجابتني عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت . بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلي وحشة لكم   ثم استمر مريري وارعوى الوسن

قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإن بليت بود مثل ودكم   فإنني بفراق مثله قمن

قال : سار وحق أبي

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقد رأيت الملوك قاطبة   وسرت حتى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإن أحق الناس باللوم شاعر   يلوم على البخل الرجال ويبخل

وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها   وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

حضرت عنده يوما بحلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه بنقرها ويعالج استنقاذها منه ، ويشتغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار بعضها ، فتمثل ببيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبدت لنا كالشمس بين غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى إمكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر المائدة

وسمعته يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التى أولها [من الوافر] :

* مغانى الشعب طيباً فى المغانى *

وانتهى إلى قوله فيها

وألقى الشرق منها فى ثيابى دنانيرا تفر من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها فى يديك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبي الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا فى هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمى ، والحاتمى ، وأسمعوه ما يكره ، وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبهم ولم يفكر فيهم ، وقيل له فى ذلك . فقال : إنى فرغت من إجابتهم بقولى لمن هم أرفع طبقة منهم فى الشعراء [من الوافر] :

أرى المتشاعرين غروا بذمى ومن ذا يحمل الداء العضالا

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقولى [من الطويل] :

أفى كل يوم تحت ضبنى شويعر ضعيف يقاوينى قصير يطاول[1]

لسانى بنطق صامت عنه عادل وقلبى بصمتى ضاحك منه هازل

---

(١) الضبن ـ بكسر الضاد وسكون الباء ـ مابين الكشح والابط

وأتعب من ناداك من لا تجيبه   وأغيظ من عاداك من لا تشاكل
وما التيه طبي فيهم غير أنني   بغيض إلى الجاهل المتعاقل[١]

وقولى [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص   فهى الشهادة لى بأنى فاضل

قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقيعة شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسدا له ، طاعنا عليه ، هاجياً إياه ، زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم   ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا
أعطيتم المتنبي فوق منيته   فزوجوه برغم أمهاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها   نعالهم فى قفا السقاء تزدحم

قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبيكم ابن سقاء كوفا   ن ويوحى من الكنيف إليه
كان من فيه يسلح الشعر حتى   سلحت فقحة الزمان عليه

ومن قوله أيضاً فيه [من المجتث] :

ما أوقح المتنبي   فيما حكى وادعاه
أبيح مالا عظيما   حتى أباح قفاه
باسائلى عن غناه   من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً   فالجاثليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملا ، وفارق بغداد متوجهاً إلى حضرة

---

(١) طبي – بكسر الطاء – عادتى أو خلقى ، ومنه قول فروة بن مسيك :

فما إن طبنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا

أبي الفضل بن العميد مراغما للمهلبي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن الصاحب أبا القاسم طمع فى زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه فى استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزنا ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية ، وورود مشرع المنية ، واتخذه الصاحب غرضا يرشقه بسهام الوقيعة ، ويتتبع عليه سقطاته فى شعره وهفواته ، وينعى عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالا إياها وتمثلا بها فى محاضراته ومكاتباته . وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شتمت من يشتمنى مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته
فقال : لما وقع البزاز فى الـــثوب علمنا أنه من حاجته

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدنيا تذم وتحلب

وكما قال الآخر [من البسيط] :

نبئت أنى إذا ما غبت تشتمنى هل ما بدا لك فالمحبوب مسبوب

* * *

قطعة من حال الصاحب وغيره نظم المتنبي

واستعانتهم بألفاظه ومعانيه فى الترسل

فصل له من رسالة فى وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامح على الخطبة . وترى أن الأيام

قد صالحتها على الإعفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث . فلما أتاح الله للدنيا ابن بجدتها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار . فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين ومثواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق . ومجر العوالى . ومجرى السوابق .

وإنما ألم بألفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :

حتى أتى الدنيا ابن بجدتها فشكا إليه السهل والجبل

والآخر [من الطويل] :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجر عوالينا ومجرى السوابق

وفصل له — لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر . فإن سعادة مولانا لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن لله أسراراً فى علاه لا يزال يبديها . ويصل أوائلها بتواليها .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سر فى علاك ، وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان

فصل — ولو كان ما أحسنه شظية فى قلم كاتب لما غيرت خطه ، أو قذى فى عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت فى شق رأسه من السقم ماغيرت من خط كاتب

وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زج بى فى ناظر النائم لم ينتبه

ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلوان ما أبقيت فى جسدى قذى فى العين لم يمنع من الإغفاء

فصل للصاحب فى التعزية — إذا كان الشيخ القدوة فى العلم وما يقتضيه ،

والأسوة فى الدين وما يجب فيه . لزم أن يتأدب فى حالات الصبر والشكر بأدبه ، ويؤخذ فى ثارات الأسى والأسى بمذهبه . فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ، إلا إذا روينا له بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأحـ باب فوق الذى يعزيك عقلا

وبألفاظك اهتدى فإذا عزا ك قال الذى له قلت قبلا

وفصل له — وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكى رائحة الرياض كلامها تبغى الثناء على الحيا فيفوح [1]

والأصل فيه قول ابن الرومى [من الخفيف] :

شكرت نعمة الولى على الوسمـ ـى ثم العهاد بعد العهاد [2]

فهى تثنى على السماء ثناء طيب النشر شائعا فى البلاد

من نسيم كأن مسراه فى الأر واح مسرى الأرواح فى الأجساد

ومما أورره من أبيات أبي الطيب كما هى قوله فى كتاب أجاب به ابن العميد عن كتابه الصادر إليه عن شاطىء البحر فى وصف مراكبه وعجائبه :

---

(١) الحيا : المطر . شبه رائحة أزهار الرياض بالكلام ، ثم بين أن الرياض أرادت أن تتحدث عن صنائع المطر فأرسلت عبير أزهارها تحدث عنه .

(٢) الضمير المستتر فى « شكرت » يعود إلى الرياض ، والولي — بفتح الواو وكسر اللام وتشديد الياء — المطر بعد مطر ، والوسمى — بفتح فسكون — مطر الربيع . والعهاد — بكسر العين ، بزنة الكتاب — أول المطر

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره . ولو فعل ذلك لرأى البحر وشلا لا يفضل عن التبرض(١) ، وثمداً لا يكثر عن الترشف(٢) [من الطويل] :

وكم من جبال جبت تشهد أنني الـ ... جبال وبحر شاهد أنني البحر(٣)

وله من رسالة فى التهنئة ببنت أولها — أهلا بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :

ولو كان النساء كمثل هذى ... لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة فى مرثية والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

ولو كان النساء كمن فقدنا .

وللصاحب من كتاب تعزية — وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ . وترك من ترك ، فهو لا شك يعفو عن القمر . وقد أسلم الشمس للطفل(٤) ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأى حكم الملوين ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقى بالفانى ، والغابر

---

(١) الوشل — بفتح الواو والشين — القليل من الماء ، والتبرض : الاكتفاء والتبلغ بالقليل ، ولا يفضل عنه : لا يزيد على قدره

(٢) الثمد — بفتحتين — الماء القليل ، والترشف : أخذ الماء جرعة بعد جرعة ومعنى هذه الفاصلة كمعنى سابقتها

(٣) جبت : قطعت ، جاب الأرض يجوبها : قطعها

(٤) الطفل — بفتح الطاء والفاء جميعا — الوقت عند غروب الشمس ، وأراد هنا غروبها

بالماضى [من البسيط] :

وعاد فى طلب المتروك تاركه   إنا لنفعل والأيام فى الطلب
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما   كأنه الوقت بين الورد والقرب

أقول : هذا كعادة المصدور فى النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل . لا يترك الموت ساعيا على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن الترب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا   نعاف مالا بد من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا   على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه   وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيض من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبى ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد فى الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابى رسيله فى ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونبهت عليه : فمنه ما كتب فى تقريظ — شاب مقتبل الشبيبة ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله فى اقتبال العمر جوامع الفضل . وسوغه فى عنفوان الشباب محامد الاستكمال . فلا تجد الكهولة خلة تتلافاها بتطاول المدة ، ولا ثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبى الطيب ، وإن كان فى معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر فى مكارمه   إذا انتشى خلة تلافاها

وأخذ من قول البحترى [من الطويل] :

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم   فما استطعن أن يحدثن فيك تكرما

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنئة بقضاء القضاة ـ منزلة قاضى القضاة

تجل عن التهنئة ، لأن ماتكتسبه الولاة بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يدا تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالى ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غاية نزلوا

ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلى إلى العاطل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما هو من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلب ظافرا كعود الحلى إلى العاطل

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :

ألا إن حل الشعر زينة كاتب ولكن منهم من يحل فيعقد

وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشبيبي :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن [1] بل جنة عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :

كأن كل سؤال في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوب

وفصل لأبي بكر الخوارزمي - وكيف أمدح الأمير بخلق ضن به الهواء .

---

(١) حزن - بفتح فسكون - هو ههنا : موضع في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض ومنازه .

وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين ، وسمعه الأصم بلا أذن .

وهو حل نظم أبى الطيب [من المنسرح] :

تنشد أثوابنا مدائحه بألسن ما لهن أفواه
إذا مررنا على الأصم بها أغنته عن مسمعيه عيناه

ولأبى بكر من رسالة ـ ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم ، وأفسد الشعر حتى أحمد الصمم .

وهو قول أبى الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرنه كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبى الطيب باب هذا مكانه .

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ ـ قال المتنبى [من الوافر] :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطانى من السقم المحاقا

أخذه أبو الفرج الببغاء فلطفه وقال [من الكامل] :

أو ليس من إحدى العجائب أننى فارقته وحييت بعد فراقه
يامن يحاكى البدر عند تمامه ارحم فتى يحكيه عند محاقه

٢ ـ وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى ، وألف فى ذا القلب أحزانا

أخذه المهلبى الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتنى فما تلتقى إلا على عبرة تجرى

٣ – وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنت إذا يممت أرضاً بعيدة سريت فكنت السر والليل كاتمه

أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشمتها والليل وحف جناحه كأنى سر والظلام ضمير

٤ – وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشى لا متجملات ولكن كى يصن به الجمالا

أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشى لا لتجمل ولكن لصون الحسن بين برود

وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب ببيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :

والنجم فى كبد السماء كأنه أعمى تحير مالديه قائد

فقال [من المنسرح] :

ما بال هذى النجوم حائرة كأنها العمى ما لها قائد

وهذه مصالتة لا سرقة (١) . وهى مذمومة جدا عند النقدة .

٥ – وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاك وحيانا بك الله ، إنما على العيس نور والخدور كمائمه

أخذه السرى بن أحمد . قال ابن جنى : أنشدنى نفسه من قصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد ، وهى قوله [من المنسرح] :

حياه الله عاشقيه فقد أصبح ريحانة لمن عشقا

ولم أجد أنا هذه القصيدة فى ديوان شعره . والبيت نهاية فى العذوبة وخفة الروح .

٦ – والسرى كثير الأخذ من أبى الطيب فى مثل قوله [من الوافر :

---

(١) المصالتة : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر ، ولا يكتفى بهذا حتى يضم إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها كما رأيت .

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأننا على كرة أو أرضه معنا سفر

٧ — وقال السري [من الكامل] :

وأحلها من قلب عاشقها الهوى بيتا بلا عمد ولا أطناب

وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتا من القلب لم تضرب به طنبا

٨ — وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه عندي وعند سواي من أنوائه

وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الديم

٩ — وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام (١)

أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من الوافر] :

فديتك ما بدالي قصد حر سواك من الورى إلا بدالي

وأنك منهم وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللآلي

وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ حجارة والزمرد في الجبال

وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

---

(١) الرغام : التراب

فإن يك سيار بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد

١٠ — وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها فإن فى الخمر معنى ليس فى العنب

ألم به أبو الفتح على بن محمد البستى الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرز عليه إذا نازعته قصب المجد

وللخمر معنى ليس فى الكرم مثله وفى النار نور ليس يوجد فى الزند

وخير من القول المقدم فاعترف نتيجته والنحل بسكرم للشهد

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبوك كريم غير أنك سابق مداه بلا ضيم عليه ولا ذيم[١]

فلا يعجبن الناس مما أقوله وأقضى به فالغيث أندى من الغيم

١١ — وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصرت أشك فيمن أصطفيه لعلمى أنه بعض الأنام

أخذه أبو بكر الخوارزمى فقال [من الرمل] :

قد ظلمناك بحسن الـ ظن يا بعض الأنام

١٢ — وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد فى الدهر مخترقا فقد أتيناه بعد الشيب والخرف

١٣ — وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى. ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا . وأنت الخلائق

امتثله أبو الحسن السلامى فقال [من الطويل] :

---

(١) الذيم ، والذام : العيب .

وبشرتَ آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا ، ويوم هو الدهر

١٤ — وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق

أخذه أبو القاسم الزعفرانى ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنيك فى النداء طيور أنا وحدى ما بينهن الهزار

وإذ قد ذكرت أنموذجا من سرقات الشعراء منه . فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضى أبو الحسن على بن عبد العزيز فى كتاب « الوساطة » فشفى وكفى وبالغ فأوفى . وسوى ما مر ويمر منها فى أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته[1]

١ — قال مخلد الموصلى [من مخلع البسيط] :

يا منزلا ضن بالسلام سقيت ربا من الغمام

ما ترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامى

أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كل هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلنى حتى حكت جسدى

٢ — وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

(١) أخذ الشيخ يوسف البديعى صاحب « الصبح المنبي » هذه الفصول بحروفها

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن فى تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى   بأهل المجد من نهب القماش

٣ — وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا   وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنما كسى النهار بها دجى   ليل ، وأطلعت الرماح كواكبا

٤ — وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

وما ريح الرياض لها ولكن   كساها دفنهم فى الترب طيبا

٥ — وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنت فيهم كممطور ببلدته   يسر أن جمع الأوطان والمطرا

أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الذى يتبع الوبل رائداً   كمن جاءه فى داره رائد الوبل

٦ — وفى قوله فى هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيل إذا مرت بوحش وروضة   أبت رعيها إلا ومرجلنا يغلى

أخذه من قول امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا   تعالوا إلى أن يأتى الصيد نحطب

٧ — وقال أبو نواس . ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط]

وكلت بالدهر عيناً غير غافلة   بجود كفك تأسو كل ما جرحا

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تتبع آثار الرزايا بجوده   تتبع آثار الأسنة بالفتل

٨ — وقال أبو نواس ، وهو من قلائده فى وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى   دعا همه من صــــدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هى إلا لحظة بعد لحظة   إذا نزلت فى قلبه رحل العقل

٩ — وقال ابن أبى عيينة ، ويروى للخليل [من البسيط] :

زر وادى القصر ، نعم القصر والوادى   فى منزل حاضر ، إن شئت ، أو بادى

ترقى به السفن والظلمان حاضرة   والضب والنون والملاح والحادى[1]

وهذا أحسن ما قيل فى وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب فى وصف متصيد عضد الدولة بناحيه سهلية جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقياً لدشت الأرزن الطوال   بين المروج الفيح والأغيال[2]

مجاور الخــــنزير والرئبال   دانى الخنانيص من الأشبال[3]

مستشرف الدب على الغزال   مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ — وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بل من داء به ظن أنه   نجا ، وبه الداء الذى هو قاتله[4]

---

(١) الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت ، والحادى : من يسوق الابل ويزجرها . وفى الصبح «تلقى به السفن والغلمان» وهو أفضل

(٢) الدشت : الصحراء ، وهى لفظة فارسية ، والأرزن : الشجر . والفيح : الواسعة ومفرده فيحاء ، والغيل : أجمة الأسد

(٣) الخنانيص : أولاد الخنزير

(٤) الأبلال : النجاة من المرض

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإن أسلم فما أبقى ولكن   سلمت من الحمام إلى الحمام

١١ – وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هل يغلبني واحد أقاتله   ريم على لباته سلاسله[1]

سلاحه يوم الوغى مكاحله

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعنى ثغر الرجال جآذر   ومن الرماح دمالج وخلاخل

ولذا اسم أغطية العيون جفونها   من أنها عمل السيوف عوامل

١٢ – وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربت خلائقه وأغرب شاعر   فيه فأبدع مغرب فى مغرب

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفـ   ـظ كلانا رب المعانى الدقاق

١٣ – وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدون بالبيض القواطع أيديا   فهن سواء والسيوف قواطع

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همام إذا ما فارق الغمد سيفه   وعاينته لم تدر أيهما النصل

١٤ – وقال ابن الرومى [من السريع] :

لا قدست نعمى تسربلتها   كم حجة فيها لزنديق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

---

(١) الريم : الظبي الخالص البياض ، واللبة : موضع القلادة

فإنه حجة يؤذى القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقدم

١٥ - ولابن الرومى وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

ورب قبح وحلى ثقال أحسن منها الحسن فى المعطال

١٦ - وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجربت حتى لا أرى الدهر مغربا على بشىء لم يكن فى تجاربى

أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلوا ومرا وسلكت الأيام حزنا وسهلا
وقتلت الزمان علما فما يغـ رب قولا ولا يجدد فعلا

وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا فلما دهتنا لم تزدنى بها علما

١٧ - وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبى محمد . ويسليه ببقاء أبى الحسين القاسم أبياتا منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبى الحسين وقد ربحت عليه
وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمنى المرء خير يديه

فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جورا جعل القسم نفسه فيك عدلا
فإذا قست ما أخذن بما غا درن سرى عن الفؤاد وسلى
وتيقنت أن حظك أوفى وتبينت أن جدك أعلى

١٨ - وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز . على تركه الإقرار بالنظر

فى شعر المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعة كما تكسب منها نورها القمر

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملى

١٩ — وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثني وبياض الصبح يغرى بي

من مصراع لابن المعتز . ذكر ابن جنى قال : حدثني المتنبي — وقت القراءة عليه — [قال] : قال لي ابن حنزابة وزير كافور : أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لى من أين أخذت هذا المعنى . فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتبا .

قال ابن جنى : ثم إنى عثرت بالموضع الذى أخذه منه . إذ وجدت لابن المعتز مصراعا بلفظ لين صغير جدا فيه معنى بيت المتنبي كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه . وهو قوله [من البسيط] :

فالشمس نمامة والليل قواد [1]

ولن يخلو المتنبي من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع لحسنه وزينه وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذى عثر به ابن المعتز فأربى عليه فى جودة لأحـــذ . وإما ان يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فلله دره ! وناهيك بشرف لفظه . وبراعة نسجه ! .

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات فى بيت واحد . وما أراه سبق الى مثلها . ومازال الناس يتعجبون من جمع البحترى ثلاث مطابقات فى قوله [من البسيط] :

وأمة كان قبح الجور يسخطها دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

---

(1) صدره : . . . لا تلق إلا بليل من تواصله * وبعده :

كم عاشق وظلام الليل يستره لاقى أحبته والناس رقاد

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات . ولكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيرى من الأيام مدت صروفها إلى وجه من أهوى يدا تمسح الحسن

وأبدت بوجهي طالعات أرى بها سهام أبي يحيى مسددة نحوي

فذاك سواد الخط ينهى عن الهوى وهذا بياض الوجه يأمر بالسلوة

٢٠ — وقال ابن الرومى [من الطويل] :

أرى فضل مال المرء داء لعرضه كما أن فضل الزاد داء لجسمه

فليس لداء العرض شيء كبذله وليس لداء الجسم مثل تحسمه

ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتداوى من كثرة المال بالإقـ ـلال جودا كأن مالا سقام

بعض ما تكرر فى شعره من معانيه

١ — قال [فى سيف الدولة (١)] [من الوافر] :

وأنت المرء تمرضه الحشايا لهمته . وتشفيه الحروب

وقال [يذكر الحمى التى كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما فى طبه أنى جواد أضر بجسمه طول الجمام

٢ — وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجرى هجر الكرى من غير جرم واصلى صلة الضنى

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

(١) ما بين الحاصرتين فى كل المثل ساقط من ... لأن فيه دلالة ما على موضوع الكلمة التى منها المثال

فياليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

٣ — وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجبت عينيك هيبته وليس يحجبه ستر إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة هيهات لست على الحجاب بقادر

من كان ضوء جبينه ونواله لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجب وإذا بطنت فأنت عين الظاهر

٤ — وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أمير أمير عليـــه الندى جواد بخيل بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

ألا إن النـدى أضحى أميرا على مال الأمير أبي الحسين

٥ — وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومال وهبت بلا موعد وقرن سبقت إليه الوعيدا

وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :

فقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود

٦ — وقال [من قصيدة يمدح بها كافورا] [من الطويل] :

وما رغبتي في عسجد أستفيده ولـكنها في مفخر أستجــــده

وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

٧ — وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى وألف في ذا القلب أحزانا

وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثاكل

٨ — وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

كأنك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلودا

وقال [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

كأنك في الإعطاء المال مبغض وفي كل حرب للمنية عاشق

٩ — وقال [من الخفيف] :

الذي زلت عنه شرقا وغربا ونداه مقابلي [illegible]

وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

ومن فر من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيث ما سار [illegible]

١٠ — وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنما نتجت قياما تحتهم وكأنما ولدوا على صهواتها

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعن غطاريف كأن أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم

١١ — وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحت مجرحا لم يبق منه مكان للسيوف ولا السهام

وقال [في مرثية والدة سيف الدولة] [من الوافر] :

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

١٢ — وقال [يمدح أبا علي هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشكيتي فقد السقام لأنه قد كان لما كان لي أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافورا] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئا تتيمه عين ولا جيد

١٣ — وقال [يصف مدينة مرعش] [من المتقارب] :

تصد الرياح الهوج عنها مخافة [illegible]

وقال [من قصيدة فى مدح كافور] [من البسيط] [١] :

إذا أتتها الرياح النكب فى بلد ... فما تهب بها إلا بترتيب

١٤ — وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة ... تدور فوق البيض مثل الدراهم

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها فى ثيابى ... دنانيراً تفر من البنان

وقال[١] [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى ... مسودة ، ولماء وجهى رونق

حذراً عليه قبل يوم فراقه ... حتى لكدت بماء جفنى أشرق

١٥ — وقال [وقد أهداه عبدالله بن خراسان هدية] [من المنسرح] .

هدية ما رأيت مهديها ... إلا رأيت العباد فى رجل

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

أحلما نرى أم زمانا جديدا ... أم الخلق فى شخص حى أعيدا

ومنه [فى الحسين بن إسحاق التنوخى] [من الطويل]

هى الغرض الأقصى، ورؤيتك المنى ... ومنزلك الدنيا، وأنت الخلائق

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما ... وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

والأصل فيه قول أبى نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

وقال [من البسيط] :

متى نخص إليه الرجال سلمه ... تستجمع الخلق فى تمثال إنسان

---

(١) [illegible] البيتين مع ما قبلهما ولا ما بعدهما . [illegible] . وكذلك سقط من الصبح المنبى ١٧٦

١٦ — وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعد البخل من جبن   وهو الجواد يعد الجبن من بخل

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من المنسرح] :

فقلت إن الفتى شجاعته   تريه فى الشح صورة الفرق

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أن من السماح شجاعة   تدمى . وأن من الشجاعة جودا

١٧ — وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا؟   وكل الناس زور ما خلاكا

وقال فى مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنما الناس أنت . وما النا   س بناس فى موضع منك خال

١٨ — وقال [فى سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض   ومن فوقها والبأس والكرم المحض

وقال [فيه أيضا] [من البسيط] :

وما أخصك فى برء بتهنئة   إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

١٩ — وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

يجاوز قدر المدح حتى كأنه   بأحسن ما يثنى عليه يعاب

وقال [فى عبد الله بن يحيى البحترى] [من البسيط] :

وعظم قدرك فى الآفاق أوهمنى   أنى بقلة ما أثنيت أهجوكا

وقال [يعزى عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عدد إحسانه   كأنه أسرف فى سبه

والأصل فى هذا قول البحترى [من الخفيف] :

جل عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاء

٢٠ - وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذى نلت منه منى لله ما تصنع الخمور

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتى حى فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهنى

٢١ — وقال يمدح سيف الدولة [من الطويل] :

عليم بأسرار الديانات واللغى له خطرات تفضح الناس والكتبا

وقال [فى أبى العشائر على بن الحسين] [من الوافر] :

كأنك ناظر فى كل قلب فما يخفى عليك محل غاش

وقال [من البسيط] :

ووكل الظن بالأسرار فانكشفت له سرائر أهل السهل والجبل

٢٢ — وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفر فدى لك واحبنى من بعدها لتخصنى بعطية منها أنا

وقال [من المنسرح] :

لله أيادٍ إلى سالفة أعد منها ولا أعددها

٢٣ — وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرؤس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وقال [من المتقارب] :

وإن القيام الألى حوله لتحسد أرجلها الأرؤس

٢٤ — وقال [من قصيدة فى مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له إذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال فى وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام

٢٥ — وقال فى معنى هد تصرفت فيه الشعراء من الخفيف :

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

وقال [فى صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

٢٦ — وقال لعلى بن إبراهيم التنوخى يمدحه [من الوافر] :

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم أسرت إلى قلوبهم الهلوعا

وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب فى قلوب الأعادى فكأن القتال قبل التلاقى

وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهم

وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن فى القلوب دراكا قبل أن يبصروا الرماح خيالا

وقال [من الطويل] :

صيام بأبواب القباب جيادهم وأشخاصهم فى قلب خائفهم تعدو

وقال [من البسيط] :

تغير عنه على الغارات هيبته وماله بأقاصى البر أهمال

والأصل فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم : نصرت بالرعب ، ثم أكثر الناس منه . ومن أوجز ما قالوا قول على بن جبلة العكوك [من هزج] :

غدا مجتمع العزم له جند من الرعب

٢٧ ـــ وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال [من الطويل] :

لحى الله ذى الدنيا مناخا لراكب فكل بعيد الهم فيها معذب

٢٨ ـــ وقال [من الخفيف] :

ومعال إذا ادعاها سواهم لزمته خيانة السراق

وقال [من الكامل] :

مسكية النفحات إلا أنها وحشية بسواهم لاتعبق

* *

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقابحه :

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء فضلا أن تعد معائبه[1]

ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :

فحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع في داج من الليل غيهب

١ ـــ فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبراعة والجودة معنى . لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد مجه السمع ، وزجه القلب . ونبت عنه النفس . وجرى أوله على مانقوله العامة ، أول الدن دردى ،

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمرى من أحرار الكلام وغرره . بل هي ـ كما نعاها عليه العائبون ـ مستشنعة لايرفع السمع لها حجابه ، ولا يفتح القلب لها بابه ، كقوله [من الكامل] :

هذى برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا

(١) في الصبح (١٨٠) « كفى المرء نبلا » وهو المحفوظ .

فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من« هذى » ، وهو غير جائز عندالنحويين ، حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفى الثقل والبرد .

وكقوله[من المنسرح] :

- أوه بديل من قولتى واها

وهو برقية العقرب أشبه منه بافتتاح كلام فى مخاطبة ملك .

وكقوله ـ وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفى شرفه وغرابته بالتعب فى استخراجه ، ولاتقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذى باستماعه [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وكقوله فى استفتاح قصيدة فى مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وفى الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا مافيه من الطيرة ، التى تنفر منها السوقة ، فضلا عن الملوك .

حكى الصاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوما الشعر ، فقال : وإن أول مايحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فان ابن أبى الشباب أنشدنى فى يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

- أقبر وما طلت ثراك يد الطل ؟

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال ابن مقاتل لما مدح الداعى بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشرى ولكن بشربان غرة الداعى ويوم المهرجان

فإنه نفر من قوله « لاتقل بشرى » أشد نفار . وقال : أعمى وتبتدىء بهذا فى يوم مهرجان ؟!

قال الصاحب : ومن عنوان قصائده التى تحير الأفهام . وتفوت الأوهام .

وتجمع من الحساب مالايدرك بالأرتماطيق ، وبالأعداد الموضوعة للموسيق [من الوافر] :

أحاد أم سداس فى أحاد   لييلتنا المنوطة بالتنادى

وهذا كلام الحكل ورطانة الزط (١) وماظنك بممدوح قد تشمر للسماع من مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعانى المنبوذة ؟ فأى هزة تبق هناك ؟ وأى أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه فى اللفظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعانى . حتى احتيج فى الاعتذار له ، والنضح عنه . إلى كلام لايستأهله هذا البيت ، ولايتسع له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التى تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :

ملث القطر أعطشها ربوعا   وإلا فاسقها السم النجيعا

وقوله [من الكامل] :

أثلت فإنا أيها الطلل   [نبكى وترزم تحتنا الإبل]

وقوله [من الوافر] :

بقائى شاء ليس هم ارتحالا   وحسن الصبر زموا لا الرحالا]

قال الصاحب : ومن افتتاحاته العجيبة قوله لسيف الدولة فى التسلية عند المصيبة [من الطويل] :

لايحزن الله الأمير فإننى   لآخذ من حالاته بنصيب

قال الصاحب : لاأدرى لم لايحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبى بنصيب من القلق !

٢ — ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك فى شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر مايحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه العادة السيئة . .

(١) الحكل : مالا يسمع صوته كالذر ، والحكلة : العجمة فى الكلام . والزط : جيل من الهنود .

ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينا هو يصوغ أفخر حلى ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفس وشى ، ويختال فى حديقة ورد ، إذا به وقد رمى بالبيت والبيتين فى إبعاد الاستعارة ، أو تعويص اللفظ ، أو تعقيد المعنى ، إلى المبالغة فى التكلف ، والزيادة فى التعمق ، والخروج إلى الإفراط والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ، واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك بألسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر [من الكامل] :

أنت العروس لها جمال رائق   لكنها فى كل يوم تصرع

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أومن يتبخر بالند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندى والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرنقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذرونى فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله من الخفيف :

أتراها لكثرة العشاق   تحسب الدمع خلقة فى المآقى ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالى العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثى التى ترى كل جفن   راءها غير جفنها غير راقى

وقوله [من الطويل] :

ليالى بعد الظاعنين شكول   طوال وليل العاشقين طويل

يبن لى البدر الذى لا أريده ويخفين بدءاً ما إليه وصول
وما عشت من بعد الأحبة سلوة ولكننى للنائبات حمول
وما شرقى بالماء إلا تذكرا لماء به أهل الخليط نزول
يحرمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمآن إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل فى ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغركم طول الجيوش وعرضها على شروب للجيوش أكول
إذا لم تكن لليث إلا فريسة غذاه ولم ينفعك أنك فيل

ثم أتى بما هو أطم منه فقال ، وذكر للصاحب أنه من أوابده التى لا يسمع طول الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففى الناس بوقات لها وطبول
فإن تكن الدولات قسما فإنها لمن ورد الموت الزؤام تدول

قال الصاحب : قوله « الدولات » و « تدول » من الألفاظ التى لو رزق فضل السكوت عنها لكان سعيدا .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبعرة . والدرة والآجرة [من الكامل] :

لك يا منازل فى الفؤاد منازل أقفرت أنت ، وهن منك أواهل

وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف . ثم قال :

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

وهو وإن كان مأخوذا من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلبا بظلامتى أحدا طرفى وقلبى فى دمى اشتركا

فإنه آخذ بأطراف الرشاقة والملاحة ، ثم استمر فى قصيدته ، فجاء بالمتوسط المقارب والبديع النادر والردىء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

وهذا معنى فى نهاية الحسن واللطف لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفة سجرتك شوقا بعدما غرى الرقيب بنا ولج العاذل

فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أى ملأتك (هكذا الرواية بالجيم . ولو كانت بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتى نصب أدقهما وضم الشاكل

أى : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية الإحسان :

للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل

جمح الزمان فما لذيذ خالص مما يشوب ، ولا سرور كامل

حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤ يته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جنى : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن المنى رؤيته إلا أن هيبته تهول . ثم قال فجمع أوصافا فى بيت واحد :

للشمس فيه وللرياح وللسحا ب وللبحار وللأسود شمائل

ثم قال وتحذق وتبرد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل [1]

وإنما ألم فى صدر هذا البيت بقول أبى تمام [من المنسرح

. نأخذ من ماله ومن أدبه

ثم قال :

علامة العلماء واللج الذى لا ينتهى ، ولكل لج ساحل

(١) يريد : من العقيان ، ومن الحياة ، ومن الموت . فحذف النون من « من » الجارة وألف الوصل من المجرور بها

ثم قال فأحال :

لو طاب مولد كل حي مثله　　ولد النساء ومالهن قوابل

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغنى به عن القابلة ، وإن استغنى عنها كان ماذا ؟ وأى فخر فيه ؟ وأى شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعا　　هيهات تكتم فى الظلام مشاعل

ستروا الندى ستر الغراب سفاده　　فبدا ، وهل يخفى الرباب الهاطل ؟

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم　　شيم على الحسب الأغر دلائل

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افخر فإن الناس فيك ثلاثة :　　مستعظم ، أو حاسد ، أو جاهل

أى : يا هذا افخر ، فحذف المنادى . وتباغض وتبادى (١) ، ثم قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا　　شعرا . ولكنى الهزبر الباسل

ثم قال وأرسله مثلا سائرا ، وأحسن جدا :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص　　فهى الشهادة لى بأنى كامل

ما نال أهل الجاهلية كلهم　　شعرى ، ولا سمعت بسحرى بابل

ثم قال وتعسف فى اللفظ :

أما وحقك وهو غاية مقسم　　للحق أنت ، وما سواك الباطل

---

(١) قد حذف المنادى قبل فعل الأمر كثيراً فى شعر العرب ، فمن ذلك قول ذى الرمة :

ألا يا اسلمى يا دارمي على البلي　　ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ومنه قول الآخر .

ألا يا اسلمى ياهند هند بنى بدر　　ولا زال حياناعدى آخر الدهر

الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه ، أين مثلك أينا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التى تقدمت [من البسيط] :

قد علم البين منا البين أجفانا تدمى ، وألف فى ذا القلب أحزانا

أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحى دون السير حيرانا

بالواخدات وحاديها وبى قمر يظل من وخدها فى الخدر حشيانا

وحشيان — بالحاء المهملة — من الغريب الوحشى ، الذى لا يأنس به السمع ، ولا يقبله القلب . يقال : حشى الرجل حشيا فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول : إذا وخدت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروى خشيانا بالخاء معجمة من الخشية

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى فاليوم كل عزيز بعدكم هان

ثم أراد أن يزيد على الشعراء فى وصف المطايا ، فأتى ـ كما قال الصاحب ـ بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

قال الصاحب : ومن الناس أمه . فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح أعلى له عصبة لا يريد أن يركبوا إليه . فهل فى الأرض أخش من هذا السخف وأوضع من هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عما يراه من الإحسان عميا

وقال ، ثم قال وأجاد فى مدح الممدوح :

إن كوتبوا . أولقوا ، أوحوربوا ، وجدوا
فى الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت على رماحهم فى الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمإ أو ينشقون من الخطى ريحانا

ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمى الشفاه جعاد الشعر غرانا

والزنجى لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد احتج عنه أصحاب المعانى بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله فى قصيدة [من المتقارب] :

وملومة زرد ثوبها ولكنه بالقنا مخمل
يفاجئ جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل

ثم يتصور فى هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك فى القلب لى عدة لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه

. . .

٣ — ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التى يتسنمها ، ويأخذ عليها فى الطرق الوعرة فيضل ويضل ويتعب ويتعب ولا ينجح . إذ يقول فى وصف الناقة [من الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً فى نيها إسئادها فى المهمه الأنضاء

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء فى نيها إسآدها فى المهمه : أى كلما قطعت

الأرض فطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا

ويقول فى المدح [من الكامل] :

أنى يكون أبا البرايا آدم وأبوك ، والثقلان أنت ، محمد

وتقديره : أنى يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان

وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عذلوا فيها أجبت بأنة حبيتا قلبي فؤادى هيا جمل

أراد « يا حبيبتى » ثم أبدل الياء من حبيبتى ألفا تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب لأنه بدل من حبيبتا ، و « فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخى سيدى مولاى . نداء بعد نداء . ويقال فى النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد

وأشباه هذه الأبيات كثيرة فى شعره كقوله [من الطويل] :

لسانى وعينى والفؤاد وهمتى أود اللواتى ذا اسمها منك والشطر

وقوله [من الطويل] :

فتى ألف جزء رأيه فى زمانه أقل جزى بعضه الرأى أجمع

وقوله [من الكامل] :

لولم تكن من ذا الورى اللذمنكهو عقمت بمولد نسلها حواء

وهو مما اعتل لفظه . ولم يصح معناه . فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر . وكد الخاطر ، والحمل على القريحة . [ثم إن ظفر بعد العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل

*

٤ — ومنها عسف اللغة والإعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عد المحتجين عنه الاعتذار له . والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبى الماجد الجائد القرم

ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد . ومطر جواد

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعر تتصلن لدنه وأرحام مال لا تنى تتقطع

وتشديد النون من « لدن » غير معروف فى لغة العرب

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل

والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة. قال الصاحب : لا أدرى الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟

وكقوله [من الكامل]

بيضاء يمنعها تكلم دلها تيها ، ويمنعها الحياء تميسا

فنصب « تميس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .

وكقوله [من الكامل] :

ونكرمت ركباتها عن مبرك تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا

فجمع الركبات ثم انتقل إلى التثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد فى صناعة الإعراب

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول

وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلاكا لا لسوى ودك لى ذاكا

فوصل الضمير بإلا ، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى (١) : « ضل من تدعون إلا إياه »

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود فى عينى من الظلم

وألف التعجب (٢) لا تدخل على أفعل ، وإنما يقال : أشد سوادا وحمرة وخضرة

وكقوله [من الكامل] :

جللا كما بى فليك التبريح

وحذف النون من «يكن» إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين (٣) . لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافا إذا سكنت

وكقوله [من الطويل] :

، أمط عنك تشبيهى بما وكأنه

والتشبيه بما محال

وكقوله [من الكامل] :

لعظمت حتى لو تكون أمانة ما كان مؤتمناً بها جبرين

قال الصاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون . ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز . هذا على ما فى البيت من الفساد والقبح

---

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء

(٢) يريد أن صيغة « أفعل » فى التفضيل والتعجب لا تبني من الأفعال الدالة على الألوان ، وهذا رأى كثير من النحاة ، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسواد بخصوصهما

(٣) أجازه يونس بن حبيب . واستدل له بوروده فى بعض القراءات وفى الشعر العربي من مثل قول الشاعر :

فإن لم تك المرآة أبدت وسامة وقد أبدت المرآة جبهة ضيغم

وكقوله [من الطويل] :

حملت إليـــه من ثنائى حديقة　　سقاها الحجاسى الرياض السحائب

أى : سقى السحائب الرياض[1]

* * *

٥ — ومنها الخروج من الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفكره علم ، ومنطقه حكم　　وباطنه دين ، وظاهره ظرف

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجىء عن العرب « مفاعيلن » فى عروض الطويل غير مصرع . وإنما جاء « مفاعلن » . قال الصاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعدا

قال القاضى أبو الحسن : وقد عيب أيضا بقوله [من الرمل] :

إنما بدر بن عمار سحاب　　هطل فيه ثواب وعقاب

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك فى الأبيات غير المصرعة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله فى الدائرة فاعلاتن

٦ — ومنها استعمال الغريب الوحشى

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم فى اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة . ثم تعاطى الغريب الوحشى ، والشاذ البدوى ، بل ربما زاد فى ذلك على أقحاح المتقدمين — حصل كلامه بين طرفى نقض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

(١) فيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمفعول المضاف ؛ وهو جائز عند الكوفيين ، وله شواهد

فمن ذلك الفن الذى ينادى على نفسه ، ويقلق موقعه فى شعره وشعر غيره من أبناء عصره — قوله [من الوافر] :

وما أرضى لمقلته بحلم إذ انتبهت توهمه ابتشاكا

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت

وقوله فى وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفش كأيدى الخيل أبصرت المخالى

الساحى : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع

وقوله فى وصف السيف [من الخفيف]

ودقيق قدى الهباء أنيق متوال فى مستو هزهاز

قدى : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدى رمح

وقوله [من الكامل] :

. نطس الخدود كما تطس اليرمعا .

تطس : أى تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة

وقوله [من الكامل] :

وإلى حصى أرض أقام بها بالناس من تقبيلها يلل

اليلل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم . ولم أسمعه فى غير شعره

وقوله [من الكامل] :

الشمس تشرق والسحاب كنهوراً .

الكنهور : القطع من السحاب العظيمة

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسن وقد غمرت نوالا أيها النال

والنال : المعطى

وقوله [من الوافر] :

. أسائلها عن المتديريها .

قال الصاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت فى بحر صاف لكدرته ، ولو ألقى ثقلها على جبل سام لهده . وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية . المتديروها : المتخذوها داراً

قال الصاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة، والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، وغذى لبن ، لم يطأ الحضر ، ولم يعرف المدر ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل

وليس ذلك سائغا لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية

ومن الجموع الغريبة التى يوردها قوله فى جمع الأرض [من الوافر] :

أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبى شجاع من أمان

وقوله فى جمع اللغة [من الطويل] :

عليم بأسرار الديانات واللغى .

وقوله فى جمع الدنيا [من الطويل] :

. أعز مكان فى الدنى سرج سابح

وقوله فى جمع الأخ [من الخفيف] :

. كل آخائه كرام بنى الدنيا

قال الصاحب : لو وقع « الآخاء » فى رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت فى الأحلام وأنلناك بدرة فى المنام

والكلام إذا لم يناسب زبفته جهابذته ، وبهرجته نقاده

٧ — ومنهـــا الركاكة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رمانى خساس الناس من صائب استه وآخر قطن من يديه الجنادل

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتنى فاركب حصانا ومثــله تخر له صريعـا

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلا كذا رجلا فسم الناس طرا إصبعا

وقوله [من الوافر] :

فسا فالأسد تفزع من يديه ورق فنحن نفزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم درزه والدرز لين كما يتألم العضب الصنيعا

وعلى ذكر الدرز فقد حكى الصاحب فى كتاب الروزنامجه من حديث لحظة الصولونية المغنية مايشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول : ياجاريه . على بالقميص المعمول فى النسج ، فقد آذانى ثقل الدروز

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القطـ ن ومروى مرو لبس القرود

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبه وأمــه الطرطبــه

رموا برأس أبيــه وباكـوا الام غلبه

وقوله [من البسيط] :

بياض وجه يريك الشمس طالعه ودر نمط يريك الدر مخشلبا

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الإسلام

قال الصاحب : « حينئذ » ،هنا أنفر من عير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، فى وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من الخفيف] :

إن بعضاً من القريض هراء ليس شيئاً ، وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والذه ن ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور حقه وإبراء زنده ؟ ، ولو لم يكن التحكيم بعد أبى موسى من موجب العزم ، ومقتضى الحزم ، وهو [من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يابن ابن يوسف بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم

وقوله [من الخفيف] :

تقضم الجمر والحديد الأعادى دونه قضم سكر الأهواز

وقوله [من الكامل] :

فكأنما حسب الأسنة حلوة أوظنها البرنى والآزاذا (١)

قال الصاحب : إذا جمع السكر إلى البرنى والأزاذ تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيها لألفاظها عما يستشنع ذكره ، حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذى لم يهتدله غيره فقال [من الكامل]:

إنى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها

وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف

قال القاضى : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

(١) البرنى : نوع من التمر ، وكذلك الأزاذ . وأصله بفتح الهمزة بزنة سحاب ، ولكنه مد الهمزة ليقيم الوزن

وكل مكان أتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها وحسرة فى قلوب البيض واليلب

وقوله [من المنسرح] :

تجمعت فى فؤادهم همم ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السحاب ، وإنما حمت به فصبيبها الرحضاء

وقوله [من البسيط] :

إلا يشب فلقد شابت له كبد شيباً إذا خضبته سلوة نصلا

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوبا ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً . وللكبد شيبا . وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد . وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال الصاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبى تمام [من الكامل] :

لا تسقنى ماء الملام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى

فخف علينا بحلواء البنين .

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ؛ وربما وافقت موضعا تليق به فاكتست قبولا . فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البـــر ومن حق ذا الشريف عليكا
وإذا لم تسر إلى الدار في وقـــتك ذا خفت أن تسير إليكا

وقوله [من الكامل] :

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجماله

وقوله [من المنسرح] :

وإن بكينا له فلا عجب ذا الخرز في البحر غير معهود

وقوله [من الطويل] :

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الإقدام للوجه لائم

وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه . وذا الوقت الذي كنت راجياً

وقوله [من الطويل] :

وأعجب من ذا الهجر . والوصل أعجب

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمن

وقوله [من الطويل] :

يضاحك في ذا اليوم كل حبيبة

فهو — كما تراه — سخافة وضعف . ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف

ماذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لاتجد منها فى عدة دواوين جاهلية حرفاً ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن فى الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط والفلتة .

* * *

ومنها الإفراط فى المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا وصاد الوحش نملهم دبيبا

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخيل فى لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشا وقد أعطيت فى المهد الكمالا

وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر ؟

وقوله [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت فى شق رأسه من السقم ماغيرت من خط كاتب

وقوله [من البسيط] :

من بعد ما كان ليلى لا صباح له كأن أول يوم الحشر آخره

فهو مما يستهجن فى صنعة الشعر ، على أن كثيرا من النقدة لا يرتضون هذا الإفراط كله

ومنها تكرير اللفظ فى البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله ويجهل علمى أنه بى جاهل

وقوله فى هذه القصيدة :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل

قال الصاحب . ومازال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

وأظن المصيبة فى الراثى أعظم منها فى المرثى .

وقوله [من الطويل] :

عظمت فلما لم تكلم مهابة تواضعت وهو العظم عظما عن العظم

قال الصاحب : وما أحسن ما قال الأصمعى لمن أنشده [من الطويل] :

فما للنوى جد النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعة لوصال

لو سلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وقوله [من الوافر]

ولم أر مثل جيرانى ومثلى لمثلى عند مثلهم مقام

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وقوله [من الطويل] :

وإنى وإن كان الدفين حبيبه حبيب إلى قلبي حبيب حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيرى رام من غيرك الغنى وغيرى بغير اللاذقية لاحق

وقوله [من المنسرح] :

ملولة ما تدوم ليس لها من ملل دائم بها ملل

وقوله [من الوافر] :

قبيل أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهمام

وقوله [من الوافر] :

وكلكم أتى مأتى أبيه فكل فعال كلكم عجاب

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كله ولكن شعرى فيك من نفسه شعر

وقوله [من الخفيف] :

إنما الناس حيث أنت ، وما النا س بناس فى موضع منك خالى

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولى نفسه حمل حمله عن الأرض لانهدت وناء بها الحمل

وقوله [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل النهب من نهب القماش

وقوله [من الطويل] :

وطعن كأن الطعن لا طعن عنده

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيرا قدرها عظم قدره فما لعظيم قدره عنده قدر

وقوله [من الوافر]

جواب مسائلي أله نظير ولا لك في سؤالك لا ألالا

قال الصاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعا ، وقد سمعت الفأفاء ، ولم أسمع باللألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيرا قد بللت ثيابه بدم ، وبل ببوله الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذتى المستغير كما بين كاذتى البائل(١)

وقوله [من الطويل] :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » ، غيره فجعله « ذابت » . وذكر البول والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء

وأقبح موقعا من ذلك قوله في قصيدة يرثى بها أخت سيف الدولة . ويعزيه عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلاما لى ألم بها فقد أطلت وما سلمت عن كثب

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهن ما يذكره المتغزل في قوله من البسيط] :

تعلس حين تحيي حسن مبسمها وليس يعلم إلا الله بالشنب

---

(١) الكاذة ، ما حول الحياء من ظاهر الفخذين ، أو لحم مؤخرهما

وكان أبو بكر الخوارزمى يقول : لو عزانى إنسان عن حرمة لىَ بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها . قال الصاحب : ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس . وما ظنك بمن يخاطب ملكا فى أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإن قلبى وإن جانبت أرضك غير سالى ؟

فيتشوق إليها ، ويخطىء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثى بعض أهله ، فأما استعماله إياه فى هذا الموضع فدال على ضعف البصر بمواقع الكلام . وفى هذه القصيدة :

رواق العز فوقك مسبطر وملك على ابنك فى كمال

ولعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع فى هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

فلا أدرى هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدة ملك يرثيها بالجمال أم قوله فى وصف قرابتها وجواريها

أتتهن المصـــائب غافلات فدمع الحزن فى دمع الدلال !؟

* * *

ومنها الإيضاح عن ضعفِ العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عيارا على الشعراء ، ولاسوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، ولـكن للإسلام حقه من الإجلال الذى لا يسوغ الإخلال به قولا وفعلا ونظما ونثرا ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر مايتعلق به فى موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته فى وقته ، وكثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضي الذي يسمى الإله ولا يكنى

وقوله من قصيدة مدح بها العلوى [من الطويل] :

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقب

وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذى الأفلاك فيه والدنا

وقد أفرط جداً ، لأن الذى الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .

وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهة وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإله مقسما في الناس ما بعث الإله رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ توراة والفرقان والإنجيلا

وقوله [من الكامل] :

لوكان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموساً

أوكان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى

عازر : اسم الرجل الذى أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز وجل

أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

وكأن المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة

يامن نلوذ من الزمان بظله أبداً . ونطرد باسمه إبليسا

وقوله وقد جاوز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أى محل أرتقى ؟ أى عظيم أتقى ؟

وكل ما قـــد خلق اللــــه وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

وقبيح بمن أوله نطفة مذرة . وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لاتسعه معذرة .

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجرى على شفة الأمير أبي الحسين

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوبه . كما قال أبو الفتح كشاجم وأحسن [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأس على در يقبله الزجاج

فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاههما !

وكقوله [من المتقارب] :

وغر الدمستق قول الوشا ة إن علياً ثقيل وصب

فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجرى العدو مجرى بعض أصحابه وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعرفة [من الوافر] :

إذا ما فارقتنى غسلتنى كأنا عاكفان على حرام

وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .

وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

وزاد في الأذن على الخرانق

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب . وتشبه بطرف القلم ، وأذن الأرنب . على الضد من هذا الوصف .

* * *

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، فى مثل قوله فى وصف فرس [من الطويل] :

[وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة] سبوح لها منها عليها شواهد

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشت اليدين صحوت فلم تحل بينى وبينى

وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتى حى يخبرنى عنى بما شربت مشروبة الراح من ذهنى

وقوله [من مخلع البسيط] :

نال الذى نلت منه منى لله ما تصنع الخمور !

وقوله [من الكامل] :

كبر العيان على حتى إنه صار اليقين من العيان توهما

وقوله [من الكامل] :

وبه يضن على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها . يوسى

وقوله [من الوافر] :

ولولا أننى فى غير نوم لكنت أظننى منى خيالا

قال الصاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيـ ـك . وخانته قربك الأيام

فى عبارات الجنيد والشبلى لتنازعته المتصوفة دهرا بعيدا

ومن أشد ما قاله فى هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنك الدنيا إلى حبيبة فما عنك لى إلا اليك ذهاب

ومنها الخروج عن طريق الشعر

إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى . ومن السرور بكاء

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجز والأسى لا يكون قبل الفراق

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع فى الأنـ ـفس أن الحمام مر المذاق

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والخلف فى الشجب(١)

فقيل : تخلص نفس المرء سالمة . وقيل : تشرك جسم المرء فى العطب

وقوله [من الكامل] :

خلفت صفاتك فى العيون كلامه كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

وقوله [من الوافر] :

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام(٢)

فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

قال ابن جنى : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها

(١) الشجب : الهلاك

(٢) [illegible] الحجارة [illegible] القبر

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصا مستكرها إلا قوله [من الوافر] :

أحبك أو يقولوا : جر نمل ثبيراً وابن إبراهيم ريعا (١)

فأما قوله [من الطويل] :

فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهف

وقوله [من البسيط] :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

وقوله [من الطويل] :

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وبحر أبو المسك الخضم الذي له على كل بحر زخرة وعباب

فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان . وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سر في علاك ، وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

أتلتمس الأعداء بعد الذي رأت قيام دليل أو وضوح بيان؟

رأت كل من ينوي لك الغدر يبتلى بغدر حياة أو بغدر زمان

قضى الله يا كافور أنك واحد وليس بقاض أن يرى لك ثاني

فما لك تختار القسي . وإنما عن السعد ترمى دونك الثقلان

(١) ثبير : جبل ، وابن إبراهيم هو علي بن إبراهيم التنوخي ممدوحه

وما لك تعنى بالأسنة والقنا ... وجدك طعان بغير سنان ؟!

ولم تحمل السيف الطويل نجاده ... وأنت غنى عنه بالحدثان

أرد لى جميلا جدت أو لم تجد به ... فإنك ما أحببت فى أتانى

هذا البيت الذى هو عوذتها

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه ... لعوقه شىء عن الدوران

وقوله فى قصيدة منها [من الكامل] :

فى خطه من كل قلب شهوة ... حتى كأن مداده الأهواء

ولكل عين قرة فى قربه ... حتى كأن مغيبه الأقذاء

هذا البيت الذى جعله المقطع .

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمت بمولد نسلها حواء

وكقوله فى آخر قصيدة [من الكامل] :

حلت البلاد من الغزالة ليلها ... فأعاضهاك الله كى لا تحزنا

هذا آخر المقابح والمعائب . وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التى زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فديناك من ربع وإن زدتنا كربا ... فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

نزلنا عن الأكوار نمشى كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هو أول ، وهى المحل الثانى

وإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

وقوله [من الطويل] .

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم؟

لحب ابن عبد الله أولى : فإنه به يبدأ الذكر الجميل ويختم

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل [١]

وقوله [من الوافر] :

فؤاد ما تسليه المـــدام وعمر مثـــل ما يهب اللئام

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله [من الكامل] :

اليوم عهدكم فأين الموعــد هيهات ليس ليوم عهدكم غد؛

الموت أقرب مخلباً من بينكم والعيش أبعد منكم لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرت بنا بين تربيها فقلت لها : من أين جانس هذا الشادن العربا [٢]

١- الأسل : الرماح

٢- شادن : الظبي إذا طلع قرنه . تقول : شدن الظبي شدونا

فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى نيث الشرى وهو من عجل إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيث ظننا تحته أن عامرا علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله [من الطويل] :

وإلا تخانتنى القوافى ، وعاقنى عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

إذا صلت لم أترك مصالا لصائل وإن قلت لم أترك مقالا لعالم

وقوله [من الطويل] :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق

وقوله [من الكامل] :

ومقانب بمقانب غادرتها أقوات وحش كن من أقواتها[1]

أقبلتها غرر اللاد كأنما أيدى بنى عمران فى جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدق يذم من القواتل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلا

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت فى أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبى وائل

فدى نفسه بضمان النضار وأعطى صدور القنا الذابل

* * *

(١) المقانب : جمع مقنب ، وهى الجماعة من الناس ، وأراد أنه لقى الأعداء بجيش عظيم فغادر أعداءه طعمة للوحوش

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر (١) في زى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب ؟
إن كنت تسأل شكا فى معارفها فمن بلاك بتسهيد وتعذيب ؟
سوائر ربما سارت هوادجها منيعة بين مطعون ومضروب

أى : لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن

وربما وخدت أيدى المطى بها على نجيع من الفرسان مصبوب
كم زورة لى فى الأعراب خافية أدهى وقد رقدوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت فى شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه أمير شعره

قد وافقوا الوحش فى سكنى مراتعها وخالفوها بتقويض وتطنيب
فؤاد كل محب فى بيوتهم ومال كل أخيذ المال محروب
ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن غير مجلوب
أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمام مائلة أوراكهن صقيلات العراقيب
ومن هوى كل من ليست مموهة تركت لون مشيبى غير مخضوب
ومن هوى الصدق فى قولى وعادته رغبت عن شعر فى الوجه مكذوب

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة فى وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها .

فمنها قوله [من البسيط] :

---

(١) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، والعرب تشبه الحسان من النساء بالبقر لسعة عيونها

هام الفؤاد بأعرابية سكنت ⠀⠀ بيتاً من القلب لم تضرب به طنبا
مظلومة القد فى تشبيهه غصنا ⠀⠀ مظلومة الريق فى تشبيهه ضربا(١)

وقوله [من الكامل] :

إن الذين أقمت واحتملوا ⠀⠀ أيامهم لديارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا ⠀⠀ معهم ، وينزل حيثما نزلوا
فى مقلتى رشأ تديرهما ⠀⠀ بدوية فتنت بها الحلل
تشكو المطاعم طول هجرتها ⠀⠀ وصدودها ومن الذى تصل

وصفها بقلة الطعم . وهى محمودة فى نساء العرب

ما أسأرت فى القعب من لبن ⠀⠀ تركته وهو المسك والعسل(٢)
قالت ألا تصحو فقلت لها ⠀⠀ أعلمتنى أن الهوى ثمل

وقوله [من الطويل] :

ديار اللواتى دارهن عزيزة ⠀⠀ بطول القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثنى ينقش الوشى مثله ⠀⠀ إذا مسن فى أجسادهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله ⠀⠀ كأن التراقى وشحت بالمباسم

..

ومنها حسن التصرف فى سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعنى الحياء من البكا ⠀⠀ فالآن يمنعه البكا أن يمنعا
حتى كأن لكل عظم ر،ه ⠀⠀ فى جلده ولكل عرق مدمعا

---

(١) الضرب ـ بفتح الضاد والراء ـ الشهد

(٢) السؤر ـ بضم فسكون ـ ما فضل من الشرب فى الإناء وأسأر أبقى فى الإناء فضلا من ماء

سفرت وبرقعها الحياء بصفرة ستّرت محاسنها ولم تك برقعا
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسمطى لؤلؤ قد رصعا
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دم أراقا ؟ وأي قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولأهله أبداً قلوب تلاقى في جسوم ما تلاقى

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنا على البعاد والتفرق لنلتقي بالذكر إن لم نلتق

ومنها :

فليت هوى الأحبة كان عدلا فحمل كل قلب ما أطاقا

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وأعطاني من السقم المحاقا
وبين الفرع والقدمين نور يقود بلا أزمتها النياقا
وطرف إن سقى العشاق كأساً بها نقص سقانيها دهاقا[1]
وخصر تثبت الأحداق فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقوله [من المنسرح] :

كأنما قدها إذا انفتلت سكران من خمر طرفها ثمل
يجذبها تحت خصرها عجز كأنه من فراقها وجل

---

(١) دهاقا : مملوءة

وقوله [من الكامل] :

مثلت عينك فى حشاى جراحة فتشابها كلتاهما نجلاء
نفذت على السارى ، وربما تندق فيه الصعدة السمراء

وكقوله [من الوافر] :

كأن العيس كانت فوق جفنى مناخات فلما ثرن سالا
لبسن الوشى لا متجملات ولكن كى يصن به الجمالا
وضفرن الغدائر لا لحسن ولكن خفن فى الشعر الضلالا

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بان وفاحت عنبرا ، ورنت غزالا[1]

وقوله [من البسيط] :

ترنو إلى بعين الظبى مجهشة وتمسح الطل فوق الورد بالعنم[2]

وقوله [من الكامل] :

قمراً ترى وسحابتين بموضع من وجهه ويمينه وشماله

وقوله [من البسيط] :

أعارنى سقم عينيه وحملنى من الهوى ثقل ما تحوى مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتى لو انتسبت لكنت لها نقيبا

---

(١) رنت : نظرت

(٢) العنم — بفتح العين والنون جميعا — شجر حجازى له نبت أحمر . والعرب تشبه به أصابع الحسان

وقوله [من الكامل] :

فأتيت معتزما ولا أسد ومضيت منهزما ولا وعل

وقوله فى وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنا من النقع فى عارض ومن عرق الركض فى وابل

وقوله [من الخفيف] :

وجياد يدخلن فى الحرب أعرا ء ويخرجن من دم فى جلال(١)

واستعار الحـديد لونا وألقى لونه فى ذوائب الأطفال

ومنها الإبداع فى سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإن نهارى ليـلة مدلهمة على مقلة من فقدكم فى غياهب

بعيدة ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالى كل هدب بحاجب

ذكر ابن جنى أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفت عينى عن التغميض حتى كأن جفونها عنها قصار

وذكر القاضى أنه مأخوذ من قول الطرى فى رطاناته [من الطويل

ورأسى مرفوع إلى النجم كأنما قفاى إلى صلبى بخيط مخيص

وقوله [من الطويل :

كأن رقيباً منك سد مسامعى عن العذل حتى ليس يدخلها العذل

كأن سهاد العين يعشق مقلتى فبينهما فى كل هجر لنا وصل

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحميا فى الزجاج بكفه فشبهتها بالشمس فى البدر فى البحر

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار

وقوله فى الحمى [من الوافر] :

وزائرتى كأن بها حياء فليس تزور إلا بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت فى عظامى

وقوله فى وصف الظبى [من الرجز] :

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى وعادة العرى عن التفضل
* كأنه مضمخ بصندل *

وقوله فى سرعه الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهم فى هواء يعود ولم يجد فيه امتساكا

قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر فى هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم والحجر ونحوهما إذا رُمى به صعدا فتناهى صعوده كانت له فى آخر ذلك لبثة ما ، ثم يتصوب منحدرا . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره آخر وقت صعوده .

وقوله — وهو أحسن ما قيل فى وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم عاد إلى حال السلامة وقد هذبته تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر]

وربتما شفيت غليل صدرى بسير أو مقام أو حسام
وضاقت خطة فخرجت منها خروج الخمر من نسج الفدام[١]

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريم نفضت الناس لما لقيته كأنهم ما جف من زاد قادم
وكاد سرورى لا يفى بندامتى على تركه فى عمرى المتقادم

وقوله وهو من بدائعه [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصى والفروعا

(١) الفدام - بكسر الفاء ، بزنة الكتاب - المصفاة

وقوله فى وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعت على عرض له حللا   وجدتها منه فى أبهى من الحلل
بذى الغباوة من إنشادها ضرر   كما تضر رياح الورد بالجعل

وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنما نحن فى جيل سواسية   شر على الحر من سقم على البدن
حولى بكل مكان منهم خلق   تخطى إذا جئت فى استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم « من أنتم » خطأ . إنما ينبغى أن يقال لهم « ما أنتم » ، لأن موضع « ما » لما لا يعقل ، ويحكى أن جريرا لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريان من جبل   وحبذا ساكن الريان من كانا

قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير . لو أردت هذا لقلت ما كانا ولم أقل من كانا

وكقوله [من البسيط] :

تتاج رأيك فى وقت على عجل   كلفظ حرف وعاه سامع فهم

وقوله [من البسيط]

من اقتضى بسوى الهندى حاجته   أجاب كل سؤال عن هل بلم

وقوله [من الكامل] :

أمضى إرادته فسوف له قد   واستقرب الأقصى فثم له هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضى ومقاربة الحال . يقول

إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته . وقوله [من الكامل] :

دون التعانق ناحلين كشكلتى نصب أدقهما وضم الشاكل

وقوله [من الوافر] :

ولولا كونكم فى الناس كانوا هراء كالكلام بلا معان

وقوله [من الطويل] :

قشير وبلعجان فيها خفيـــة كراءين فى ألفاظ ألثغ ناطق [١]

وقوله [من الطويل :

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

المضارع ما كان فى أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقوم وتقوم ، ويقوم . يقول : إذا نويت فعلا أوقعته قبل فوته ، وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن يفعل . وقوله [من الوافر :

وكان ابنا عدو كاثراه له يآءى حروف أنيسيان

« أنيسيان » تصغير إنسان وتحقيره . وإنسان عدد حروفه خمسة . وهو اسم مكبر . فإذا صغرته زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه . فكذاك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين فى عدده ولكن ناقصين . لسقوطهما وتخلفهما .

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله من الطويل] :

نهبت من الأعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بأنك خالد

(١) أراد بقوله بلعجلان بنو العجلان ، فحذف كما حذف الشاعر فى قوله

* غداة طفت علماء بكر بن وائل *

وقد مضى ذكر شيء من ذلك فى حواشينا على هذه الترجمة

قال ابن جنى : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقى فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه . وكقوله [من البسيط] :

عمر العدو إذا لاقاه فى رهج أقل من عمر ما يحوى إذا وهبا
مال كأن غراب البين يرقبه فكلما قيل هذا مجتد نعبا

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بغرته إشراق ألفاظه بمعناها

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجهم كأنما فى نفوسهم شيم

وقوله [من الطويل] :

إلى كم ترد الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملام

وقوله [من الطويل] :

يخيل لى أن البلاد مسامعى وأنى فيها ما تقول العواذل

وقوله [من البسيط] :

كأن ألسنهم فى النطق قد جعلت على رماحهم فى الطعن خرصانا

* * *

ومنها حسن التصرف فى مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولة لها منك يا سيفها منصل

وقوله [من الكامل] :

لولا سمى سيوفه ومضاؤه لما سللن لكن كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنك نصل والشدائد للنصل

وقوله [من البسيط] :

يسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشتبه المخدوم والخدم
كل السيوف إذا طال الضراب بها يمسها ـ غير سيف الدولة ـ السأم

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهى حدائد فكيف إذا كانت نزارية عربا

وقوله [من الطويل] :

تحير فى سيف : ربيعة أصله وطابعه الرحمن . والمجد صاقل

وقوله [من الخفيف] :

قلد الله دولة سيفها أنـ ت حساما بالمكرمات محلى
فإذا اهتز للندى كان بحراً وإذا اهتز للعدا كان نصلا

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد

وقوله [من الطويل] :

لقد سل سيف الدولة المجد معلماً فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه
على عاتق الملك الأغر نجاده وفى يد جبار السموات قائمه
وإن الذى سمى عليا لمنصف وإن الذى سماه سيفا لظالمه
وما كل سيف يقطع الهام حده وتقطع لزبات الزمان مكارمه

وقوله [من الكامل] :

إن الخليفة لم يسمك سيفه حتى بلاك فكنت عين الصارم
وإذا تتوج كنت درة تاجه وإذا تختم كنت فص الخاتم

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميها في أصله وفرنده ووفائه
طبع الحديد فكان من أجناسه وعلى المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإبداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملك سنان قناته وبنانه يتباريان دما وعرفا ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ويظن دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقا ومغاربا
كالبحر يقذف للقريب جواهرا جودا ، ويبعث للبعيد سحائبا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنمل ماحفظها الأشياء من عاداتها
لو مر يركض في سطور كتابه أحصى بحافر مهره ميماتها
كرم تبين في كلامك مائلا ويبين عتق الخيل في أصواتها
أعيا زوالك عن محل نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

حسن مدح ومثل مضروب . وتشبيه نادر

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة أنت البديع الفرد من أبياتها

هذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر

واستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبر

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه »

أزالت بك الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنب وأنت لها عذر

وكقوله [من الطويل] :

ألا أيها المال الذى قد أباده تعز فهذا فعله بالكتائب

لعلك فى وقت شغلت فؤاده عن الجود أو أكثرت جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب فى قلوب الأعادى فكأن القتال قبل التلاقى

وتكاد الظبا لما عودوها تنتضى نفسها إلى الأعناق

كل ذمر يزيد فى الموت حسناً كبدور تمامها فى المحاق

كرم خشن الجوانب منهم فهو كالماء فى الشفار الرقاق

ومعال إذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وكقوله [من المنسرح] :

قوم بلوغ الغلام عندهم طعن نحور الكماة لا الحلم

كأنما يولد الندى معهم لا صغر عاذر ولا هرم

إذا تولوا عداوة كشفوا وإن تولوا صنيعة كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم بأنهم أنعموا وما علموا

إن برقوا فالحتوف حاضرة أو نطقوا فالصواب والحكم

أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا من مهج الدارعين ما احتكموا

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقولهم «خاب سائلى» القسم (١)

---

(١) « خاب سائلي » هذه جملة يقولها أحدهم عند ما يحلف . مثل قول أحدنا « برئت من كذا »

أو ركبوا الخيل غير مسرجة — فإن أفخاذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم — كأنها فى نفوسهم شيم
أعيذكم من صروف دهركم — فانه فى الكرام متهم

وكقوله [من المنسرح]:

الناس مالم يروك أشباه — والدهر لفظ وأنت معناه
والجود عينٌ وأنت ناظره — والبأس باع وأنت يمناه
يا راحلا كل من يودعه — مودع دينه ودنياه
إن كان فيما تراه من كرم — فيك مزيد فزادك الله

وكقوله [من البسيط] :

تمشى الكرام على آثار غيرهم — وأنت تخلق ما تأتى وتبتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه — فليس يرفعه شىء ولا يضع

وكقوله [من الطويل]

فلما رأوه وحده دون جيشه — دروا أن كل العالمين فضول

وكقوله [من الطويل] :

وأوردهم صدر الحصان وسيفه — فتى بأسه مثل العطاء جزيل
جواد على العلات بالمال كله — ولكنه بالدارعين بخيل

وكقوله [من الطويل] :

أرى كل ذى ملك إليك مصيره — كأنك بحر والملوك جداول
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة — فوابلهم طل وطلك وابل

وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً — وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يتبعون إمامهم — وأنت لأهل المكرمات إمام

ورب جواب عن كتاب بعثته ... وعنوانه للناظرين قتام

وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكر فى حومة الوغى ... وأحسن منهم كرهم فى المكارم

ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم ... ولكنها معدودة فى البهائم

وكقوله [من المنسرح] :

أغر أعداؤه إذا سلموا ... بالهرب استكثروا الذى فعلوا

إنك من معشر إذا وهبوا ... ما دون أعمارهم فقد بخلوا

كتيبة لست ربها نفل ... وبلدة لست حليها عطل (١)

وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته ... لما عدت نفسه سجاياها

كالشمس لاتبتغى بما صنعت ... منفعة عندهم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

وهذ أحسن مايمدح به ملك أسود . ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله ... فما يفعل الفعلات إلا عذاريا (٢)

أبا كل طيب ، لا أبا المسك وحده ... وكل سحاب لا أخص الغواديا

يدل بمعنى واحد كل فاخر ... وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

---

(١) النفل – بفتحتين – هنا الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحلي

(٢) العون : النصف من النساء ، وهى التى سبق لها التزوج . وأرادهنا المكرمة التى لها مثال ونظير . والعذارى : جمع عذراء ، وأصله البكر من النساء . وأراد هنا المكرمة التى لانظير لها ولم يتقدمه أحد بمثلها

ألم فيه بقول أبى نواس [من المجتث] :

كأنمـــا أنت شيء   حوى جميع المعانى

* * *

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإبداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتدارا منه ، وتبحراً فى الألفاظ والمعانى ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجا لها إلى مماثلة الملوك ، فى مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغى على الحب رشوة   ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدل عواذلى   على أن رأيى فى هواك صواب
وأعلم قوماً خالفونى فشرقوا   وغربت ، أنى قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الود فالمال هين   وكل الذى فوق التراب تراب

وقوله له [وقد أهداه مهرا أسود] [من الطويل] :

فلو لم تكن فى مصر ماسرت نحوها   بقلب المشوق المستهام المتيم

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضلت الأيام بالجمع بيننا   فلما حمدنا لم تدمنا على الحمد
فجد لى بقلب إن رحلت فإننى   مخلف قلبى عند من فضله عندى

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادى   بحبك أن يحل به سواكا
فلو أنى استطعت خفضت طرفى   فلم أبصر به حتى أراكا

وفى قصيده تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها فى آخر الباب

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

مالى أكتم حباً قد برى جسدى وتدعى حب سيف الدولة الأمم ؟
إن كان يجمعنا حب لغرته فليت أنا بقدر الحب نقتسم
يا أعدل الناس إلا فى معاملتى فيك الخصام ، وأنت الخصم والحكم
إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
يامن يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شىء بعدكم عدم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركم من أمرنا أمم
إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح — إذا أرضاكم — ألم
وبيننا ، لو رعيتم ذاك ، معرفة إن المعارف فى أهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفى أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذى عندى صواعقه يزيلهن إلى من عنده الديم
أرى النوى تقتضينى كل مرحلة لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم
شر البلاد بلاد لاصديق بها وشر ما يكسب الإنسان مايصم
وشر ما قنصته راحتى قنص شهب البزاة سواء فيه والرخم

وهى — على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها — تكاد تدخل فى باب إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضا مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل . وأعرب عن جودة التصرف والتلعب بالكلام . كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاع كأن الحرب عاشقة له إذا زارها فدته بالخيل والرجل

وكقوله [من البسيط] :

وكم رجال بلا أرض لكثرتهم تركت جمعهم أرضاً بلا رجل
ما زال طرفك يجرى فى دمائهم حتى مشى بك مشى الشارب الثمل

وكقوله [من المنسرح] :

والطعن شزر والأرض واجفة كأنما فى فؤادها وهل
قد صبغت خدها الدماء كما يصبغ خد الخريدة الخجل
والخيل تبكى جلودها عرقا بأدمع ما تسحها مقل

وكقوله [من الطويل] :

تعود أن لا تقضم الحب خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق
ولا ترد الغدران إلا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتك دامية الأظل كأنما حذيت قوائمها العقيق الأحمرا
وإذا الحمائل ما يخدن بنفنف إلا شققن عليه برداً أخضرا

وكقوله [من الكامل] :

قد سودت شجر الجبال شعورهم فكأن فيه مسفة الغربان

وجرى على الورق النجيع القانى فكأنه النارنج فى الأغصان

وكقوله [من الوافر] :

حمى أطراف فارس شمرى يحض على التباقى فى التفانى
بضرب هاج أطراب المنايا سوى ضرب المثالث والمثانى
كأن دم الجماجم فى العناصى كسا البلدان ريش الحيقطان (١)
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان (٢)

وكقوله [من الطويل] :

كرعن بسبت فى إناء من الورد (٣)

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الآمدى فى كتاب الموازنة بين شعرى الطائيين . قال : سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالكم هجر ، وحبكم قلى وعطفكم صد ، وسلمكم حرب
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظة وكل ذلول من مراكبكم صعب

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس . وقول أبى الطيب المتنبى فى هذا الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملك ملء الزمان وملء السهل والجبل

---

(١) العناصى : جمع عنصوة : وهى الشعر المتفرق فى جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدراج وريشه ملون .

(٢) يريد بقلوب العشق قلوب أهله .

(٣) السبت ــ بكسر السين وسكون الباء ــ جلود تدبغ بالقرظ .

فنحن فى جذل . والروم فى وجل ، والبر فى شغل . والبحر فى خجل

وكقوله [من البسيط]

الدهر معتذر ، والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتبع
تنسى ما نكحوا . والقتل ما ولدوا ، والنهب ما جمعوا . والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخل من نصر له من له يد ولم يخل من شكر له من له فم
ولم يخل من أسمائه عود منبر ولم يخل دينار ولم يخل درهم

وقوله [من الوافر] :

قليل عائدى ، سقم فؤادى ، كثير حاسدى . صعب مرامى
عليل الجسم ممتنع القيام شديد السكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصر ملوك لهم ماله ولكنهم ما لهم همه
فأجود من جودهم بخله وأحمد من حمدهم ذمه
وأشرف من عيشهم موته وأنفع من وجدهم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقد بك من مزن سوى لثق ولا من البحر غير الريح والسفن
ولا من الليث إلا قبح منظره ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجل عن التشبيه : لا الكف لجة ولا هو ضرغام ، ولا الرأى مخذم
ولا جرحه يؤسى ، ولا غوره يرى ولا حده ينبو ولا يتثلم
محلك مقصود . وشانيك مفحم ومثلك مفقود . ونيلك خضرم

وقوله [من الطويل] :

أذم إلى هـــذا الزمان أهيله فأعلمهم فدم ، وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم ، وأسهدهم فهد ، وأشجعهم فرد

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألة ، وطيشك نفحة ورضاك فيشلة ، وربك درهم

وقوله [من الخفيف] :

عـــربي لسانه ، فلسفي رأيه ، فارسيـــه أعيـاده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بهـا القطربلي مليحة على كاذب من وعدها ضوء صادق
سهاد لأجفان ، وشمس لناظر ، وسقم لأبدان ، ومسك لناشق
وأغيد يهوى نفسه كل عاقل عفيف ، ويهوى جسمه كل فاسق

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماع وفرقة وميت ومولود ، وقال ووامق

وقوله [من الطويل] :

ألا أيها السيف الذي ليس مغمدا ولا فيه مرتاب ، ولا منه عاصم
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا وراجيك والإسلام أنك سالم

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحـــد يقال له فضلوك آل بويه أو فضلوا

قدروا عفوا ، وعدوا وفوا ، سئلوا أغنوا . علوا أعلوا ، ولوا عدلوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتـــام

حروف هجاء الناس فيه ثلاثة : جواد ، ورمح ذابل ، وحسـام

لما سمى الجيش جوابا جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعا في الصنعة ، وقوله [من البسيط] :

ومرهف سرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جني : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولـكن لم يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبا ثالثـــاً سواى فإني رابع العيس والدجى والبيد

وهذا اللفظ عذب ، ولـكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقوله [من البسيط] :

أنت الجواد بلا من ولا كدر ولا مطال ولا وعد ولا مذل (١)

وقوله [من المنسرح] :

في حر شوق إلى ترشفهـــا ينفصل الصبر حين يتصل

فالثغر والنحر والمخلخل والـ ـمعصم دائي ، والفاحم الرجـــل (٢)

وقوله [من الطويل] :

ولـكن بالفسطاط بحراً أزرته حياتي ونصحي والهوى والقوافيا

وقوله [من الطويل] :

أمينا وإخلافا وغدرا وخسة وجبنا ، أشخصاً لحت لي أم مخازيا؟

---

(١) المذل : الضجر والقلق .

(٢) الفاحم الرجل : الشعر المسترسل

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

مصائب قوم عند قوم فوائد

وقوله [من الطويل] :

ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقوله [من الطويل] :

وخير جليس في الزمان كتاب

وقوله [من البسيط] :

إن المعارف في أهل النهى ذمم

وقوله [من البسيط] :

وربما صحت الأجسام بالعلل

وقوله [من الوافر] :

وفي الماضي لمن بقي اعتبار

وقوله [من المتقارب] :

وتأبى الطباع على الناقل

وقوله [من المتقارب] :

ومنفعة الغوث قبل العطب

وقوله [من الكامل] :

هيهات تكتم في الظلام مشاعل

وقوله [من المنسرح] :

ومخطئ من رميه القمر

وقوله [من الوافر] :

وما خير الحياة بلا سرور .

وقوله [من البسيط] :

بجبهة العير يفدى حافر الفرس

وقوله [من المتقارب] :

ولا رأى فى الحب للعاقل .

وقوله [من الطويل] :

ولكن طبع النفس للنفس قائد

وقوله [من البسيط] :

وليس يأكل إلا الميت الضبع

وقوله [من الخفيف] :

كل ما يمنح الشريف الشريف .

وقوله [من المنسرح] :

والجوع يرضى الأسود بالجيف

وقوله [من المتقارب] :

ومن فرح النفس ما يقتل

وقوله [من الطويل] :

ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من البسيط] :

إن النفيس غريب حيثما كانا

وقوله [من الكامل] :

فمن الرديف وقد ركبت غضنفراً

وقوله [من الطويل] :

إذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله [من البسيط] :

ومن يسد طريق العارض الهطل

وقوله [من الوافر] :

وأدنى الشرك فى نسب جوار

وقوله [من الطويل] :

وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

وقوله [من الطويل] :

لا تخرج الأقمار من هالاتها

وقوله [من الرجز] :

إن النفوس عدد الآجال

وقوله [من الطويل] :

ولكن صدم الشر بالشر أحزم

وقوله [من البسيط] :

أنا الغريق فما خوفى من البلل

وقوله [من الطويل] :

أشد من السقم الذى أذهب السقما

وقوله [من الوافر] :

فإن الرفق بالجانى عتاب

وقوله [من الكامل] :

إن القليل من الحبيب كثير

وقوله من الطويل :

بغيض إلى الجاهل المتعاقل

وقوله [من البسيط] :

وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله من البسيط :

وللسيوف كما للناس آجال

وقوله من البسيط :

فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقوله من الوافر :

فأول قرح الخيل المهار

وقوله من البسيط :

والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

وقوله من البسيط :

ليس التكحل فى العينين كالكحل

وقوله من الكامل :

ويبين عتق الخيل فى أصواتها

* * *

ومنها إرسال المثالين فى مصراعى البيت الواحد

كقوله من الطويل :

وكل امرئ يولى الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب

وقوله من المنسرح :

فى سعة الخافقين مضطرب ... وفى بلاد من أختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحب ما منع الكلام الألسنا ... وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وقوله [من الخفيف] :

ذل من يغبط الذليل بعيش ... رب عيش أخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

وقوله [من الطويل] :

كفى بكَ داء أن ترى الموت شافياً ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن ... يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه ... وأغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقوله [من البسيط] :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاس مناكيد

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

وقيدت نفسى فى ذراك محبة ... ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس .

وما يجرى مجراها .

كقوله من الطويل :

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفى العداوة وهى غير خفية نظر العدو بما أسر يبوح

وقوله [من المنسرح]

والأمر لله ، رب مجتهد ما خاب إلا لأنه جاهد

وقوله [من الطويل] :

إليك فإنى لست ممن إذا اتقى عضاض الأفاعى نام فوق العقارب

وقوله من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرها يأوى الخراب ويسكن الناووسا

وقوله [من البسيط

ليس الجمال لوجه صح مارنه أنف العزيز بقطع العز يجتدع

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح فى الأفهام شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

قال ابن جنى : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك فى المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله من الطويل] :

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] .

وماتنفع الخيل الكرام ولا القنا   إذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقوله من البسيط :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بما لاتشتهى السفن

وقوله من الكامل] :

وأحب أنى لو هويت فراقكم   فارقته والدهر أخبث صاحب

وقوله [من الكامل] :

من خص بالذم الفراق فإننى   من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد

وقوله من الطويل :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدواً له ما من صداقته بد

وقوله ، من الخفيف :

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت فى مرادها الأجسام

وقوله من الكامل :

تلف الذى اتخذ الشجاعة جنه   وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا

وقوله [من البسيط] من الطويل :

فإن يكن الفعل الذى ساء واحداً   فأفعاله اللائى سررن ألوف

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيت على الغبي فعاذر   أن لا ترانى مقلة عمياء

وقوله من البسيط :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا   منها رضاك ، ومن للعور بالحول ؟!

وقوله من الوافر] :

فآجرك الإله على عليل   بعثت به إلى عيسى طبيبا

وقوله من الوافر :

إذا أتت الإساءة من لئيم   ولم ألم المسيء فمن ألوم

وقوله ، من الكامل :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقوله ، من المتقارب :

إذا ما قدرت على نطقة فإني على تركها أقدر

وقوله ، من الخفيف :

واحتمال الأذى ورؤية جاني ه غذاء تضوى به الأجسام

وقوله ، من الكامل :

وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الـ هيجاء غير الطعن في الميدان

وقوله ، من الخفيف :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وقوله ، من الخفيف :

ومن الخير بطء سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام

وقوله ، من الطويل :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

وقوله ، من المنسرح :

أبلغ ما يطلب النجاح به الـطبع وعند التعمق الزلل

وقوله ، من البسيط :

كم مخلص وعلا في خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبن

وقوله ، من المتقارب :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغبب

وقوله ، من البسيط :

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن
لا يعجبن مضيما حسن بزته وهل يروق دفينا جودة الكفن

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الناس جربهم لبيب فإنى قد أكلتهم وذاقا
فلم أر ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا

وقوله [من الطويل] :

ذرينى أنل مالا ينال من العلا
فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين لقيان المعالى رخيصة ولابد دون الشهد من إبر النحل

وقوله [من الطويل] :

تمن يلذ المستهام بمثله وإن كان لايغنى فتيلا ولايجدى
وغيظ على الأيام كالنار فى الحشا ولكنه غيظ الأسير على القد

وقوله [من الكامل] :

ومكائد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى
لعنت مقاربة اللئيم فإنها ضيف يجر من الندامة ضيفنا

وقوله [من الطويل] :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت فى عين من لايجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وقوله [من الكامل] :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فتطمع

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

أكذب النفس إذا حدثتها   إن صدق النفس يزرى بالأمل

وكقوله [من الطويل] :

وأتعب خلق الله من زاد همه   وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا ينحلل فى المجد مالك كله   فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذى المجد كفه   إذا حارب الأعداء والمال زنده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله   ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده
إذا كنت فى شك من السيف فابله   فإما تنفيه وإما تعده
وما الصارم الهندى إلا كغيره   إذا لم يفارقه النجاد وغمده

وقوله [من الخفيف] :

إنما تنجح المقالة فى المر   ء إذا وافقت هوى فى الفؤاد
وإذا الحلم لم يكن فى طباع   لم يحلم تقادم الميلاد
إنما أنت والد ، والأب القا   طع أحنى من واصل الأولاد

وقوله من الطويل :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفاً له   إذا لم يكن فى فعله والخلائق
وما بلد الإنسان غير الموافق   ولا أهله الأدنون غير الأصادق
وجائزة دعوى المحبة والهوى   وإن كان لا يخفى كلام المنافق
وما يوجع الحرمان من كف حارم   كما يوجع الحرمان من كف رازق

وقوله من الخفيف :

إنما أنفس الأنيس سباع   يتفارسن جهرة واغتيالا
من أطاق التماس شىء غلابا   واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا
كل غاد لحاجة يتمنى   أن يكون الغضنفر الرئبالا

وقوله من البسيط :

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتال

وقلما يبلغ الإنسان غايته ما كل ماشية بالرجل شملال
إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته ما قاته ، وفضول العيش أشغال

وقوله من الوافر :

يرى الجبناء أن العجز حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تغنى ولا مثل الشجاعة في الحكيم

قيل له : أنى يكون الشجاع حكيما ؟ فقال : هذا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ! .

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الأذهان منه على قدر القرائح والعلوم

وقوله من الكامل :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى يققاً يميت ولا سواداً يعصم(١)
والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
لا يخدعنك من عدو دمعه وارحم شبابك من عدو يرحم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين

(١) اليقق ـ بفتح الياء والقاف جميعا ـ الشديد البياض ، ويقال : أبيض يقق ، كما يقال : أسود حالك ، وأراد بياض الشعر بسبب اشتعال الشيب فيه . كما أراد بالسواد سواد الشعر في زمن الشباب . يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ، وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد . لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظلم من شيم النفوس ، فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى عن جهله ، وخطاب من لا يفهم
ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وقوله [من الطويل] :

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
فحب الجبان النفس أورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

وقوله [من الوفر] :

وفيك إذا جنى الجانى أناة تظن كرامة وهى احتقار
بنو كعب وما أثرت فيهم يد لم يدمها إلا السوار
بها من قطعه ألم ونقص وفيها من جلالته افتخار
لهم حق بشركك فى نزار وأدنى الشرك فى نسب جوار
لعل بنيهم لبنيك جند فأول قرح الخيل المهار (١)
وما فى سطوة الأرباب عيب ولا فى ذلة العبدان عار (٢)

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندى حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم

(١) القرح : جمع قارح ، وهو : ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .
(٢) العبدان : أحد جموع العبد

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كالحلم
لاتشكون إلى خلق فتشمته شكوى الجريح إلى الغربان والرخم
وكن على حذر للناس تستره ولا يغرنك منهم ثغر مبتسم
وقت يضيع وعمر أنت مدته فى غير أمته من سائر الأمم
أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

وقوله [من الكامل] :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول ، وهى المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

وقوله [يمدح كافورا] [من الطويل] :

لحا الله ذى الدنيا مناخا لراكب فكل بعيد الهم فيها معذب !
ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة ولا أشتكى فيها ولا أتعتب !؟
وبى ما يذود الشعر عنى أقله ولكن قلبى ، يا ابنة القوم ، قلب
أما تغلط الأيام فى بأن أرى بغيضاً تنائى أو حبيبا تقرب؟

وقوله [يمدحه أيضا] [من الطويل] :

أبى خلق الدنيا حبيباً تديمه فما طلبى منها حبيبا ترده ؟
وأسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شىء فى طباعك ضده

وقوله [يمدحه أيضا] [من الطويل] :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح فى ليل من الشك مظلم

ومنها :

وما كل هاو للجميل بفاعل ولا كل فعال له بمتمم

ومنها :

فأحسن وجه في الورى وجه محسن وأيمن كف فيهم كف منعم
وأشرفهم من كان أشرف همه وأكثر إقداماً على كل معظم
لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب أو مساءة مجرم ؟

وقوله [يمدح المغيث بن على العجلى] [من الوافر] :

فؤاد ما تسليه المدام وعمر مثل ما يهب اللئام
ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
وشبه الشيء منجذب إليه وأشبهنا بدنيانا الطغام
ولو لم يعل إلا ذو محل تعالى الجيش وانحط القتام
ولو حيز الحفاظ بغير عقل تجنب عنق صيقله الحسام

وقوله [من الخفيف] :

أبداً تسترد ما تهب الدنـ ـيا فياليت جودها كان بخلا
فكفت كون فرحة تورث الغـ ـم وخل يغادر الوجد خلا
وهى معشوقة على الغدر لا تحـ ـفظ عهداً ولا تتمم وصلا
كل دمع يسيل منها عليها وبفك اليدين عنها تخلى

أى : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكى لفوت شيء منها . ولا يخليها الإنسان إلا قسرا بفك يديه .

وفى هذه القصيدة :

شيم الغانيات فيها فلا أد رى لذا أنث اسمها الناس أم لا ؟

ولذيذ الحيـاة أنفس فى النفـ ـس وأشهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما مـ ـل حياة وإنما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب فإذا وليا عن المرء ولى

*

ومنها افتضاضه أبكار المعانى ، فى المراثى والتعازى

كقوله [من المنسرح] :

سالم أهل الوداد بعدهم يسلم للحزن لا لتخليد

أى : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحزن لا للخلود ، لأن كلا ميت

فما ترجى الخلود من زمن أحمد حاليه غير محمود

أى : أحمد حاليك أن تبقى مع صديقك . وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفقة من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل فى زمانك منزلا من أن تعايشهم وقدرك أرفع
قبحاً لوجهك يا زمان . فإنه وجـه له من كل قبح برقع
أيموت مثل أبى شجاع فاتك ويعيش حاسده الخصى الأوكع ؟

وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأنى سرت أطلبه فما تزيدنى الدنيا على العدم
من لا يشابهه الأحياء فى شيم أمسى يشابهه الأموات فى الرمم

أحسن والله وأبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طبيب

سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهوب .
تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

هذا كقول بعضهم فى الموعظة : « وإن مافى أيديكم أسلاب الهالكين . ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون »

علينا لك الإسعاد إن كان نافعا بشق قلوب لابشق جيوب
فرب كئيب ليس تندى جفونه ورب كثير الدمع غير كئيب
وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاء أو سكون لغوب[1]

وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك فى الثرى أن الكواكب فى التراب تغور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدى الرجال تسير
خرجوا به ، ولكل باك خلفه صعقات موسى يوم دك الطور[2]
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه فى كل قلب موحد محفور
كفل الثناء له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور

وقوله فى تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمرى لقد شغلت المنايا بالأعادى فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشت بالسيوف من الدهر أسيراً وبالنوال مقلا
خطة للحمام ليس لها رد وإن كانت المسماة ثكلا
وإذا لم يجد من الناس كفوا ذات خدر أرادت الموت بعلا

---

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .

(٢) بين هذا البيت والذى قبله فى الديوان بيتان لم يذكرهما هنا، وهما قوله :

والشمس فى كبد السماء مريضة والأرض راجفة تكاد تمور
وحفيف أجنحة الملائك حوله وعيون أهل اللاذقية صور

هذا أحسن ما قيل فى مرثية حرم الملوك .

وقوله فى مرثية طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك فى قبر فإنك فى الحشا وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل

ومثلك لا يبكى على قدر سنه ولكن على قدر المخيلة والفضل

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنك نصل . والشدائد للنصل

ولم أر أعصى فيك للحزن عبرة وأثبت عقلا . والقلوب بلا عقل

تخون المنايا عهده فى سليله وتنصره بين الفوارس والرجل

ويبقى على مر الحوادث صبره ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل

وما الموت إلا سارق رق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

يرد أبو الشبل الخميس عن ابنه ويسلمه عند الولادة للنمل

إذ ما تأملت الزمان وصرفه تيقنت أن الموت ضرب من القتل

وما الدهر أهل أن يؤمل عنده حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

وقوله : من السريع :

نحن بنو الدنيا فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هن من كسبه

فهذه الأرواح من جوه وهذه الأجسام من تربه

لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه

لم ير قرن الشمس فى شرقه فشكت الأنفس فى غربه

يموت راعى الضأن فى جهله موتة جالينوس فى طبه

وربما زاد على عمره وازداد فى الأمن على سربه

وغاية المفرط فى سلمه كغاية المفرط فى حربه ؟

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه !

* * *

ومنها الايجاع فى الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالى   فإنهـا دار غربه
أوآنستك المخازى   فإنها لك نسبه

وقوله [من البسيط] :

إنى نزلت بكذابين ضيفهم   عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدى . وجودهم   من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفسا من نفوسهم   إلا وفى يده من نتنها عود

يعنى العود الذى يتناوله المعالج للشىء القذر يكون واسطة بينه وبين يده

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحر صالح بأخ   لو أنه فى ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه   إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الأسود المخصى مكرمة   أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟
أم أذنه فى يد النخاس دامية   أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزة   عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول أبى على البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى   منه بالعجز راجل مكفوف

وقوله [من السريع] :

فلا ترج الخير عند امرىء   مرت يد النخاس فى رأسه

وقوله [من الوافر] :

أخذت بمدحه فرأيت لهواً   مقالى للأحيمق يا حكيم
ولما أن هجوت رأيت عيا   مقالى لابن آوى يا حليم

فهل من أغادر فى ذا وهـذا   فمدفوع إلى السقم السقيم

وقوله [من المتقارب] :

لقد كنت أحسب قبل الخصى   بأن الرءوس مقر النهى

فلما نظرت إلى عقـله   رأيت النهى كلها فى الخصى

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ] [من الكامل] :

يمشى بأربعـة على أعقابه   تحت العلوج ومن وراء يلجم

وجفونه ما تستقر كأنهـا   مطروفة أو فت فيهـا حصرم

وتراه أصغر ماتراه ناطقـا   ويكون أكذب مايكون ويقسم

وإذا أشار مكلما فـكأنه   قرد يقهقه أو عجوز تلطم

يقلى مفارقة الأكف قذاله   حتى يكاد على يد يتعمم

* * *

ومنها إبراز المعانى اللطيفة
فى معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة
والرمز بالطرف والملح

كقوله فى الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد قصده فى بيت واحد [من الطويل] :

فراق ومن فارقت غير مذمم   وأم ومن يممت خـير ميمم

ثم قال معرضا بسيف الدولة :

وما منزل اللذات عندى بمنزل   إذا لم أبجـل عنـده وأكرم

رحلت فكم باك بأجفان شادن   على ، وكم باك بأجفان ضيغم

المصراع الثانى تصديق لقوله :

* ليحدثن لمن ودعتهم ندم *

وما ربة القرط المليح مكانه بأجزع من رب الحسام المصمم

فلو كان ما بى من حبيب مقنع عذرت . ولـكن من حبيب معمم

وهذا أيضا مما نبهت عليه من إجرائه الممدوح من الملوك مجرى المحبوب فى كثير من شعره :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوى كاسر كفى وقوسى وأسهمى

وكقوله فى مدح كافور والتعريض بالقدح فى سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم : إلى غيوث يديه والشآبيب

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمن على آثار موهوب

ولا يروع بمغرور به أحدا ولا يفزع موفورا بمنكوب

يا أيها الملك الغانى بتسمية فى الشرق والغرب عن نعت وتلقيب

يعنى أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة

أنت الحبيب ولـكنى أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب

وهذا أيضا من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر أمسه . وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإن فارقتنى أمطاره فأكثر غدرانها ما نضب

وإنى لأتبع تذكاره صلاة الإله وسقى السحب

ومنها فى التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغبب

وقوله فى هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله فإنى أغنى منذ حين وتشرب

يقول : مديحى إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن تسقينى من فضل كأسك

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفسى على مقدار كفيك تطلب

وقوله أيضاً فى التعريض بالاستزادة من الطويل :

أرى لى بقربى منك عينا قريرة وإن كان قربا بالبعاد يشاب

وهل نافعى أن ترفع الحجب بيننا ودون الذى أملت منك حجاب ؟

أقل سلامى حب ماخف عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

وكقوله فى وصف الفرس من الطويل :

ويوم كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيان تغرب

وعينى إلى أذنى أغر كأنه من الليل باق بين عينيه كوكب

أى : كأنه قطعة من الليل ، وكأن الغرة فى وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه لأنه كامن لايرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذنى فرسه ، فان رآه قد توجس بهما تأهب فى أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيه . وتقول العرب : أذن الوحشى أصدق من عينيه

له فضلة عن جسمه فى إهابه تجىء على صدر رحيب وتذهب

شققت به الظلماء أدنى عنانه فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعب

أى : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه لعب برأسه

وأصرع أى الوحش قفيته به وأنزل عنه مثله حين أركب

وكقوله فى التوديع من الوافر :

وإنى عنك بعـد غـد لغاد وقلبى فى فنائك غـير غاد
محبك حيث ما اتجهت أركابي وضيفك حيث كنت من البلاد

وكقوله [من الكامل

سر حيث شئت يحله النوار وأراد فيك مرادك المقدار
وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة حيث اتجهت وديمة مدرار
وأراك دهرك ما تحاول فى العدا حتى كأن صروفه أنصار
أنت الذى بجح الزمان بذكره وتزينت بحديثه الأسمار

وكقوله فى اللطف بالصديق والعنف بالعدو من الكامل :

إنى لأجبن عن فراق أحبتى وتحس نفسى بالحمام فأشجع
ويزيدنى غضب العداة جراءة ويلم بى عتب الصديق فأجزع

وكقوله فى حسن الكناية من الخفيف :

تشتكى ما اشتكيت من ألم الشو ق إلينا ، والشوق حيث النحول

وإنما كنى عن تكذيبها ولم يصرح به : أى أنا أشتكى الشوق ونحولى يدل على ذلك . وهى غير ناحلة فليست مشتاقة

وكقوله من الرجز :

أبيض ما فى تاجه ميمونه عفيف ما فى ثوبه مأمونه

أى : عفيف الفرج . فكنى به

وكقوله فى حسن الحشو من الكامل :

صلى عليك الله غير مودع وسقى ثرى أبويك صوب غمام

« غير مودع » حشو . ولكنه حسن

وكقوله من الطويل :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا

سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » ! .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خلت منك حمص، لا خلت أبدا! فلا سقاها من الوسمي باكره

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا تعذل المرض الذي بك، شائق أنت الرجال، وشائق علاتها(١)

ومنازل الحمى الجسوم، فقل لنا : ما عذرها في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك، إذ هو أفضل الجسوم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسبل

لم تبق إلا قليل عافية قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشمك الزمان هوى وودا وقد يؤذي من المقت الحبيب

وكيف تعلك الدنيا بشيء وأنت لعلة الدنيا طبيب ؟

وكيف تنوبك الشكوى بداء وأنت المستجار لما ينوب ؟

وكقوله في التهنئة وهي تهنئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

وما أخصك في برء بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وكقوله [من الخفيف] :

إنما التهنئات للأكفاء ولمن يدني من البعداء

---

(١) « شائق » خبر مقدم، و « أنت » مبتدأ مؤخر . و « الرجال » مفعول به لشائق، و « شائق » الثاني معطوف على الأول، و « علاتها » مفعوله . والشائق : باعث الشوق . يقول : ألم بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

وأنا منك لا يهنىء عضو ... بالمسرات سائر الأعضاء

وكقوله [من البسيط] :

الصوم والفطر والأعياد والعصر ... منيرة بك ، حتى الشمس والقمر

(١)ما الدهر عندك إلا روضة أنف ... يا من شمائله فى دهره زهر

ما ينتهى لك فى أيامه كرم ... فلا انتهى لك فى أعوامه عمر

فإن حظك من تكرارها شرف ... وحظ غيرك منها النوم والسهر

وكقوله [من الطويل] :

تغير حالى والليالى بحالها ... وشبت وما شاب الزمان الغرانق

وكقوله [من البسيط] :

تسود الشمس منا بيض أوجهنا ... ولا تسود بيض العذر واللمم

وكان حالهما فى الحكم واحدة ... لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم

وقوله [من الطويل] :

مشيب الذى يبكى الشباب مشيبه ... فكيف توقيه وبانيه هادمه

وما خضب الناس البياض لأنه ... قبيح ، ولكن أحسن الشعر فاحمه

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرف الله أرضا أنت ساكنها ... وشرف الناس إذ سواك إنسانا

قال ابن جنى : لا تجد نحو « سواك إنسانا » لأنه لا يستوى شرف ألفاظه ، ولو قال : أنشاك أو نحو ذلك لكان أليق بالحال

(١) وقع فى الديوان بين هذا البيت والبيت السابق بيت آخر وهو قوله :

ترى الأهلة وجها عم نائله ... فما تخص به من دونها البشر

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحا شريفا ، لأن فى القرآن « ثم سواك رجلا » (١) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره
وكقوله [من المتقارب] :

سما بك همى فوق الهموم فلست أعد يساراً يسارا
ومن كنت بحرا له يا علـــى لم يقبل الدر إلا كبارا

وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب]

أنلت عبادك ما أملوا أنالك ربك ما تأمل

وكقوله [فى المغيث بن على العجلى] [من الوافر] :

وأعطيت الذى لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته . وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه من صلاته أكثر من مائتى ألف درهم ـ استأذنه فى المسير عنها ليقضى حوائج فى نفسه ، ثم يعود إليها، فأذن له . وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص . وتعاد صلته بالمال الكثير . فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التى هى آخر شعره . وفى أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعى فيه نفسه . وإن لم يقصد ذلك . فمنه قوله من الوافر :

فلو أنى استطعت خفضت طرفى فـــلم أبصر به حتى أراكا

وهذه لفظة يتطير منها . ومنه :

إذا التوديع أعرض قال قلبى عليك الصمت لا صاحبت فاكا

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف

ولولا أن أكثر ما تمنى معاودة لقلت ولا مناكا

أى : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقلت له : ولا بلغت أنت أيضا مناك ، وهذا أيضا من ذاك . ومنه :

قد استشفيت من داء بداء وأقتل ما أعلك ما شفاكا

أى : قدأضمرت ياقلب شوقا إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقته داء لك أيضا أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي صلى الله عليه وسلم «كفى بالسلامة داء» وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

وحسبك داء أن تصح وتسلما

و «أقتل ما أعلك ما شفاكا» من ألفاظ الطيرة أيضا . ومنه :

وكم دون الثوية من حزين يقول له قدومى ذا بذاكا

الثويه : من الكوفة . يقول له «قدومى ذا بذاك» أى هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل «إن شاء الله تعالى» ومنه :

ومن عذب الرضاب إذا انخنا يقبل رحل تروك والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها . والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه

يحرم أن يمس الطيب بعدى وقد عبق العبير به وصاكا[1]

وهذا أيضا من تلك الألفاظ . ومنه :

وفى الأحباب مختص بوجد وآخر يدعى معه اشتراكا

إذا اشتبهت دموع فى خدود تبين من بكى ممن تباكى

---

(١) صاك : أراد أنه لصق به

وهذا أيضا من ذاك ومنه :

فزل يا بعد عن أيدى ركاب   لهـا وقع الأسنة فى حشاكا

هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا . ومنه :

وأيا شئت يا طرقى فكونى   أذاة أو نجـاة أو هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها فى مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليـه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الوقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانه ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك فى سنة أربع وخمسين وثلثمائة

أنشدنى أبو القاسم المظفر بن على الطبسى الكاتب لنفسه فى مرثية المتنبى من الخفيف] :

لارعى الله سرب هذا الزمان   إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان

ما رأى النـاس ثانى المتنبي   أى ثان يرى لبـكر الزمان؟

كان من نفسه الـكبيرة فى جيـ   ـش وفى كبرياء ذى سلطان

كان فى لفظه نبيأ ، ولـكن   ظهرت معجزاته فى المعـانى

فصل — وقد جمح بى القلم فى إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصييره كتابا برأسه فى أخبار أبى الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ، وقد كان بعض الأصدقاء سألنى عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن أحب إفراده عن الأبواب كان كتابا على حـدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت الفوائد لديه ، وتتالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الباب السادس

فى ذكر النامى والناشى والزاهى

وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامى — شاعر من فحولة شعراء العصر . وخواص شعراء سيف الدولة . وكان عنده تلو المتنبي فى المنزلة والرتبة . وقد أخرجت من ديوانه ماهو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده . فمن ذلك قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما أصب متيم   وذمة حب عهده لم يذمم
أفارق نفسى شعبة بعد شعبة   فريقين باتا منجداً بعد متهم
فقد كثرت فى كل أرض ديارهم   ككثرة عذالى على ولومى
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا   من اليوم بين الجزع والمتثلم

ومنها :

لكم يابنى العباس سيف على العدا   حسام متى يعرض له الداء يحسم
أخف إلى يوم الوغى من حمامة   وأثبت من شوق بقلب متيم

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العلا ، إن العوالى كواسب   علاءك فى الدنيا وفى جنة الخلد
يمر عليك الحول : سيفك فى الطلا .   وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضى عليك الدهر : فعلك للعلا .   وقولك للتقوى . وكفك للرفد

ومنها فى وصف أشعاره :

رياحين أذهان : سماحك غارس   لها . فاجنها بالعرف من روضة الحمد
من المذهبات الدارميات سرد   تدق معانيها على الملك الكندى
...و، وما نظموا

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقاً أن قاتلتى زرود وأن عهودها تلك العهود
وقفت وقد فقدت الصبر حتى تبين موقفى أنى الفقيد
وشكت فىَّ عذالى فقالوا لرسم الدار: أيكما العميـد؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السرى [من الوافر] :

إذا ما الراح والأترج لاحا لعينك قلت : أيهما الشراب ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لى سيد فاتن يعلمنى بحسنه كيف يعبد الصنم
لما رآنى وفى يدى قلم لم يدر مولاى أينا القلم

ومنها

اليك صدعن أفئدة الليالى وفيهن السخائم والحقود
ان الأراك لها عظام وأسقبة السنان لها جلود
فعيد

ومنها

وشعر لو عبيد الشعر أصغى إليه لظل لى عبـداً عبيد
كأن لفكره شراب خمر ونودى من حفيرته لبيد

وقوله من أخرى [من البسيط] : لا أمامة فى دار لها أمم
إلمامه بمغنى داره لمم أمرِ كاعب والبين يحتكم ؟
بأى حكم لأيام الفراق نأت بناعبفه وترب الدار مستلم
عقلت عيساً كأنى كنت حاسدها بدار سلمى شهاها ليس ينصرم
إحدى الحسان أساءت بى وقد صرمت يوم الحمى وهوار
أخذه من قول ابن الرومى [من البسيط] :

يارب حسانة منهن قد فعلت سوءا وقد يفعل الأسواء . محسان

كأن قلبي معار للنوى جزعا ... من قاب قرن على وهو منهزم
ناط الحمائل فى ليث وفى قمر ... وفى الحمائل قدنيطت به الهمم
كأنه أجل ، أو طرفه وجل ، ... أو سيفه قدر فى الروح يحتكم
يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله ... والخيل تشرب من أشداقها اللجم
إذا ملائكة النصر اختلطت بها ... تشابه العالم النورى والنسم
لم تدع يا علم المجد المقابلنا ... إلا وسبح إجلالا لك العلم
لا يكتم النصر يوماً أنت شاهده ... واليوم من نقعه قد كاد ينكتم
النصر أسرجها . والعز ألجمها ... والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم
قال النهار له والشمس مغمدة ... وللمنايا شموس غمدها القمم :
هذا عجاج فأين الأفق وهو قنا ؟ ... وتلك خيل فأين الأرض وهى دم ؟
بحد سيفك سيف الدولة انحطمت ... قواعد الشرك والأرواح تنحطم
يحدث الذئب ذئب وهو مبتهج ... ويخبر النسر نسر وهو مبتسم
قد أرضعتك ثدى الأرض درتها ... ورمحك ابن رضاع ليس ينفطم
من آل حمدان حيث الملك مقتبل ... والمال مقتسم والحمد مغتنم
قوم إذا حكموا يوماً لأنفسهم ... جار السماح عليهم فى الذى حكموا
أمن علا أم ندى أدعوك ؟ أم بهما ؟ ... فأنت ذا وابنا واتسارم الخذم
إن يعجل الرأى ناحقه نغايته ... كذا الجواد من الإيجاب يختتم
وإن نأبت عزما لم يمتك عد ... ار الأسود تمطى ثم تعتزم
إن لم أقم أما للمدح من فكرى ... فسك فيك يفيى أنك الأمم
إذا طلبتك لم ألحقك فى أمد ... ماحيلتى ؟ قد تناهى دونك الكلم
وما على إذا ما كنت ناظمها ... فعطلت كل ماقالوا وما نظموا

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمرن هوانا أن يصح لنسقما فأدمى قلوبا صاديات إلى الدمى

ومنها :

أرتنا جنى العناب للورد ظالما ومن أقحوان مرمض متظلما

ما أحسن هذا البيت وأظرفه ! وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب . وعض اليد بالثغر الأشنب :

طوى البين ديباج الخدود، ونشرت يد البين وشياً للخدود منمنما

تقسمت الأهواء قلبي كما غدا نوال علي في العلا متقسما

ويوم كأجياد العذارى حليه فريد ندى في جيده قد تنظما

جلونا به وجهي عروس وكاعب على طفل زهر قد بكى وتبسما

وأخرس يصبينا بخمسة ألسن إلى أيها مد البنان تكلما

لدن غدوة حتى إذا الشمس ودعت مغاربها واستأذنتها التصرما

ثوينا كأنا بعض أبناء قيصر غدا فيهم سيف الأمير محكما

أطعت العلا حتى كأنك عبدها وإن كنت مولاها وكنت لها ابنما

مكارم لاتنفك تتعب حاسداً يؤخره سعي لها قد تقدما

زكت فكرى فيها وأينع هاجسي فظلت على أهل القريض مقدما

وولد شعرى فيك شعراً لمعشر فكنت عليهم مثل نعماك منعما

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها المسود الهوى في ابيضاضه ؟ وإلا سلاني كيف بيض مسودى ؟

كأن برأسي عسكرين تحاربا فقد كثر استئمان جند إلى جند

وليل له نجم كليل عن السرى تحير لايهدى لقصد ولا يهدى

كأني وابن الغمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على قصد

إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه ورساعل بالعنبر الوردى

وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهى مقطوعة العقد
فقلت : أخيل التغلبى مغيرة أم الفجر يرمى الليل سدا على سد؟
فتى قسم الأيام بين سيوفه وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردى وبيض يوماً بالفضائل والمجد
ألم تر فرعونا وموسى تجاريا فغودرت العقبى لذى الحق لا الحشد؟
جهدت فلم أبلغ مداك بمدحة وليس مع التقصير عندى سوى جهدى
يزيد على شأوى زياد وجرول وقد غودر ابن العبد فى نظمها عبدى(١)

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورة فى البشر تقرأ فى العلا وتثبت فى صحف العطاء وتكتب
إذا ما على أمطرتك سماؤه رأيت العلا أنواؤها تتحلب
يرجى ويخشى ضره وهو نافع كذا البحر فى أزاته متهيب
يروع ويبدو الأنس منه كأنه الـ هوى لذعه بين الجوانح يعذب
وأزهر يبيض الندى منه فى الرضى وتحمر أطراف القناحين يغضب
أمير الندى ، ماللندى عنك مذهب ولا عنك يوما للرغائب مرغب
إذا فاخرت بالمكرمات قبيلة فتغلب أبناء العلا بك تغلب
قناة من العلياء أنت سنانها وتلك أنابيب عليها وأكعب
وخيل كأمثال القنا فى لبودها فإن صهلت فهى اليراع المثقب
وضرب يريك الخيل مج نجيعه وأشهبها من لون أشقر يخضب

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سأأت بالفراق صبا . وما يد بئها بالفراق مثل خبير
هو بين الحشا صدوع . وفى الأ ع ين ماء . وجمرة فى الصدور

---

(١) زياد : هو النابغة الذبيانى . وجرول : هو الحطيئة . وابن العبد . هو طرفة بن العبد البكرى

نحن أبناء ذا الهوى تسكن الأنـ فس منا إلى الضنا والزفير
نال منا يوم الفراق كما نا ل من الناكثين سيف الأمير
فى خميس للنصر فيه لواء عقده من لوائه المنصور
رجله كالدبا ، وفرسانه كالأسد بأساً ، وخيله كالصقور
وسجاياك ياأبا الحسن الغر ر وإتعابهن شكر الشكور
لو غدا الدهر صالحا لى عن الحظ وأعلى من جد حال عثور
لتعطرت من غبار مذا كيـ لك رواحى ، وكان عطرى بكورى
ثم صيرت من دماء أعاديـ لك خلوقى ، وكان منه طهورى
واقيت المنون تحت عواليـ لك معدا ذخرا ليوم نشورى
سر على السعد تستظل من الأيام ظلى سلامة وحبور
بين فرضين من جهاد وشهر أنت فى الناس مثله فى الشهور
سمع النصر فيه أمرك لما خاطبته الأقدار بالتأمير
أنتم دارة العلا يا بنى حمـ دان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون فى القنا فترى الآ جال مرتابة بذاك المسير
فى شموس من الحديد عليها أنجم يفترون فوق بدور
وعجاج كأنه من دخان النـ د يلقى الهواء بالتعطير
عبق من علاكم فكأن الـ أرض مسك ، والجو من كافور
فتحيوا بمدحتى فهى ريحا نة حمد تبقى بقاء الدهور

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا فى شارق شبوا ضياء وقوده بوفود
ردوا على داود صنعة سردد لغناهم بالصبر عن داود
لا يصحبون إذا انتصوا بيض الظبا وشبا القنا غير المنايا السود

وقوله من أخرى [من الطويل]

ألم تر أعداء الأمير كوفره يظل لتوفير العلا غير وافر
وحساده مما تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهن الزوافر

وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارم مثل لحظ البرق أسلك فى مثال جدول ماء فيه منسكب
تنأى به الهام عن أجسامهن كما تنأى الخواتيم عن مقروءة الكتب

وقوله من أخرى [من البسيط] :

فى ناظر الشمس إن عنت له رمد ومسمع الرعد إن أصغى له صمم
يردها ونظام الملك متسق والموت فى خرز الأعناق ينتظم
أسعد بعيد إذا كارمته حكمت لك المعانى وأمضى حكمها الكرم
عيد وفتح وملك والأمير له دامت سلامته ما أورق السلم !
الله أعطاك أقسام الفخار ، فما خلق يساميك مذ حيزت لك القسم
لو كان يرضى لك الدنيا لما فنيت ونلت فيها خلودا أنت والنعم

وقوله فى صفة منارة [من الرجز] :

سامية فى الجو مثل الفرقد قاعده فيه وإن لم تقعد
تكاد عاليها ـ وإن لم يعد ـ يغرف من حوض الغمام باليد

وقوله [من الطويل] :

خليلى ، هل للمزن مقلة عاشق ؟ أم النار فى أحشائها وهى لا تدرى
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت وكاللؤلؤ المنثول أدمعها تجرى
تسربل وشيا من خزور تطرزت مطارفها طرزا من البرق كالتبر
سحاب حكت تكلى أصيبت بواحد فعاجت له نحو الرياض على قبر
فوشى بلا رقم ، ونقش بلا يد ، ودمع بلا عين ، وضحك بلا ثغر

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئا ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل . فقال ارتجالا [من الوافر] :

يد فى برئها برء الأيادى ووعك للطريف وللتلاد
يد الحسن التى خلقت سماء موكلة بأرزاق العباد

أبو الحسين الناشىء الأصغر

أنشدنى أبو بكر الخوارزمى ، قال : أنشدنى أبو الحسين الناشىء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنما أخط بأقلامى على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب، ألم يكن توده طبعا فصار تكلفا ؟

قال : وأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف إن الحجاب مجانب الإنصاف
ولقل من يأتى فيحجب مرة فيعود ثانية بقلب صافى

وله فى سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودع ، لا أنى أودع ظاعنا وأعطى بكرهى الدهر ما كنت مانعا
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحبا لنفسى إن ألقيت بالنفس راجعا
تحملت عنا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائعا
رعاك الذى يرعى بسيفك دينه ولقاك روض العيش أخضر يانعا

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعا فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب

[وله أيضا] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليـــلى وصاحبى من لؤى بن غالب
حاكم الحب جائر موجب غير واجب
لك صـــدغ كأنما نونه نون كاتب
يلذع الناس — إذ تعقـ ـرب — لذع العقارب

* *

أبو القاسم الزاهى

وصاف محسن . كثير الملح والظرف . ولم يقع إلى شعره مجموعا ، وإنما نطرفته من أفواه الرواة . واستفدته من التعليقات

أنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيـه من النتف التى استفادها ببغداد . وأتحفنى به من اللطائف التى استصحبها : منها للزاهى [من الطويل] :

سفرن بدوراً . وانتقبن أهلة ومسن غصونا ، والتفتن جآذرا
وأطلعن فى الأجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وإنما احتذى فى البيت الأول مثال المتنبى فى قوله [من الوافر] :

بدت قمرا ، ومالت غصن بان . وفاحت عنبرا . ورنت غزالا

ومن نسج على هـذا المنوال أبو عامر إسمعيل بن أحمـد الشاشى . فإنه قال من قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كل ماجـد يرى كل ما يبقى من المال مغرما
نديم أسيافا . ونحلو فواضبا . وننقض عقبانا . ونطلع أنجما

وقال أبو الحسن الجوهرى فى الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التى اشتقت برهة دساكرها والعكبرى المقـــيرا

إذا فض عنه الختم فاح بنفسجا ، وأشرق مصباحا . ونور عصفرا

ولبعض أهل العصر فى غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتم الناس ظرفا وأصلحهم لمتخذ حبيبا
ووجهك نزهة الأبصار حسنا وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلة تسائل عنك ، قلنا لها فى وصفك العجب العجيبا :
رنا ظبيا . وغنى عندليبا . ولاح شقائقا ، ومشى قضيبا

وللزاهى [من الطويل] :

أرى الليل يمضى والنجوم كأنها عيون الندامى حين مالت إلى الغمض
وقد لاح فجر يغمر الجو نوره كما انفجرت بالماء عين على الأرض

وأنشدنى أبو سعد نصر بن يعقوب فى كتابه « كتاب روائع التوجيهات . من بدائع التشبيهات » للزاهى [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتنق والمزن باكية والزهر معتبق
كأنما الليل جفن والبروق له عين من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهى قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذارى ولكنت فى ورر من الأوزار
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليل فى بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قولى فى الوعيد لأجله وعزمت فيك على دخول النار

ووجدت فى كتاب أبى الحسن على بن أحمد بن عبدان ، فى مجموعه المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهى أولها [من الكامل] :

الليل من فكرى يصير ضياء والسيف من نظرى يذوب حياء
والخيل لو حملتها علمى بها لتركتها تحت العجاج هباء

ومنها :

أحصى على دهرى الذنوب بمقلة لدموعها لا أملك الإحصاء

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصى فيك النجوم ولكن لذنوب الزمان لست بمحص

رجع :

عجبا لصرف الدهر كيف يخون من غمر البرية نجدة ووفاء

عدم الصباح فناب عنه بفكره وعلت يداه فطاول الجوزاء

وأنشدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدم جملا فى سنه هجرته حواء السنين من الدمى

آدم فى حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر

وله فى وصف الأترج [من البسيط] :

وذات جسم من الكافور فى ذهب دارت عليه حواشيه بمقدار

كأنها — وهى قدامى ممثلة فى رأس دوحتها تاج من النار

* * *

الباب السابع
فى ذكر أبي الفرج عبد الواحد الببغاء
وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومى ، من أهل نصيبين ، نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد أفراد الدهر ، فى النظم والنثر له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره ، ما يشهد بالذى أجريت من ذكره . وإنما لقب بالببغاء للثغة فيه سيجرى وصفها فى ذكر مادار بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات . وكان فى عنفوان أمره وريعان شبابه متصلا بسيف الدولة ، مقيما فى جملته ، ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال فى وروده الموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء . وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى . وآخر مابلغنى من خبره ماسمعت الأمير أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالى يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج وحصوله ببغداد فى سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالى السن ، متطاول الأمد ، نظيف اللبسه ، بهى الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجلة ، قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامى وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضى أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملا من النظم والنثر على ماأثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة . ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدرى مافعل الدهر به ، وأغلب

ظنى أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته . لم أسمع أظرف منها فى فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرها ، وقد سار عنها فى بعض وقائعة ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال . واضطررت إلى إعمال الحيلة فى التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية . وكان سنى فى ذلك الوقت عشرين سنة . وكان انقطاعى منهم إلى أبى بكر على بن صالح الروزبارى لتقدمه فى الرياسة . ومكانه من الفضل والصناعة ، فأحسن تقبلى ، وبالغ فى الإحسان بى ، وحصلت تحت الضرورة فى المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفه . تسليا وتعللا ، فلما كان فى بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع فى الجلالة وحسن المنظر . فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل مايصلحنا . وتوجهنا نحوه . فلما نزلنا أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق . حسبما جرى به الرسم فى غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها . ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن قضى اللهو ختامه . ولوح السكر لصحبى أعلامه . وحانت منى نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته إلى خطابى متوثباً . ولنظرى إليه مترقبا . فلما أخذته عينى أكب يزعجنى بخفى الغمز ووحى الإيماء ، فاستوحشت لذلك . وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرته . فأخرج إلى رقعة مختومة ، وقال لى : قد لزمك فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقعة .

وونى وسقط ذمام كاتبها فى سترها بك عنى ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يامولاى : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك . إلى أن استنزلتنى الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بينى وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت فى التوصل إلى مودتك فائت الفرصه ، والمستماح منك — جعلنى الله فداك ! — زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنأة بالانفراد إلا من غلامك الذى هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذى بالاحتياط على حالى ، فإن صادف ما خطبته منك — أيدك الله ! — قبولا ، ولديك نفاقا ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهداه إلى منها ، وإن جرى على رسمه فى المضايقة فيما أوثره وأهواه ، وأترقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها ، وإذا أبيات تتلو الخطاب . وهى [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ ... ـقصف وحث الكؤوس والطرب
هل لك فى صاحب تناسب فى الـ ... ـغربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى ... قربك مستنصراً على النوب
فإن تقبلت ما أتاك به ... لم تشن الظن فيه بالكذب
وإن أتى الزهد دون رغبتنا ... فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج : فورد على ما حيرنى ، واسترد ما كان الشراب حازه من

تميزى ، وحصل لى فى الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته . وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أماذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فتسهل إن شئت قلت : دلنى ، قال : تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفا ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفى تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بى وسكونه إلى ، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة فى المبادرة إلى حضرته على ما آثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابى بغير النشاط الذى نهضت به . فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشىء عرض لى ، واستدعيت ما أركبه . وتقدمت إلى من كان معى ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعى صبى كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكرى برد الدابة وستر خبرى ومباكرتى . وتلقانى الراهب، وعدل بى إلى طريق فى مضيق . وأدخلنى إلى الدير من باب غامض وصار بى إلى باب قلاية متميز أعما يجاوره من الأبواب نظافة وحسنا . فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة . فابتدرنا منه غلام كان البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه . معتدل القوام أهيفه . تخال الشمس برفعت غرته . والليل باسب أصداغه وطرته . فى غلالة تنم على ماتستره . وتجفو مع رقتها عما تظهره . وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلى . واستوقف نظرى . ثم أجفل كالظبى المذعور . وتلوته والراهب إلى صحن القلاية . فإذا أنا ببيت نقى الحيطان . رخامى الأركان ، بضم طارقه خيش . مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب إلينا منه فى مقتبل الشبيبة . حسن

الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزى من اللباس بزى غلامه ، فلقينى حافيا يعثر بسراويله ، واعتنقنى ، ثم قال : إنما استخدمت هذا الغلام فى تلقيك ياسيدى لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعا عما ترد عليه من مشاهدتى ، فاستحسنت اختصاره الطريق إلى بسطى ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصا فى تأنيسى ، وأفاض فى شكرى على المسارعة إلى أمره ، وأنا أواصل فى خلال سكناته المبالغة فى الاعتداد به ، ثم قال : يا سيدى أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت فى حالتى النوم واليقظة الخدمة التى ألفتها فى دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء ، وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجها ولا سواداً طبقا يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف ، فقال : الأكل منى يا سيدى للحاجة ، ومنك للممالحة والمساعدة ، فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجنانى ، والنسيم العطرى ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا فى ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبنى نوادر الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بألطفه ، إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا فى مسرته ، فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل طنبوراً ، وجلس فقال لى : يا سيدى تأذن لى فى خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما تداخلنى من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من المجتث] :

يا مالكى وهو ملكى وسالبى ثوب نسكى
نزه يقين الهوى فيـ ـك عن تعرض شك

لولاك ما كنت أبكى إلى الصباح وأبكى

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له . فكدت والله أطير طربا وفرحا بملاحة خلقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزانا فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سرورا بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لى : أنا والله يا سيدى أحب ترفيهك وأن لا أقطعك عما أنت متوفر عليه . ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلا بد أن تشى ليلتنا بشىء يكون لها طرازا ولذكرها معلما . فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب منى [من المجتث] :

وليلة أوسعتنى حسنا ولهوا وأنساً

ما زلت ألثم بدرا بها وأشرب شمساً

إذ أطلع الدير سعدا لم يبق مذ بان نحساً

فصار للروح منى روحا وللنفس نفساً

فطرب على قولى « ألثم بدرا وأشرب شمساً » ، وجذب غلامه فقبله ، وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدى من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته . فبحياتى إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فانبعث آثاره خوفاً من احتشامه ، وأخذ الأبيات وجعل يرددها . ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولم أكن لغريمى والله أبذل فلسا

لو ارتضى لى خصمى بدير مران حبسا

فقلت : إذاً والله ما كان أحد يؤدى حقا ولا باطلا . وداعبته فى هذا المعنى بما حضر . وعرفت فى الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه . وقال لى : قد خرج لك أكثر الحديث . فإن عذرت . وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها

على صورتها . فتبينت ما يؤثره من كتمان أمره . فقلت له : يا سيدى ، كل مالا يتعرف بك نكرة . وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار . وجعل يشرب وينخب على من غير إكراه ولا حث ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفطنة تثنيه فى الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم . وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لى بإزاء برذعته . فنهضت إليها وقام يتفقد أمرى بنفسه . فقلت له : إن لى مذهبا فى تقريب غلامى منى ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال فى غلامه ، فتبسم وقال لى بسكره : جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لى بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتنى عيناى إلى أن أيقظنى هواء السحر . فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس . فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت . ولقينى الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافى ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامى قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفا وعاملا على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته . ومتوهما أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتنى أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتنى من معاودة لقائه وقلت فى ذلك [من الطويل] :

ويوم كأن الدهر سامحنى به ... فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصبا بارتياحنا ... إلى دير مران المعظم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ ... ـنسيم بأنفاس الرياحين والزهر

فمن روضة بالحسن ترفد روضة ومن نهر بالفيض يجرى إلى نهر
وفى الهيكل المعمور منه افترعتها وصحبي حلالا بعد توفية المهر
وبزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما وهل يحظر المحظور فى بلد الكفر
فأهدت لى الأيام فيه مودة دعتنى فى ستر فلبيت فى ستر
أتى من شريف الطبع أصدق رغبة تخاطبنى عن معدن النظم والنثر
وكان جوابى طاعة لا مقالة ومن ذا الذى لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملء العين نبلا وهمة خلى السجايا بالطلاقة والبشر
وأحشمنى بالبر حتى ظننته يريد اختداعى عن جنانى ولا أدرى
ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا فكنت وإياه كقلبين فى صدر
وشاء السرور أن يلينا بثالث فلاطفنا بالبدر أو بأخى البدر
بمعطى عيون ما اشتهت من جماله ومضنى قلوب بالتجنب والهجر
جنينا جنى الورد فى غير وقته وزهر الربا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه بشمسين فى جنحى دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأمتعنا من وجنتيه بمثل ما تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منة الصحو إذ دعا إليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالى نمن عنه فعندما تنبهن نكبن الوفاء إلى الغدر
مضى وكأنى كنت فيه مهوما يحدث عن طيف الخيال الذى يسرى
وهل يحصل الإنسان من كل ما به تسامحه الأيام إلا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة . وأشد تأسف على ما سلبته من فراق الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع فى لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا فى جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب . وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إلى مرعوبا ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رآنى استطار فرحا ، وأقسم ألا يخاطبنى إلا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للحادثة قال : مالى لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لى فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرمته منه ، ولا سررت بعودى إلى هذه البلدة إلا من أجله . ولذلك بدأت بقصدك . فاذكر لى خبره ، فقال لى : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرانيين جليل القدر ، عظيم النعمة . كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير ، فخاس به ضمانه . لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته . فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا إلى أن ورد دمشق بزى تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإنى عنده يوما إذ ظهر لى وقال لصديقه : إنى أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان على مأمونا فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بى وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقى قد أمرنى بخدمته ، وحصل فى قلايتى ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إلى الغلام قال : يا راهب ، قد حل الفطر وجاء العيد . ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكى ، ووقف على السفاتج فأنفذها مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفى دينار . وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه فى هذه الضيعة . فابتاع آلة وفرشا ، ولم يزل مكبا على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم

إياه الحال فى بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوفيع بحطيطة المـال عنه مقترنا بالـكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقى معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك . يقطع الأوقات بذكرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك . وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يخل بتفقدى . ولا يغب برى . فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره . وأتممت يومى عند الراهب . وكان آخر العهد به (انتهى كلامه)

* * *

فى بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه . وقد عصى عليه . وأخذه إياه . وانكفاءه بعد ذلك إلى حلب .

الرياسة - أيد الله سيدنا ! - حلة موصوفة ومرتبة مرموقة . يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم وينالونها بحسب مراتبهم من الكرم فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تقتمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد فكل من أدركها داهنا . واستحقها بأفعاله لقبا ، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد . ورق الإخلاص لا التودد . فقد حرم مل الكبار . وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنه الغاية القصوى التى عجزت عن أن تنال إدراكها الهمم

ما تستحق ملوك الدهر مرتبة فى الفضل إلا له من فوقها قدم

كأنه إن دجا ليل الشكوك ضحى وظله إن تظاهر الردى حرم

فلو عدا الكرم الموصوف راحته عن أن يجاوزها لم يكرم الكرم

الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته . يطرق الدهر إذا نطق ، وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله . وضعف الدهر عن معاناة مثله . بهمم سيفية . وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديدا ، وذمم الأيام حميدا بحق أوضحه . وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل]

فلا انتزع الله الهدى عز بأسه ولا انتزع الله الوغى عز نصره

وأحسن عن حفظ النبي وآله ورعى سوام الدين توفير شكره

فما تدرك المداح أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثره

لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منه تفوت المبالغة في جميل الذكر فأما هـــذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره . المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه . الباسق فرعه . العام نفعه فأشرف من أن يحد بالصفات أو يعد بأفصح العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة . على مشكور العرف والعادة . فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من البسيط] :

كأنما ادخر الرحمن معظمه دون الملوك لسيف الدولة البطل

رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا وصفا، وأفضلهم في القول والعمل

فهزه وظبا الأسياف مغمدة واستله غير منسوب إلى الفلل

حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماه في حلل

فلو نكلم في حال وقيل له : من خير هذا الورى؟ لم يسم غير علي

وله من رسالة أخرى :

سيف شكاه ... وفاء ، ... ... وحسام حق .

ولسان صدق فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة . تحمده أولياؤه ، وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنا البدر من برده ويشملنا السعد من سعده
ولو فخر المجد لم تلقه فخورا بشيء سوى مجده

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جدده من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه بطول التطول مرض آمالي . ما لا أؤمل — مع المبالغة والإغراق فيه — ملك نفسي بحال من ... أياديه . غير أني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحدوثة والخبر بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين . إذ كان — أدام الله عزه ! — قد نصر نباهتي على الخمول ، واستنقذني من التعهد للتأميل [من البسيط] :

قصرت أمسك عن أوصاف نعمته عجزا ، وينطق عن آثارها حالي
لما تحصنت من دهري بمعقله حمت تحملاته ألحاظ إقبالي
وواصلتني صلات منه رحت بها أختال ما بين عز الجاه والمال
فلينظر الدهر عقبى ما صبرت له إذ كان من بعض حسادي وعذالي
ألم أكده بحسن الانتظار إلى أن صنت حظي عن حل وترحال
بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ولا تدافع عن فضل وإفضال
يا عارضا ... كنت بارقه إلا رويت بغيث منه هطال
رويد جودك قد ضاقت بأ ... ورد عني رغم الدهر إقلالي
لم يبق لي أمل أرجو بداك به دهري لأنك قد أفنيت آمالي

والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله بما يبلغني رتبه ازدياده ، ونيل السؤل والإرادة بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :

والعادة جارية بإعانتى على ما أوثره من التجمل فى الخدمة بمتابعة النظر ومواصلة التفقد [من البسيط]

فإن رأى - لا رأى سوءاً ولا برح الـ إقبـال مشتملا أيام دولته -
أن يقتضى لى من إنعامه خلعا تنوب عن منطق فى شكر نعمته
إذا تأملها الحساد لائحة تيقنوا أنها عنوان نيته

فعل إن شاء الله

وله من رسالة إلى المهلبى الوزير :

ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذى لا يتعاطى استطاعة الوصف مطاولته . ولا إمكان البلاغة مساجلته . عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً أنى على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لاحق بذوى الحظوة والاختصاص . إذ كانت خدمة مثلى إنما هى بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :

وفى الحقيقة لولا أن معتقلى عن السرى جود سيف الدولة الملك
لما اقتصرت على غير المسير إلى من حظه فى المعالى غير مشترك
لكنه فلك الفضل المحيط ، وما من عادة الشمس أن تنأى عن الفلك

وفى هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهى من سيادته إلى المحل الذى لم يرقه أحد
أن يقتضى لى حظا من مكارمه يغرى على العدى من أجله الحسد
فالشمس تدنو ضياء وهى نازحة والسحب تروى ومن أوطانها البعد

وله من رسالة إلى أبى محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثر أن لا يصدر كتابى هذا إلا بقصيدة فى الأمير ، غير أن

الوقت لم يتسع لما أوثره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطا لى إلى ما أوثره من المواصلة بأمثالها ، ولا والله ما حبست فيها . ولا فيما تقدمها من المنثور ، عنان القلم ، وهى [من الخفيف] :

جاد ربعا حللته يا همام   من ندى كفك العزيز رهام (١)
فقبيح إن استزدت له صو   ب غمام وأنت فيه غمام
ما بأرض لم تبد فيها صباح   ما بدار حللت فيها ظلام
وإذا ما حللت فى بلد فهـ   و جميع الدنيا وأنت الأنام
سؤدد عنده التفاخر ذل   وندى عنده الكرام لئام
وسجايا كأنها الروض . إلا   أنها للعدو موت زؤام
أنتم أنفس العلا يابنى ور   قاء والناس كلهم أجسام
سخط المال من أكفكم ما   حمدته السيوف والأقلام

وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبى تغلب ابن ناصر الدولة ، يذكر رغبته فى قصده وإيثاره الانقطاع إليه . وذلك فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه ـ فقد استظهر لما بقى من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره ، [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر فى حاله   ولا يطمع الدهر فى قصده
وكيف وقد سار ضيف الغما   د وهو قريب على بعده ؟
ومن علقت بأبى تغلب   يداه احتذى البدر من سعده
همام قضى الله من عرشه   له بالإمارة فى مهده
فطود السيادة فى دسته   وشمس الرياسة فى بُرده

---

(١) الرهام : جمع رهمة ـ بكسر الراء فيهما ـ وهو المطر الضعيف الدائم

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقرونا بإزاحة العلة فى جميع ما يحتاج إليه فى سفره ، والتوقيع بالمبادرة فى المسير إلى الموصل ، وردها ولقى أبا تغلب برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال . وأصدق براهين السعادة ـ أطال الله بقاء سيدنا ! ـ ما شهدت العقول بصحته . ونطقت البصائر بحقيقته . ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما ظل عدله . مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسة ضمن الشكر الوفى لها عن الزيادة نيل السؤل فى الدرك
تحقق الدهر أن الملك منذ نشا له أبو تغلب اسم غير مشترك
واستخلف الفلك الدوار همته فلو ونى أغنت الدنيا عن الفلك

موفر الحسنات . مأمون الهفوات ، متناصر الصفات . ربعى النفاسه . حمدانى السياسة . ناصرى الرياسه . عطاردى الذكاء ، موفق الآراء . شمسى التأثير ، فلكى التدبير ، قمرى التصوير . للصدق كلامه ، وللعدل أحكامه . وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاؤه . وللسحب عطاؤه [من البسيط] :

دعوته فأجابتنى مكارمه ولو دعوت سوى نعماه لم يجب
وجدته الغيث مشغوفاً بعادته والروض يجنى بما فى عادة السحب
لو فاته النسب الوضاح كان له من فضله نسب يغنى عن النسب
إذا دعته ملوك الأرض سيدها طراً دعته المعالى سيد العرب

فأجمل بره . وتقبله مدة مقامه بحضرته ، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة تسعة وخمسين وثلاثمائة . وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام أخرى .

وله من رسالة شكر :

وكأنى أرى عواقب شمائلك على . وتفقدك المتواصل إلى ، من مرآة

العقل . وبصيرة الذكاء والفضل . إذ كانت أمارات الإقبال على حالى بك لائحة . وشواهد السعادة لدى بعنايتك واضحة . [من الوافر] :

فمن نظر يسارع فى صلاحى ومن وصف يحث على نفاقى
فإنعام أسر من التدانى على عدم أفظ من الفراق

وله فى مثلها :

من كان جميل رأى سيدنا عدته . أمن من الدهر شدته . ومن فزع إلى إحسانه . استظهر على زمانه . ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من الكامل] :

وأنا الذى علمت من طلب الغنى كيف الطريق إلى الغنى برجائه
فظللت مخصوصاً بحمد عطائه وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه
وأفدت عدماً معجزات فضائلى من نور فطنته ونار ذكائه
فإذا نطقت نطقت من ألفاظه وإذا وهبت وهبت من نعمائه

ذكر ما دار بينه وبين أبى إسحاق الصابى

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه . ويكاتبه ويراسله . فاتفق أن أبا الفرج قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة . فلم يصبر عنه . فزاره فى محبسه . ثم انصرف عنه ولم يعاوده . فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل يزيدك صرف الدهر حظا إذا نقص
مضى زمن تستام وصلى غاليا فأرخصته . والبيع غال ومرتخص
وآنستنى فى محبسى بزيارة شفت كمداً من صاحب لك قد خلص
ولكنها كانت كحسوة طائر فواقاً كما يستفرص السارق الفرص
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسى وأوحشت خوفاً أن تكون كما القفص

كذا الكرز اللماح ينجو بنفسه إذا عاين الأشراك تنصب للقنص[1]
خوشيت بأدس الطيور فصاحة إذا أنشد المنظوم أو درس القصص
من المنسر الأشعى ومن حزة المدى ومن بندق الرامى ومن قصة المقص[2]
ومن صعدة فيها من الدبق لهدم لفرسانكم عند الطعان بها قعص[3]
فهذى دواهى الطير وقيت شرها إذا الدهر من أحداثه جرع الغصص

فأجابه أبو الفرج فى الحال مع رسوله :

أيا ماجداً مذ يمم المجد ما نكص وبدر تمام مذ تكامل ما نقص
سنخص من هذا السرار . وأيما هلال توارى بالسرار فما خاص[4]
برأفة تاج الملة الملك الذى لسؤدده فى خطة المشترى خصص
تقنصت بالألطاف شكرى، ولم أكن علمت بأن الحر بالبر يقتنص
وصادفت أدنى فرصة فانتهزتها بلقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص
أتتنى القوافى الباهرات تحمل الـ بدائع من مستحسن الجد والرخص
فقابلت زهر الروض منها ولم أرع وأحرزت در البحر منها ولم أغص
فان كنت بالببغاء قدما ملقباً فكم لقب بالجور لا العدل مخترص
وبعد . فما أخشى تقنص جارح وقلبك لى وكر ورأيك لى قفص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهما واستظرفهما . وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبى إسحاق من اعتقاله . ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة .

وكتب أبو إسحاق إلى أبى الفرج أبياتا فى صفة القبج[5] والخطاطيف .

---

(١) الكرز : البازى
(٢) المنسر : هو المنقار المتراكب
(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور
(٤) السرار : آخر أيام الشهر
(٥) القبج : هو الحجل

ثم كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة الببغاء :

أنعتها صبيحة مليحة ناطقة باللغة الفصيحة
غدت من الأطيار ، واللسان يوهمني بأنها إنسان
تنهى إلى صاحبها الأخبارا وتكشف الأسرار والأستارا
سكاء إلا أنها سميعه تعيد ما تسمعه طبيعه
وربما لقنت العضيهه فتغتدى بذيئة سفيهه
زارتك من بلادها البعيده واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والأرز والضيف في أبياتنا يعز
تراه في منقارها الخلوقى كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين في النور والظلمة بصاصين
تميس في حلتها الخضراء مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الأقفاص ليس لها من حبسها خلاص
نحبسها وما لها من ذنب وإنما تحبسها للحب
تلك التي قلبي بها مشغوف كنيت عنها واسمها معروف
نشرك فيها شاعر الزمان والكاتب المعروف بالبيان
وذاك عبد الواحد بن نصر نفيه نفسي عاديات الدهر !

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب تمس العلوم قمر الآداب ؟
أضحى لأوصاف الكلام محرزا وسام أن يلحق لما برزا
وهل يجارى السابق المقصر ؟ أم هل يساوى المدرك المعذر ؟
ما زال بي عن غرض معرضا ولى بما يصدره مستنهضا
فتارة يعتمد الخطافا ببدع تستغرق الأوصافا
وتارة يعنى بنعت القبج من منطق لفصله محتج

يحوم حول غرض معلوم ومقصد فى شعره مفهوم
حتى تجلت رغوة الصريح وسلم التلويح للتصريح
وصح أن الببغاء مقصده بكل ما كان قديما يورده
فلم يدع لقائل مقالا فيها ولا لخاطر مجالا
أهدى لها من كل نعت أحسنه وصاغ من حلى المعانى أزينه
أحال بالريش الأشيب الأخضر وباحمرار طوقها والمنسر[1]
على اختلاط الروض بالشقيق وأخضر المينا بالعقيق
تزهى بدواج من الزمرد ومقلة كسبج فى عسجد[2]
وحسن منقار أشم قانى كأنما صيغ من المرجان
صيرها انفرادها فى الحبس بنطقها من فصحاء الإنس
تميزت فى الطير بالبيان عن كل مخلوق سوى الإنسان
تحكى الذى تسمعه بلا كذب من غير تغيير لجد أو لعب
غذاؤها أزكى طعام رغدا لا تشرب الماء ولا تخشى الصدا
ذات شغى تحسبه ياقوتا لا ترتضى غير الأرز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها حبابة تطفو على عقارها[3]
إقدامها بيأسها الشديد أسكنها فى قفص الحديد
فهى كخود فى لباس أخضر تأوى إلى خركاهة لم تستتر
ووصفها المعجز ما لا يدرك ومثله فى غيرها لا يملك
لو لم تكن لى لقبا لم أختصر لكن خشيت أن يقال منتصر

---

(١) الأشيب : المختلط

(٢) السبج : خرز ناعم أسود ، والدواج : لحاف يلبس

(٣) العقار : الخمر ، والحباب : الفقاعات التي تطفو على الكأس

وإنمـــا تنعت باستحقاق لوصفها حذف أبى إسحاق
شرفها وزاد فى تشريفها بحكم أبدع فى تفويفها
فكيف أجزى بالثناء المنتخب من صرف المدح إلى اسمى واللقب

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل فى مدح الألثغ [من الطويل] :

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله تسميت من بين الخلائق ببغا
بيانا منيراً كاللجين مضمناً نضاراً من المعنى أذيبا وأفرغا
فلو لامرىء القيس انتدبت مجاريا كبا أو لقس فى فصاحته صغا[1]
متى ما يرم ذا الاسم غيرك رائم ليبلغ من غايات فضلك مبلغا
فإنى أسميــــه به ثم أنثنى فأسلبه باء من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلمت البلاغة طائعا إليك فأى الناس خالفنى طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتى بأن كنت منه ثم منى أبلغا
وما هجنت منك المحاسن لثغة وليس سوى الإنسان تلقاه ألثغا
أتعرفها فيما تقدم خاليا لعير إذا ما صاح أو جمل رغا
فيالك حرفا زدت فضلا بنقصه فأصبحت منه بالكمال مسوغا
بقيت ولا تعدم بقاء مرفها وعشت ولا تعدم معاشا مرفغا

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبى تغلب إليه بالموصل — كتب عنه أبو إسحاق فى معناها فصلا من كتاب استحسنه الناس وتحفظوه وأقر له بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الخرمى ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفى بما يحفظه . نحوك يا سيدى ومولاى — أدام الله عزك ! — بالوديعة ، وإنما نقلت من وطن إلى سكن . ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر

(١) صغا يصغو : مال

وانعطاف ، إلى مثوى كرامة وإلطاف . ومن منبت درت لها نعماؤه . إلى منشأ تجود عليها سماؤه . وهى بضعة منى انفصلت إليك ، وثمرة من جنى قلبى حصلت لديك . وما بان عنى من وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأته المنزل الرحب من جميل خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما تضمه أماناتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها بالطائر السعيد ، والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء فى الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها منوطة ، ومن عوادى الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق فى تسميته لها بالوديعة بالفصل الذى كتبه جعفر ابن محمد بن ثوابة عن المعتضد إلى ابن طولون فى ذكر ابنته قطر الندى ، المنقولة إليه ، وهو :

وأما الوديعة — أعزك الله ! — فهى بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ، عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لموالاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جدا واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة فى إقطاعه ومشاهرته .

ولما قرئ الفصل من إنشاء الصابى بحضرة أبى تغلب اعتمد فى الجواب عنه على أبى الفرج الببغاء ، وكتب كتابا يشتمل على هذا الفصل الذى هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمى — أيده الله ! — المستوجب للارتضاء والإحماد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ،

وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فخلت من محل العز فى وطنها . وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : منتقلة من عطن الفضل والكمال . إلى كنف السعادة والإقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب . وفى اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها . ماصان رعايتى عن الوصاة بها . ونزه وفائى عن الاستزادة لها . وكيف يوصى الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره . وإن سببا قرن بإحماد أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ! - ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة - أدام الله تأييده ! - حبلى . ومنح عز الدولة - أيده الله ! - مكنون ودى . واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضى الله عنه وأيدهم بونبو عهدى . إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلا . ودونها بالنية والفعل مناضلا . وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقا . وبمالى عندها من المساهمة والمشاركة واثقا - لحقيق بالتناهى فى الإعظام . وخليق بالمبالغة فى الإيجاب والإكرام . والله يعين على ما أعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفقنى لما يوفى على المحبة والبغية فيه بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبى الفرج الذى يتغنى به

[فمنه قوله] [من الوافر] :

لقد عز العزاء على لما نصدى لى تقتلنى الصدود
إذا بعد الحبيب فكل شىء من الدنيا ولذتها بعيد

وقوله [من البسيط] :

يا سادتى ، هذه نفسى تودعكم إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزع
قد كنت أطمع فى روح الحياة لها فالآن إذ بنتم لم يبق لى طمع

لا عذب الله روحى بالبقاء فما أظننى بعدكم بالعيش أنتفع

وقوله [من الوافر] :

حصلت من الهوى بك فى محل يساوى بين قربك والفراق

فلو واصلت مانقص اشتياقى كما لو بنت ما زاد اشتياقى

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمى بجفون سقمها سبب إلى مواصلة الأقسام فى جسدى

وحق جفنيك لا استعفيت من كمدى دهرى ، ولومت من هم ومن كمد

عذرت من ظل فى حبيك يحسدنى لأنه فيك معذور على حسدى

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابه منه الخلق والخلق فما تسافر إلا نحوه الحدق

توريد دمعى من خديك مختلس وسقم جسمى من جفنيك مسترق

لم يبق لى رمق أشكو هواك به وإنما يتشكى من به رمق

وقوله [من الكامل] :

و مهفهف لما اكتست وجناته حلل الملاحة طرزت بعذاره

لما انتصرت على عظيم جفائه بالقلب كان القلب من أنصاره

كملت محاسن وجهه فكأنما اق تبس الهلال النور من أنواره

وإذا ألح القلب فى هجرانه قال الهوى : لابد منه فداره

وقوله [من الكامل] :

ما ضر من بعد السرور ببعده لو كان يجمل فى صيانة عبده

يبدو فأطرق هيبة ومخافة من أن يؤثر ناظرى فى خده

فلذا صرت أعجب أن علة طرفه ليست تؤثر علة فى وده

وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنا عبده من أين لى شكر يقوم ببعض ما توليه
ينأى فتدنيه إلى على النوى فأراه كالتحقيق فى التشبيه
ما كان أحسن حالتى لو أن ما أوتيت من كرم وعطف فيه

وقوله [من البسيط] :

علمت طيفك اسعافى فما هجعت عيناى إلا وطيف منك يطرقنى
فكيف أشكر من إن نمت واصلنى بالطيف منه وإن لم أغف قاطعنى

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرف بالغرام وأرأف بالمحب المستهام
فلو يسطيع حين حظرت نومى على لزار فى غـــير المنام

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شىء بعد بعدهم بروح مثلك أن تنأى عن الجسد
هم بالوصال أعادوها إليك ، فلم ذخرتها بعدهم للصبر والجلد ؟
وعدت بالدمع تعليلا كأنك قد أظهرت ماليس موجوداً لدى أحد

وقوله [من البسيط]

يامن إذا خفت فيه العـذل آمنى جميل إنصافه من عذل عذالى
ما يستحق زمانى ـ وهو ساحنى بمثل ودك ـ أن أشكوه فى حال
رآك غاية آمالى . فما برحت تسعى ايالبه حتى نلت آمالى

وقوله [من الكامل] :

أو ليس من إحدى العجائب أننى فارقته فحييت بعـــد فراقه
يا من يحاكى البـــدر عند تمامه ارحم فتى يحكيه عند محاقه

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحب قلباً لم تذر فكرى للحب مستمتعا فيه ولم تدع
مفرقا بين هم غـــير مفترق عنه ، وبين سلو غـــير مجتمع

* * *

وهذه غرر من شعره فى الغزل والخمر

أنشدت له فى رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت فى معناه [من الطويل] :

بنفسى ما يشكوه من راح طرفه ونرجسه مما دهى حسنه ورد
أراقت دمى ظلماً محاسن وجهه فأضحى وفى عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخد حتى كأنما سقى عينه من ماء توريده الخد
لئن أصبحت رمداء مقلة مالكى لقد طالما استشفت بها مقل رمد

وله فى الفصد [من الخفيف] :

بأبى الغائب الذى لم يغب ع نى فأشكو إليه هم المغيب
باشرته كف الطبيب ، فلو نل ت الأمانى قبلت كف الطبيب
فعلت فى ذراعه ظبة المب ضع أفعال لحظه بالقلوب
فأسالت دماً كأن جفونى عصفرته بدمعها المسكوب
طاب جداً فلو به سمح الدهـ ـر لأمسى عطرى وأصبح طيبى

وله فى غلام خرج غازيا [من البسيط] :

يا غازيا أتت الأحزان غازية إلى فؤادى والأحشاء حين غزا
إن بارزتك كماة الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا

وله فى وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرة أنخت بها وقرن الشمس لم يغب
فخلت قزازها بالرا ح بعض معادن الذهب

وقد ذرفت لفقد الكرم فيها أعين العنب
وجاش عباب واديها بمنهل ومنسكب
وياقوت العصير بها يلاعب لؤلؤ الحبب
فيا عجبا لعاصرها وما يغنى به عجبى !
وكيف يعيش وهو يخوض فى بحر من اللهب ؟

وله فى الخمر والقدح [من المنسرح] :

بالقفص للقصف منزل كثب ما للتصابى فى غيره أرب
جادت به ديمة السرور . وحل اللهو فيه . وعرس الطرب
دارت نجوم السرور فى فلك منه له من فتوتى قطب
من كل جسم كأنه عرض يكاد لطفا باللحظ ينتهب
نور وإن لم يغب . ووهم وإن صح . وماء لو كان ينسكب
لا عيب فيه سوى إذاعته الـسر الذى فى حشاه يحتجب
كأنما صاغه النفاق فما يخلص صدق منه ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه بالراح فى صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية فيه علينا الأوتار والنخب
فالراح بدر . والجام هالته . والأفق كفى . والأنجم الحبب
حال به الماء عن طبيعته بالمزج حتى خلناه يلتهب
ونحن فى مجلس تدير به الـخمر علينا الأقداح لا العلب
ينسى بأوطانه الحنين إلى الـأوطان من بالسرور يغترب
لولا حفاظى المشهور ما أمنت من بعد بغداد سلوتى حلب

وله [من الخفيف] :

ومدام كأنها فى حشا الدن صباح مفارن لمساء
فهى نفس لها من الطين جسم لم تمتع فيه بطول البقاء
ما توهمت قبلها أن فى العا لم ناراً تذكى بقرع الماء
برلت والضحى عن الليل محجو ب فلاحت كالشمس فى الظلماء
وتلاه الفجر المنير فعفنا ه لأنا عن نوره فى غناء
ما استزدنا به ضياء على أيسر ما كان عندنا من ضياء
مازجت جوهر الزجاج فجاءت كشعاع ممازج لهواء
وتحلت من الحباب بدر يتلاشى باللحظ والإيماء
بينما تكتسى به زرد البلو ر حتى ترفض مثل الهباء
فكأنا بين الكؤوس بدور تتهادى كواكب الجوزاء
وكأن المدير فى الحلة البيضاء منها فى حلة صفراء
حبذا العيش حيث تسرى الأمانى بين جد الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أقضى على قلبي وأمضى من نشوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل فى عتق الخمر [من الكامل] :

وعريقة الأنساب والشيم موجودة والخلق فى العدم
قدمت فلا تعزى إلى حدث إلا إذا عزيت إلى الهرم
هى آدم الكرم المولد فى الدنيا وحوا الخمر فى القدم
كملت فضائلها وقصر عن أوصافها الإغراق فى الكلم
ظهرت ونور الشمس فى فلك من قبل خلق الصبح والظلم
فانهل جوهرها بمنسكب لم يعتصر بيد ولا قدم
واشتق معنى اسم السلاف لها من كونها فى سالف الأمم

فكأنها فى صفوها خلق وكأنها فى عتقها كرمى

وله [من الخفيف] :

غادنى بالصبوح قبل الصباح واحر فى حلبة الصبا والمراح
واغتنم زائر الغرام فقد بشر بالغيث من نسيم الرياح
عاطنيها كالجلنار إذا ما كللت من حبابها بالأقاح
فى اختصاص التفاح بالطيب والحمره لا فى كثافة التفاح
غير نبكر أن تستمد شعاع الشمس منها كواكب الأقداح
فهى أصل الأنوار لطفاً كما كـ ـانها عنصر الزلال القراح
حدمتها الأجسام انطبع لما شاهدت قربها من الأرواح
فتدارك بها حشاشة ... حى وحرك بها سكون ارتياحى
بين وردين من ... وخد وسرابين من رضاب وراح
ونشيد مستنبط من حديث وغناء يغنى عن الاقتراح
فألذ الحياة ما حاط ... فى ... فساده بصلاح

وله فى وصف شرب فى قدح أزرق فيه صور من المنسرح

... منه للظلام فى عنق ... جمع ... وشمس مغتبق
وكم صباح ... أسمى ... فاق ... اصح ... فلق
تعاطنيها ... كشعشعة كـ ... فى صفائه حلق
فى زرق كاهو ... محرقه ... الحفه وإن كان غير محترق
كأن ... ... حسناً ولطفاً من ... رقة احدق
سارت ... ... منادمه ... ... السقاة لم تفق
... من ... ح فى أزرق ... عند المزج فى أشفق
... ... المد ... ... من الحرق

فلو ترى راحتى وزرقته من صبغها فى معصفر شرق
لخلت أن الهواء لاطفنى بالشمس فى قطعة من الأفق

وله من قصيدة [من الكامل] :

كم للصبابة والصبا من منزل ما بين كلواذا إلى قطربل
جادته من ديم المدام سحائب أغنته عن صوب الحيا المتهلل
غيث إذاما الراح أومض برقه فرعوده حث الثقيل الأول
لطفت موافع صوبه فسجاله نهمى على كرب النفوس فتنجلى
راضعت فيه الكأس أهيف ينثنى نحوى بجيد رشا وعينى مغزل
فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه بممزج من نسجها ومثقل
وكسا البنان بها خضاباً ياله لو أنه من وقته لم ينصل
قدح البزال زنادها من دونها فتهافتت مثل الشراب المرسل
وطغت لعجز الماء عن إطفائها حتى ظننت الكأس جذوة مصطلى
فوردت أروى موردوشربت أحـ لى مشرب ونهلت أعذب منهل
ونزعت لافى السكر خنت تصونى بخناً ولا فى الصحو شنت تجملى

وقال فى الورد [من الخفيف] :

زمن الورد أظرف الأزمان وأوان الربيع خـــير أوان
أدرك النرجس الجنى وفزنا منهما بالخدود والأجفان
أشرف الزهرزار فى أشرف الدهـ ـر فصل فيـه أشرف الإخوان
واجل شمس العقار فى يد بدر !! حسن يخدمك منهما النـيران
وأدرها عذراء وانتهز الإمـ ـكان من قبل عائق الإمكان
فى كئوس كأنها زهر الخشـ ـخاش صمت شقائق النعمان
واختدعها عنـد البزال بألفا ظ المثانى ومطربات الأغانى

فهى أولى من العرائس إن زفـ ـت بعزف النايات والعيدان

وقال فى النرجس [من السريع] :

ونرجس لم يعد مبيضه الـ ـكأس ولا أصفره الراحا
نخال أقحاف لجين حوت من أصفر العسجد أقداحا
كأنما تهدى التحايا به لطفاً إلى الأرواح أرواحا
يلهى عن الورد إذا ما رنا ويخلف المسك إذا فاحا
أحبب به من زائر راحل عوض بالأحزان أفراحا
فانتهز الفرصة فى قربه وكن إلى اللذات مرتاحا
وهاتها عـــذراء لم نفترع فى الليل إلا عاد إصباحا
كأنما كل بنان حوت كاساتها تحمل مصباحا
واجن بألحاظك من وجنتى مديرها ورداً وتفاحا

* * *

غرر شعره فى سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر] :

صحبت الدهر فى سهل وحزن وجربت الأمور وجربتنى
فلم أر مذ عرفت محل نفسى بلوغ غنى يساوى حمل من
ولم تتضمن الدنيا لحظى منال مسرة إلا بحزن
حملت على السوابق ثقل همى وشاهدت العواقب صفو دهنى
وشمت بوارق الآمال دهراً فلم أظفر على ظمأ بمزن
ولم أر كالجياد أصح ودا إذا عدل الودود إلى التجنى
نكلفها حزائننا فتكفى ونستدنى الحظوظ بها فتدنى
وهبت لمن نطع الليل منها أغر كمثل ضوء الصبح منى

وكنت بحيث ظن من اعتزام وكان من المضاء بحيث ظنى
وثالثنا ابن جد لا يرى أن يصاحب فى تصرفه ابن وهن
حجبت لجفنه الأبصار عنه ومن لى أن يكون الجفن جفنى
سقيت نداى ما أسنى محلى وأرفع همتى وأعز ركنى
رسا فى تربة العلياء أصلى وأينع فى بروج العز غصنى
وليس على عير الجد فيما سعيت له لأسعنى وأغنى
فإن أحرم فلم أحرم لعجز وإن أبلغ فنفسى بلغتنى

وله من أخرى [من المنسرح] :

ما الذل إلا تحمل المنن فكن عزيزاً إن شئت أوفهن
إذا اقتصرنا على اليسير فما علة فى عتبنا على الزمن

وله من أخرى [من البسيط] :

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرم أخلاقه فى دياجى دهره شعل
حماه وهو غلام غير مكتهل عن المطامع فضل فيه مكتهل

وله من أخرى [من الوافر] :

أكل وميض بارقة كذوب أما فى الدهر شىء لا يريب ؟
أبى لى أن أقول الهجر قدر بعيد أن تحاوره العيوب

وله من أخرى فى سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح] :

لا غيث نعماه فى الورى خلب ال برق ولا ورد جوده وشل
حاد إلى أن لم يبق نائله مالا . ولم يبق للورى أمل

وله [من الكامل] :

واليوم من غسق العجاجة ليلة والكر يحرق سجفها الممدودا
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه روع أحال بياضها توريدا

والطعن يغتصب الجياد شياتها والضرب يقدح فى التريك وقودا
وعلى النفوس من الحمام طلائع والخوف ينشد صبرها المفقودا
وقد استحال البر بحرا ، والضحى ليلا . ومنخرق الفضاء حديدا
وأجل ما عند الفوارس حتفها فى طاعة الحرب الجياد القودا
حتى إذا ما فارق الرأى الهوى وغدا اليقين على الظنون شهيدا
لم يغن غير أبى شجاع والعلا عنه تناجى النصر والتأييدا

وله من أخرى [من البسيط]:

من كل متسع الأخلاق مبتسم للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيل
يسعى به البرق إلا أنه فرس فى صورة الموت إلا أنه رجل
يلقى الرماح بصدر منه ليس له ظهر وهادى جواد ما له كفل

وله من أخرى [من الكامل]:

فى سالب للشمس ثوب ضيائها عجاجه من الفضاء لثام
كالليل إلا أن ثوب ظلامه من عثير ونجومه من لام
يلقى الدجى من بيضه الضحى كما يلقى الضحى من نقعه بظلام

وله من أخرى [من الكامل]:

قاد الجياد إلى الجياد عوابسا تعدو ، ولولا أمره لم تنقد
فى جحفل كالسيل أو كالليل أو كالقطر صافح موج بحر مزبد
متوقد الجنبات يعتنق القنا فيه اعتناق تواصل وتودد
متعنجر بدا الصوارم محدق تحت الغبار وبالصوارم مرعد
رد الظلام على الضحى فاسترجع ا لظلام من ليل العجاج الأربد
وكأنما نفضت حوافر خيله للناظرين أهلة فى الجلمد
وكأن طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الإثمد

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح] :

من كل مختالة تنقب بالـ ـعثير وجه الضحى من الخجل
تضم أحشاءها على أسد تزأر فى غابة من الأسل

وله من أخرى [من الخفيف] :

فى خميس كأنما السمر والأبـ ـطال فيه غيل حمته أسود
سلب الشمس ضوءها بشموس طالعات أفلاكهن حديد
عارض كلما جلته بروق الـ ـبيض حثته بالصهيل الرعود

وله من أخرى [من الطويل] :

وموشية بالبيض والزغف والقنا محبرة الأعطاف بالضمر القب
بعيدة ما بين الجناحين فى السرى قريبة ما بين الكميين بالضرب
من السالبات الشمس ثوب ضيائها بثوب تولى نسجه عثير الترب
يعاتب نشوان القنا صادح الظبا إذا التقيا فيها على قلة الشرب
أعادت علينا الليل بالنقع فى الضحى وردت إلينا الصبح فى الليل بالشهب
تبلج عن شمسى نزار ويعرب وتفتر عن طودى علا تغلب الغلب
موفرة يقتاد ثنى زمامها بصير بأدواء الكريهة والحرب
أصح اعتزاما من خؤون على فلا وأنفذ حكما من غرام على صب

وله من أخرى [من المتقارب] :

ويوم أغص اتساع الفضا ء جيش لمن أمه مهول
يخيل أن ماله آخر إذا ما تراءى له أول
ويغصب شمس الضحى نورها من الخيل ما تبعث الأرجل
دجى أنت بدر به والنجو م زرقك والظلمة القسطل

وله من أخرى [من البسيط] :

فى عارض ضاقت الأرض الفسيحة عن سراه إذ سال فيها سيله العرم

كأنه الليل لا قرب ولا بعد يخفى عليه ، ولا فج ولا علم

يهدى الغبار إليه الشمس كاسفة كأنها فيه سر ليس ينكتم

شق الغضنفر آجام الرماح به والموت يسفر أحيانا ويلتثم

فراسل الدهر فى الأعداء عزمته وكاتب النصر عنه السيف لا القلم

وما سمعنا بليث قبل رؤيته إذا سرى صاحبته فى السرى الأجم

الباذل العرف والأنواء باخلة والمانع الجار والأعمار تخترم

حيث الدجى النقع ، والفجر الصوام ، والا أسد الفوارس ، والخطية الأجم

وله من أخرى [من الطويل] :

وكل بعيد قرب الحين نحوه سلاهبك الجرد الخفاف قريب

تباشر أقطار البلاد كأنها رياح لها فى الخافقين هبوب

تماشى بفتيان كأن جسومهم لخفتها فوق السروج قلوب

وله من أخرى [من الطويل] :

أتاهم بألحاظ الجياد ولم يكن ليناًى عليها المنزل المتباعد

من اللاء يهجرن المياه لدى السرى ويعتضن شم الجو والجو راكد

مرن على لدع القنا فكأنما عليهن من صبغ الدماء مجاسد

نسجن ملاء النقع ثم حرقنه بكر لها منه إلى النصر قائد

عليهن من نسج الغبار غلائل رقاق ومن نضح الدماء قلائد

وله من قصيدة فى وصف فرس [من الكامل] :

إن لاح قلت أدمية أم هيكل أو عن فلت أسابح أم أجدل

تتخاذل الألحاظ فى إدراكه ويحار فيه الناظر المتأمل

فكأنه في اللطف فهم ثاقب وكأنه في الحسن حظ مقبل

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط] :

قد جاءت البغلة السفواء يجنب منـ ها البرق غيث ندى ينهل ماطره
عريقة ناسبت أخوالها فلها بالعتق من كرم الجنسين فاخره
ملء الحزام وملء اللبد مجفرة يريك غائبها في الحسن حاضره
أهدى لها الروض من أوصافه شية خضراء ناضرة إذ حال ناضره
ليست بأول حملان شريت به حمدى ، ولا هي ياذا المجد آخره
كم قد تقدمها من سابح بيدى عنانه . وعلى الجوزاء حافره

وله في وصف بركة [من المتقارب] :

وقوراء كالفلك المستدير تروق العيون بلألائها
حبتها البحار بأمواجها وسحب السماء بأنوائها
كأن تدفق تيارها يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها وخلقك أعذب من مائها

* * *

البـــــاب الثامن

فى ذكر الخليع الشامى ، والوأواء الدمشقى وأبى طالب الرقى

أما الخليع فكنيته أبو عبد الله ، وقد ذهب عنى اسمه ، وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحترى وبقى إلى أيام سيف الدولة فانخرط فى سلك شعرائه

فحدثنى أبو بكر الخوارزمى قال : رأيت الخليع بحلب شيخا قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل]

جيراننا جار الزمان عليهم إذ جار حكمهم على الجيران

ماالشأن ويحك فى فراق فريقهم الشأن ويحك فى جنون جنانى

خذ يا غلام عنان طرفك فاتنه عنى . فقد ملك الشمول عنانى

سكران سكر هوى وسكر مدامة أنى يفيق فتى به سكران ؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب]

بأى المدامين لم أسكر بكأسك أم طرفك الأحور

سقيت من الشمس مشمولة على غرة القمر الأزهر

إذا المـــاء خالطها جنحت أكاليل در عــلى جوهر

كأن على الشرب من لونها ثيابا من الذهب الأحمر

وقوله لسيف الدولة [من الكامل]

أنا شاعر . أنا شاكر . أنا ناثر . أنا راجل ، أنا جائع . أنا عارى

هى ستة فكن الضمين لنصفها أكن الضمين لنصفها بعيار

والنار عندى كالسؤال فهل ترى أن لا تكلفنى دخول النار

وأنشدنى غيره للخليع ، وأنا أشك فيه ، من السريع] :

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا
انظر إلى الظل إذا ما انتهى يأخذ فى النقص إذا طالا

أبو الفرج محمد بن أحمد الغسانى الدمشقى الملقب بالوأواء

من حسنات الشام ، وصاغة الكلام . ومن عجيب شأنه ماأخبرنى به أبو بكر الخوارزمى قال : كان الوأواء مناديا فى دار البطيخ بدمشق ينادى على الفواكه ، وما زال يشعر حتى جاد شعره وسار كلامه ، ووقع فيه ما يروق ، ويشوق ويفوق ، حتى يعلو العيوق [١] . ثم أخبرنى أبو الحسن المصيصى بما يصدقه ، وأنشدنى لمعا يسيرة من شعره ، وذكر أنه سمعها من إنشاده . وأول من حمل ديوانه إلى نيسابور أبو نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد فى جملة ما حصله من اللطائف والبدائع التى عنى بها ، وأنفق الرغائب عليها ، وأتحفنى بذلك فى دفتر صغير الجرم ، خفيف الحجم ، ثم ألحق به ما استملاه من القوال المعروف بعين الزمان . وهوغير ثقة فى الرواية والحكاية ، وكنت أنقت فى إخراج مايفتقر الأديب إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره ، من شعر الوأواء فى النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد فى هذه المقرره كثير زيادة .

وقرأت فى بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بى ، ويطلعنى على الخاص من سره ، فقال لى مرة : أشعرت يا أباعبد الله أنى انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلى استقبلنى

---

(١) العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

فلانة (يعنى جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفتيها هواء لورقد المخمور فيه لصحا ، فكان هـــذا مما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح ، وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به و نظمه فى قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلا طاب إذ زار طيفه فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيـــه أفاقا
تملكنى لمـا تملكت مهجتى وفارقنى لما أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمى والمصيصى له ، ووجدته فى ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية فى الملاحة [من الوافر] :

أتانى زائرا من كان يبدى لى الهجر الطويل ولا يزور
فقال الناس لمـا أبصروه : ليهنك ! زارك البدر المنير
فقلت لهم ودمع العين يجرى على خدى له در نثير
متى أرعى بروض الحسن منه وعينى قد تضمنهـا غدير؟
ولو نصبت رحى بإزاء دمعى لكانت من تحدره تدور

وأقدر أنه ألم فى البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل]

وإن تك فى خديك للحسن روضة فإن على خدى غديراً من الدمع

ومن ملح قوله فى وصف الدمع [من الخفيف] .

كل دمع فبالتكلف يجرى غير دمع المحب والمهجور
ورد البين دمع عينى فأضحى كعقيق أذيب فى بلور

ومن ملحه فى الخمر [من المنسرح

عذبتها بالمزاج فابتسمت عن برد نابت على لهب
كأن أيدى المزاج قد سبكت فى كأسها فضة على ذهب

وقوله [من الكامل] :

فامزج بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي

واشرب على زهر الرياض مدامة تنفي الهموم بعاجل السراء

لطفت فصارت من لطيف محلها تجري كمجرى الروح في الأعضاء

وكأن مختنقة عليها جوهر ما بين نار أذكيت وهواء

وكأنها وكأن حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وقوله [من الطويل] :

يطوف براح ريحها ومذاقها نسيم الصبا والعيش في زمن الصبا

ومن ملحه في الخط [من الطويل] :

وشمس بأعلاه وليلين أسبلا بخديه إلا أنها ليس تغرب

وللماحوى نصف الدجى نصف خده تحير حتى ما درى أين يذهب

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليل على صباح على قضيب على كثيب

حتى أتت ألسن الليالي معتذرات من الذنوب

فيا لها زورة أخذنا بها أماناً من الخطوب

وقوله [من الكامل] :

بدر تقنع بالظلا م على قضيب في كثيب

تدعو محاسنه القلو ب إلى مشافهة الذنوب

فعلت به ريح الصبا ما ليس نفعل بالقضيب

عقلت ركائب حسنه بعقولنا عند المغيب

وتلطمت وجناتنا بيد الدموع من النحيب

وكأنما تشويشنا تشويش ألفاظ المريب

يا بدر بالبدر الذي أطلعت من فلك الجيوب

وبعقرب الصدغ الذي زرفنت من حسن وطيب[1]

ترعى وما استرعيتها ثمر القلوب بلا دبيب

هب لي مزارك في الكرا كيما أراك بلا رقيب

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواحظها كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قود ؟

وأسبلت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً ، وعضت على العناب بالبرد

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانة لو بدت للشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحد

كأنما بين غابات الجفون لها أسد الحمام على طرق الهوى رصدي

وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر بساعد حل عقد مصطبري

كأنه والعيون ترمقه عمود نور في دارة القمر

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أجـ فانها عقد لؤلؤ منثور

فكأن الكحل السحيق مع الدمـ ع على خدها بقايا سطور

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرة والبرق خلاس

كأنها قوس رام والبروق له رشق السهام وعين الشمس برجاس[2]

(١) زرفن صدغيه : أدارهما وجعلهما كالحلقة .

(٢) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحوه .

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكرى ما بي فليس بمنكر عند التفرق دهشة المتحير
يا هذه روحى إليك هدية فتجملى فى أخذها لى واعذرى
وتأملى غير الزمان فإنها تحكى تغير عهدك المتغير
ولرب ليل ضل عنه صباحه وكأنه بك خطرة المتذكر
والبدر أول ما بدا متلثما يبدى الضياء لنا بخد مسفر
فكأنما هو خوذة من فضة قد ركبت فى هامة من عنبر

وقوله فى غلام عليل [من مخلع البسيط] :

ابيض واصفر لاعتلال فصار كالنرجس المضعف
كأن نسرين وجنتيه بشعر أصداغه مغلف
يرشح منه الجبين ماء كأنه لؤلؤ مصنف

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلى أمد من نفس العا شق طولا إذ زارفيه الخليل
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفا ن الدجى عن قميصه محلول (١)
وكأن الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل

وقوله [من الخفيف] :

وغداف الظلام فى شرك الفجر تريكى فى قبضة الارتهان(٢)
وكأن النجوم أحداق روم ركبت فى محاجر السودان

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حث شربي بكأسه قمر بقد غصن وخصر زنبور

(١) الخفان : الجوانب .
(٢) أصل الغداف : الغراب الأسود وهو لا يبيض أصلا .

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمن لنا برق الثغور أدلة إذا ما ضللنا في ظلام الذوائب

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه اسقام عاشقه طبيب
حزت المودة فاستوى عندي حضورك والمغيب
كن كيف شئت من البعا د فأنت من قلبي قريب

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبودي أن تودعني روح الحياة وأني لا أودعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
وكم تشفع في أن لا أفارقه وللضرورة حال لا تشفعه

وقوله [من البسيط] :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في كلامكما : ما بال عبدك بالهجران تتلفه ؟
فإن تبسم قولا عن ملاطفة ماضر لو بوصال منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيدي غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمان أنيق وعيش الخلاعة عيش رقيق
وقد جمع الوقت حاليهما فمن ذا يفيق ومن يستفيق
فيا من هو الفوز لي والمنى ومن هو بالود مني حقيق
أدر لحظ عينيك وامرجه في مروج الرياض تجدها تشوق
ترى مزوج الحسن في مفرد حبائل المحاسن فيه دقيق

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه فكيف الخلاص وأين الطريق ؟
بهـــار بهير به غيرة على نرجس وشقيق شقيق
فـذا عاشق وجل خائف وذا خجل وكذاك العشيق
مداهن يحملن ظل الندى فهاتيك تبر وهـذي عقيق
تنظم أوراقهـا درها ونثر منهـا التي لا نطيق
يميـــل النسيم بأغصانها فبعض نشاوى وبعض مفيق
ويوم ستارته غيمـه وقد طرزت رفرفيها البروق
جعلنـا البخور دخانا له ومن تبرر الراح فيه حريق
تظل به الشمس محجوبة كأن اصطباحك فيه غبوق
على شجرات رافعات الذيول لماء الجداول منها شهيق
سجدنا لصلبان منورها وقد نصرتنا عليها الرحيق
وقلنـا بهـا ولضوء الصباح على عبر الفجر منها خلوق
أدر يا غلام كئوس المدام وإلا فيكفيك لحظ وريق
أبا من هو الفور لى بالمنى ومن هو بالود منى حقيق
تغنم بنا غفلة الحادثات فوجه الحوادث وجه مفيق
وحث الصبوح لضوء الصباح فتنسع الهم فيه يضيق

وقوله [من البسيط] :

وزائر راع قلب الناس منظره أحلى من الأمن عندالخائف الوجل
ألقى على الليل لىلا من ذوائبه فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
أراد بالهجر قتلي فاستجرت به فاستل بالوصل روحي من يدي أجلي
وصرت فيه أمير العاشقين فقد صارت إمارة أهل العشق من قبلي

وقوله [من الوافر] :

وما أبقى الهوى والشوق مني سوى روح تردد في خيال
خفيت عن النوائب أن تراني كأن الروح مني في محال

وقوله [من البسيط] :

ما حكم البين إلا جار محتكما ولا انتضى سيفه إلا أراق دما
يا دارهم خبرينا ما الذي فعلوا فربما جهل المشتاق ما علما
الله يعلم أني يوم بينهم ندمت إذ لم أمت في إثرهم ندما
قد سرني أنهم قد سرهم سقمي فازددت كيما يسروا بالضنا سقما

وقوله [من مجزوء الرجز] :

رماه ريم فأصا ب القلب منه إذ رمى(١)
واحتج في قتلته بأنه ما علما
يا معشر الناس أما ينصفني من ظلما ؟
علم سقم طرفه جسمي منه سقما
فسقم جسمي في الهوى من طرفه تعلما
لو قيل لي ما تشتهي محبراً محكما
لقلت أن ألثمه نحراً ووجها وفما

وقوله [من المتقارب] :

له مضحك برقه خاطف عقول الرجال إذا ما ابتسم
أقول له إذ بدا دره : سهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدر يثقبه الناظمو ن وما ثقبوا ذا فكيف انتظم ؟!

---

(١) الريم : الظبي الخالص البياض . والأصل فيه الهمز .

وقوله [من المتقارب] :

تملكت يا مهجتى مهجتى وأسهرت يا ناظرى ناظرى
وفيك تعلمت نظم الكلام فلقبنى الناس بالشاعر
وما كان ذا أملى يا ظلوم ولا خطر الهجر فى خاطرى

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحديث كأنه أوبة من مسافر
كان أحلى من الرقا د لدى طرف ساهر
بت ألهو بطيبه فى رياض زواهر
بين ساق وسامر ومغن وزامر

حدثنى أبو بكر الخوارزمى . قال : حضرت مع الشيخ أبى الحسن النمرى دعوة القاضى أبى بكر الحيرى ، فغنى بعض القوالين بهذه الأبيات [من الكامل] :

قم يا غلام إلى المدام قم داونى منها بجام
قم فاسقنى برق الثغو ر فقد مضى برق الغمام
بادر إلى صرف الحيا سابقا صرف الحمام
وتغنم الغفلات من دهر يجور على الكرام

فاستملحها أبو الحسن ، وسألنى عن قائلها ، فأخبرته أنها لأبى الفرج الوأواء ، فاقترح على معارضتها ، فارتجلت أبياتا ثم أتممتها قصيدة منها [من الكامل] :

لما بدت روح الضيا ء تدب فى جسم الظلام
وغدت نجوم الليل وهـ ـى تفر من حدق الأنام
والديك يتلو دائما هجو النيام على القيام
ناقضت ما قال المؤذ ن بالفعال وبالكلام
هو قال حى على الصلا ة وقلت حى على المدام

ومنها :

لما رأيت الهم يطــرق من أتاه بلا سلام
ضيف يزور فليس يأ كل غير لحى أو عظامى
والدهر قد حمل السلا ح على الكرام عن اللئام
داويته بالراح إن الراح ترياق الكرام

ومن ملح الوأواء وطرفه قوله فى جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :

يا صروف الدهر حسبي أى ذنب كان ذنبي ؟
طرقتني نائبات الــدهر فى إعلال حبي
علة عمت وخصت فى حبيب ومحب
دب فى كفيه ما من حبــه دب بقلبي
فهو يشكو حر حب واشتكائى حر حب

وقوله فى زرقة عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء فى تكوين خلقته ومن هو الخمر فى أفعال مقلته
ومن بزرقة سيف اللحظ طال دمى والسيف ما خره إلا بزرقته
علمت إنسان عيني أن يعوم فقد جادت سباحته فى بحر دمعته

وللسرى الموصلى فى مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقة نشين فقل لهما مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى إذا لم يكن متنه أزرقا ؟

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

ماذا الذى ورد خديه إذا أخذت منه اللواحظ شذا رده لخجل
ماذا يضرك أن يجنى وقد ضمنت أضعاف ما تجتنى من لحظها المقل ؟
هبه لعمرك ماعون بخلت به على العيون . وبئس الخلة البخل

وله [من السريع] :

رثى له مما به نابه   صب غدا صباً بأوصابه
ميت يرى حياً ولكنه   تربته ما بين أثوابه
أى حياة لامرئ قد بلى   بالقرب من فرقة أحبابه ؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة فى قبلة الكأ   س بتسبيح ألسن العيدان
كم صلاة على فتى مات سكرا   قد أقيمت فينا بغير أذان

***

أبو طالب الرقى

لم أجد ذكره إلا عند أبى بكر الخوارزمى . وسمعته يقول : إنه أحد المقلين المحسنين . الذين يطبقون المفصل فى أغراضهم . وينظمون الدر المفصل فى معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدنى له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرتك فى الظلام كأنه   يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وكأن أجرام النجوم لوامعاً   درر نثرن على زجاج أزرق
والفجر فيه كأنه قطر الندى   ينهل من سبح الغمام المغدق

وقوله [من الكامل] :

ومعير وجه البدر ما فى وجهه   والغصن ما فى قده المتأود[1]
رمدت جفونى من تورد خده   فكحلتها من عارضيه بإثمد

وقوله [من الكامل] :

ديباج خدك بالعذار مطرز   وشبيه وجهك فى البرايا معوز

---

(١) المتأود : اسم الفاعل من مصدر تأود بمعنى تثنى وتمايل

وكأنما إنسان عينك شاهر سيف اللحاظ يصيح : من ذا يبرز ؟
يا من أعز بذلتى فى حبه مثلى رأيت بذلة يتعزز ؟

وقوله [من الطويل] :

ومشتمل ثوبى عفاف وفتنة يرى قتل من يهوى إلى النسك مسلكا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى فيقضى ولا يقضون للحج منسكا
جنى اللحظ من خديه وردا موردا ومن عارضيه ياسمينا ممسكا
فيا رائحا منه بأوفر فتنة تجهز نعام بعد هذا لعلكا

وقوله [من الرجز] :

مصفرة الظاهر بيضاء الحشا أبدع فى صنعتها رب السما
كأنها كف خضيب دنف معصب يحسب أيام الجفا

وقوله [من المنسرح] :

ووردة فى بنان معطار حنت بها فى لطيف أسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد عضها عاشق بدينار

الباب التاسع

فى ملح أهل الشام ومصر والمغرب

وطرف أشعارهم ونوادرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة. وتطرفتها من أثناء التعليقات . ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة بتفسح فى طريق الاختيار منها : وإنما هى تفاريق تلتقى أطرافها ، وتجتمع حواشيها . ولن نعدم القلائد فيها بحمد الله ومشيئته .

أنشدنى أبو بكر الخوارزمى للتلعفرى ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :

ما أصعب العيش على بائس معاشه فى حلب النحو

ليس له فى بردها جنة ولا قميص لا ولا فرو

ثم أنشدنى له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قف وعرج واقرأ سلامى على بنى طى

وقل لهم ظبيكم جفانى لما رآنى وما معى شى

ووجدت للسرى والسلامى هجاء فى التلعفرى يدل على أنه من مذكورى الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدنى محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدنى أبو الحسن على بن أحمد التلعفرى بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدل على الرقاد جفونى قد ضاع بين صبابتى وشجونى

أما النجوم فقد ألفن رعايتى والعائدات فقد مللن أنينى

قال : وأنشدنى أيضاً على بن محمـــد الشاشى بميا فارقين ، قال : أنشدنى لنفسه فى غلام نصرانى [من الوافر] :

غريب الحسن، من سماك بدرا؟ وبدر التم ، فى خديك خال
كتمت هواك إذ قلبى سليم فذاب القلب وانحل العقال
وكنت كمودع الحلفاء نارا وكتم النار فى قصب محال

وأنشدنى أيضاً [من الخفيف] :

رب ليل سهرت حتى تجلى معرماً فى ظلامه أتقلى
والثريا كأنها رأس طرف أدهم زين باللجام المحلى

وقوله [من الكامل] :

ومتيم أبدى إلى غرامه فعذلته والعذل فعل الجاهل
حتى إذا أبصرت مالك رقه كادت لواحظه تصيب مقاتلى
إن عدت أعذل عاشقاً من بعده فأصابنى ربى بحتف عاجل

وأنشدنى أيضاً قال : أنشدنى أبو نصر بن أبى الفتح بن كشاجم بصيداء الشام لنفسه فى وصف الكتاب من أبيات [من المسرح] :

وصاحب مؤنس إذا حضرا جالسنى بالملوك والكبرا
جسم موات تحيا النفوس به بجال معنى وإن دنا خطرا
ملكت منه كنزا غنيت به فما أبالى ما قل أو كثرا
أظل منه فى مجلس حصل بالناس ضرا ولا أرى بشرا
وإن أطفل به ببالك من مستحسن منظرا ومختبرا
أعجب به جامعاً ولو جمعت عليه كف الجليس لاستترا

وله فى شمعة من المنسرح] :

بركة صفر عمودها شمع تفيض نارا من موضع الماء
تبكى إذا ما المقص خمشها فرط حياء من الأخلاء
كأنها عاشق مخايله فيه بواد لمقلة الرائى
صفرة لون . وذوب معتبة . ودمع حزن . ونار أحشاء

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال فى بخيل من الطويل :

صديق لنا من أبرع الناس فى البخل وأفضلهم فيه وليس بذى فضل
دعانى كما يدعو الصديق صديقه فجئت كما يأتى إلى مثله مثلى
فلما جلسنا للطعام رأيته يرى أنه من بعض أعضائه أكلى
ويغتاظ أحيانا ويشتم عبده وأعلم أن الغيظ والشتم من أجلى
فأقبلت أستل الغذاء مخافة وألحاظ عينيه رقيب على فعلى
أمد يدى سرا لأسرق لقمة فيلحظنى شزرا فأعبث بالبقل
إلى أن جنت كفى لحتفى جناية وذلك أن الجوع أعدمنى عقلى
فجرت يدى للحين رجل دجاجة فجرت كما جرت يدى رجلها رجلى
وقدم من بعد الطعام حلاوة فلم أستطع فيها أمر ولا أحلى
وقمت لو انى كنت بيت نية ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكل

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبى الفضل جعفر بن الفضل ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى متنزهه بالمقس [من المجتث] :

إذا الوزير تجلى للنيل فى الأوقات
فقد أتاه سميا ه جعفر بن الفرات

وله فى طبيب [من المجتث] :

عيسى الطبيب ترفق فأنت طوفان نوح
يأبى علاجك إلا فراق جسم لروح

شتان ما بين عيسى وبين عيسى المسيح
فذاك محيي موات وذا مميت صحيح

وقال فى فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يافاصداً شق عرق إسحاق أى دم لو علمت مهراق ؟
سفكته من يد معودة لنيل مال وضرب أعناق
لو يوم حرب أصبت من دمه إذاً أقام الدنيا على ساق

وأنشدنى له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونة موصوفة من الجون قد جمع الطباخ فيها كل فن
من كل سخن منضج وبارد ما بين ألوان إلى بوارد
فمن رقاق ناعم رقاق يحمد فى المنظر والمذاق
وأرغف تشف للصفاء كما تشف أوجه المرائى
ومن مصوص من مخاليف الحجل كأنما كانت ترف فى الجبل
ومن فراريج بماء الحصرم تصلح للمخمور أو للمحتمى
قد شوشت أكبادها ببيض فهى كمثل نرجس فى روض
وجاءنا فيها ببيض أحمر كأنه العقيق ما لم يقشر
حتى إذا قدمه مقشرا أبرز من تحت عقيق دررا
حتى إذا ماقطع البيض فلق رأيت منه ذهباً تحت ورق
تخال أن الشطر منه من لمح أعاره تلوينه قوس قزح
ما بين أوساط لطاف القد مقدودة كمثل قد الند
من صدر دراج وصدر حجله بملحها وبقلها متبّله

فيها جبن صادق الحرافه مقطع باللطف والنظافه
قد ألبست قضبان طلع غضه كأنها سلاسل من فضه
وجاءنا فيها باذنجان مثل قدود أكر الميدان
قد قارن الهليون بالممازجة تقارن الكرات بالصوالجه
ثم أتت سكارج الكوامخ كمثل أنوار من اللخالخ
مابين طرخون وبين صعتر وفيجن غض وبين كزبر(١)
وبين بن عدة المشطور كأنه تعلية النحور(٢)
ثم أتى براضع لم يعتلف كأن فى جنبيه قطنا قد ندف
وحمل مبزر مشبر كأنه مضمخ بعنبر
يتلوه جدى قارس بخل كأنه بالزعفران مطلى
تخاله فى خله المزعفر مركباً تحت عقيق أحمر
قد عملت أطرافه سلاقه عجيبة الصنعه والمذاقه
زيدت من الخردل والصباغ وكشف القحف عن الدماغ
وصف فيه فلق الرمان مثل رصيع خرز المرجان
ثم أتى بناطف هياج بحر طبع البارد المزاج
كأنه فى العين والقياس سبائك جاءت من الروباس
ثم أتانا بعده لوزينج كأنه فى الأنحمى مدرج
تنشله من دهنه العميق كما أخذت بيد الغريق
وجاءنا الغلسة بالمدام ونحن لم ننهض عن الطعام
بغير ترتيب ولا صوانى وغير أنقال ولا ريحان

---

(١) الطرخون : نبات أصل عروقه العاقر قرحا ، والفيجن : السذاب .
(٢) المشطور : الخبز المطلى بالكامخ .

لأن فى الجونة أنواع الأرب وعوضاً من كل شىء يطلب
هذا هو النوع الذى أختاره ليس الذى عذبنا انتظاره

* * *

وأنشدنى عبد الصمد بن وهب المصرى ، قال : أنشدنى أبو نصر بن أبى الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط الناس بالكتابة قوماً حرموا حظهم بحسن الكتابه
وإذا أخطأ الكتابة حظ سقطت تاؤها فصارت كآبه

* * *

وأنشدنى الخوارزمى لعبد الرحمن بن جعفر النحوى الرقى [من مجزوء الرمل] :

قل لمن تاب ولم يقـ ـض من اللذات نحبه
توبة الحشوى لا تعـ ـدل عنـد الله حبه
أمن تسبقه أنـ ـت إلى الجنة قحبه

* *

وأنشدنى أبو الحسن على بن مأمون المصيصى ، قال : أنشدنى أبو العميد هاشم بن محمد المتيم الأطرابلسى لنفسه [من الهزج] :

مضت للهو أوقات وللأوقات لذات
إليها أنا مشتاق وقد فاتت بمن فاتوا
ومالى عوض عنهم وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءات ولم تبق المروءات

* * *

وقرأت فى كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبى الفرج الببغاء، لأبى عمارة الصوفى فى ثقيل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقيل لو كان فى حسناتى وجميع الأنام فى سيئاتى

لاستخف الذنوب بل كسر الميـ زان من ثقله على الكفات

وله فى ثقيل [من الطويل] :

ثقيل يراه الله أثقل من يرى ففى كل قلب بغضة منه كامنه
مشى فدعا من ثقله الحوت ربه فقال: إلهى زدت فى الأرض ثامنه ؟

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقى المتيم فى كتاب أشعار الندماء لأبى الحسن الممشوق الشامى - ولست أتحقق اسمه - فى المشمش [من الرجز] :

أما ترى المشمش ياخل الأدب مشطباً أكرم بهاتيك الشطب
مثقب الهامات من غير نقب كأنها بنادق من الذهب
قد صاغها صائغها بلا تعب

وله فى جام فالوذج [من الكامل] :

إنى اتخذت أبا على ذا العلا معقودة لك ذات طعم طيب
فقد اغتدت فى جامها وكأنها شمس على بدر أوان المغرب
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف در فوق صحن مذهب
فتعال نخمش وجهها بأكفنا غضبت علينا أو غدت لم تغضب

وأنشدنى غيره المشوق [من المتقارب] :

فؤادى كفيك إذا ما نطقت وصبرى كخصرك فى دقته
وما آس عارضك المستنير كالقلب منى فى حرقته
وبالجسم منى الذى يشتكيه طرفك من غير ما علته
أشبه وعدك إما وعدت بعقرب صدغك فى عطفته
وأزداد فى كل يوم هوى وحبك يزداد فى فتنته

وأنشدنى محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدنى أبو الحسن المشوق صاحب

المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلة بتها بقرتم أسقى   عاتقاً عتقت مداها الدهور
وكأن السماء والبدر والأنجـم روض ونرجس وغدير

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن على بن محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمل جودك القطر   وسما ليدرك صدرك البحر
خجلا جميعاً مثل ماخجلا   إذ قابلاك الشمس والبدر
ياصالح الخيرات ماصلحا   إلا لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسان كان رسما   ثم قد أصبح وهما
لا تراه العين إلا   بعد أن يهجع حلما
تتعب المقلة كي تد   رك منه أثراً ما
تعب الفكرة في إخـ   راجها البيت المعمى

وقوله [من الرمل] :

نظرة كانت لحتفي سببا   جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمة   ضاحك الأشيب فيه الأشيبا
إنما يعرف أيام الصبا   من صبا في غير أيام الصبا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبربط صحب الترنام نغمته   أحلى من اليسر وافى بعد إعسار

يملى القريض عليه لفظ محسنه فينبرى مخبراً عنها بإجهار
ما حث أوتاره فى وجه نائبة إلا استفاد بتارات وأوتار
تحنو عليه له أم تخاطبه سراً فيخبر بالنجوى بإظهار
وإن هفا عركت آذانه شفقاً عليه من وصمة النقصان والعار

* * *

وأنشدنى أبو الحسن على بن مأمون المصيصى وغيره لتميم بن معد أبى تميم صاحب مصر ، وهى مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذرى فيه حتى عذرا ومشى الدجى فى خده فتحيرا
همت تقبله عقارب صدغه فاستل ناظره عليها خنجرا
والله لولا أن يقال تغيرا وصبا وإن كان التصابى أجدرا
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثما وكافور الترائب عنبرا

* * *

وأنشدنى أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد بن تميم ويروى للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأرى اليوم أذى مسلم
ويا لقومى دونكم شادناً معتدل القامة والمبسم
وإن أبى إلا جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإن فيه نقطة من دمى

وأنشدنى المصيصى له [من المنسرح] :

وجنة من شفنى هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقى
كأنما الصيرفى دنر ما نجم منها ودرهم الباقى

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلا الذى به له سكن يشتاقه وحبيب

إلى الله أشكو وشك بين وفرقة ... لها بين أحشاء المحب ندوب
ترى عندهم علم وان شطت النوى ... بأن لهم قلبي على رقيب

* * *

وأنشدنى أبو حفص عمر بن على الفقيه لأبى منصور نزار بن معد أبى تميم وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها فى الحياة كاظمنا
عجيبة فى الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم ... طرا وأفراحنا مآتمنا

* * *

وأنشدنى المصيصى الأمير تميم [من الطويل] :

شربنا على نوح المطوقة الورق ... وأردية الروض المفوفة البلق
معتقة أفنى الزمان وجودها ... فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق
كأن السحاب الغر أصحن أكؤسا ... لنا ، وكأن الراح فيها سنا البرق
فبتنا نحث الكأس فينا ، وإننا ... لنشربها بالحث صرفا ونستسقى
إلى أن رأيت النجم وهو مغرب ... وأقبلن رايات الصباح من الشرق
كأن سواد الليل والفجر طالع ... بقية لطخ الكحل فى الأعين الزرق

أحسن فى هذا البيت ماشاء .

* * *

وأنشدت للمروانى فى الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر فى جو السماء قد انطوت ... طرفاه حتى عاد مثل الزورق
وتراه من تحت المحاق كأنما ... غرق الكثير وبعضه لم يغرق

وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

قد أثقلته حمولة من عنبر

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكى أن المروانى صاحب الأندلس كتب إليه صاحب مصر كتابا يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا فهجوتنا . ولو عرفناك لأجبناك ، والسلام »

وأنشدنى أبو سعيد بن دوست . قال : أنشدنى الوليد بن بكر الأندلسى الفقيه المالكى لأميرهم محمد بن أبى مروان بن أخى المستنصر بالله المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المروانى ، من قصيدة كتب بها إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلت بنا الحال أو دارت علينا الدوائر ؟
إذا ولد المولود منا تهللت له الأرض واهتزت إليه المنابر

وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفى [من البسيط] :

يا من أرانى بألحاظ يصرفها عنى الصبا والهوى رشدى وتوفيق
جمعت فيك غليل العاشقين كما جمعت ما تشتهى من كل معشوق

وله أيضا [من الطويل] :

لعينيك فى قلبى على عيون وبين ضلوعى للشجون شجون
لئن كان جسمى مخلقا فى يد الهوى فحبك غض فى الفؤاد مصون
نصيبى من الدنيا هواك ، وإنه عذابى ولكنى عليه ضنين

وله أيضاً فى الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق فى الزجاج فإن سرت في الجسم دبت مثل أيم لادغ[١]

لم يحسن فى تشبيه دبيب الخمر فى جسم شاربها بدبيب الحية اللادغة ، وقد أحسن فى البيت الذى يليه جداً :

خفيت على شرابها فكأنهم يجدون ريا من إناء فارغ

* * *

قال : وأنشدنى لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

ياسيداً أفرطت بالعبد سطوته ما كل مالك رق مغضب حنق
أعتق وإلا فبع ، كم ذا تعذبنى؟ إن العبيد إذا ما عذبوا أبقوا
وثقت منى بأن الحب قيدنى أجل وحقك إنى فوق ما تثق

ومعنى بيته الثانى مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه ، وإنما يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لى مولى أقسى البرية قد قا سيت فيه الهموم والأشواقا
قلت إذ لج فى جفائى واحتـ ـج عليه فساق نحوى السياقا
أبهذا الملك رأيك فى سو ء امتلاكى فلن أروم الفراقا

قال : وأنشدنى حبيب بن أحمد الأندلسى لنفسه [من الطويل] :

ثلاثون من عمرى مضين فما الذى أؤمل من بعد الثلاثين من عمرى
أطايب أيامى مضين حميدة سراعا ولم أشعر بهن ولم أدر
كأن شبابى والمشيب يروعه دجى ليلة قد راعها وضح الفجر

---

(١) الايم . الحية الأبيض اللطيف ، أو كل حية

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوى(١) [من الوافر] :

إذا ما نلت من دنياك حظا فأحسن للغنى وللفقير
ولاتمسك يديك على قليل فإن الله يأتى بالكثير

* * *

عبد المحسن بن محمد الصورى

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعانى ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بثأر أم بدين علقت محاسنها بعينى
فى خصرها وقوامها ولحاظها ما فى الردينى
وبوجهها ماء الشبا ب خليط نار الوجنتين
بكرت على وقالت اخـ تر خصلة من خصلتين
إما الصدود أو الفرا ق فليس عندى غير ذين
فأجبتها ومدامعى منهلة كالمرزمين
يا هـذه لا تعجلى إن حان بينك حان حينى
فكأنما قلت اذهبى فمضت مسارعة لبينى

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياما ، ثم باعها ، ولبس عمامة لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا [من الكامل] :

قالوا عسى ثقلت عليـ ـه فباعها من غير عدم
والله ما ثقلت علـى عمامتى بل خف كمى

---

(١) سينشد البيتين فيما يأتى لأحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوى

وقوله [من الطويل] :

وكم آمر بالصبر لم يرِ لوعتى وما صنعت نار الأسى بين أحشائى
ومن أين لى صبر وفى كل ساعة أرى حسناتى فى موازين أعدائى؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتذر العذار إلى فؤادى لجرم سابق من مقلتيـه
وكم أعرضت عنه فأعرضت بى عن الإعراض خضرة عارضيه
ولما قلت إن الشعر يسعى لقلبي فى الخلاص سعى عليه

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحظـات تترامى بى إلى المرمى القصى
طرحتنى من على بين ألحـاظ عـلى
فادعى رقى وما رقـى بدعوى المدعى
أنا عبد المحسن الصو رى لا عبد المسى

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

حى ماجنى وانصرف وأنـكر ثم اعترف
وظن بأن القصا ص يمنع منه الترف
سلوا صدغه لمجرى؟ ولما جرى لم وقف؟
وكان عـلى أنه يجوز المدى فانعطف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بالذى ألهم تعذيـبى ثناياك العذابا
والذى ألبس خديـك من الورد نقابا
والذى صير حظى منك هجرا واجتنابا
يا غزالا صاد باللحـظ فؤادى فأصابا

ما الذى قالته عينا ك اقلبي فأجابا؟

وقوله [من السريع] :

تعلمت وجنته رقيـة لعقرب الصدغ فما تلسع
صمت عن العاذل فى حبه أذنى فمالى مسمع يسمع

وقوله فى صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمنى من وجهه روضة مشرقة يمرح فيها النظر
فانظر معى تنظر إلى معجز سيف على بين جفنى عمر

وقوله [من الطويل] :

زففت إلى نبهان من عفو فكرتى عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا
فقبلها عشرا وهام بذكرها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وأنشدنى له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجباً لى وقد مررت بآثا رك أنى اهتديت قصد الطريق
أتراني نسيت عهدك يوما صدقوا ما لميت من صديق

وقوله [من الخفيف] :

أمنون بدت لنا أم جفون حركات للسقم فيها سكون
بعتها ما حييت طول هجوعى بدموعى فأينا المغبون ؟

وقوله [من الطويل] :

تعلقته سكران من خمرة الصبا به غفلة عن لوعتى ولهيبى
وشاركنى فى حبه كل أغيد يشاركنى فى مهجتى بنصيب
فلا تلزمونى غيرة ما عرفتها فإن حبيبى من أحب حبيبى

وقوله [من السريع] :

قلت وقد أوردنى حبه مواردآ ليس لها مصدر
أفسدت دنياى ولا دين لى تفسده فاصدع بما تؤمر

وقوله [من الطويل] :

أتابعت أهل البيعة اليوم فى دمى   غلبت فخذ أخطارهم وتقدم
ولا تورثن عينيك سقمى فإنه   حرام على الذمى ميراث مسلم

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائى   ماء غدا يسبح فى ماء
أومأت باللحظ إلى جسمه   فكاد أن يدميه إيمائى

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبي أقام قيامتى   من قبل أن تأتى القيامه
عطب القلوب جفونه   فعلام سموه سلامه ؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئن كنت قد رحلت بقلبي   فاعلمى أن سر حبك فيه
لا تقولى ضيعته بعد بين   ضيعيه إن شئت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقت فكادت لا ترى   فى كأسها إلا التماسا
لولا الحباب لخالها   شرابها فى الكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لما تبينت أن حبكم   يحسن عندى وليس يحسن بى
بشرت طرفى بحسن عاقبتى   فيكم وقلبي بسوء منقلبى

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العذول فى عصيانى   ومذيقى حرارة الهجران
اتق الله لا ترعنى بالصد   وجاز الإحسان بالإحسان
كيف أبقى على الزمان وهجرا   نك مما جنت صروف الزمان

صرت أجفوك مكرهاً وعلى الحـب دليل من ناظرى ولسانى
فاذا عـدت بالتجلد عنكم كذبتنى نواظر الأجفان
كيف تجنى ولا تخاف عقاباً وفؤادى معاقب غير جانى
خل ما بين مقلتيك وقلبى فعلينا يد من السلطان
لا تـكونن ثالثاً لقوبيـ ـن فلو كان واحد لـكفانى
لك والله فى صميم فؤادى لذة المـاء فى فم العطشان

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخ مسه نزولى بقرح مثل ما مسنى من الجوع قرح
قيل لى إنه جواد كريم والفتى يعتريه بخل وشح
بت ضيفا له كما حـكم الدهـ ـر وفى حكمه علـى الحر قبح
قال لى إذ نزلت وهو من السكـ ـره والهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول اللـ ـه والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا ل تمام الحديث صوموا تصحوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تم يثنيه دعص وخوط عنبرى فى عذاره مبسوط
أى در للثقب أى كتاب لو تأنت بصفحتيه الخطوط
وإذا اغتر قلت ظبى غرير وإذا افتر قلت در سقيط

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف وتاب مما قد جناه واقترف
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقوله [من المنسرح] :

طرة مسك وشارب أخضر ونحر در ومقلتا جؤذر

ريم إذا رمت أن أكلمه كلمني من جفونه خنجر
وإن تعوضت من عوارضه لثما تجنى على واستكبر
كأن خيلانه ووجنته سماء حسن نجومها تزهر
سبحان من صاغه على قدر فذلك الله خير من قدر

وقوله [من السريع] :

يا حار إن الركب قد حاروا فاذهب تجسس لمن النار
تبدو وتخبو إن خبت وقفوا وإن أضاءت لهم ساروا
قام عليها موقد مرشد له بفضل الزاد إيثار
فلا تلوموني إذا مسكم أو مسها من قربكم عار
وسائل يسأل عن حالتي قلت كما تهوى وتختار
وأين ما أسررت في لحظه مما أسر الطين والفار
ما نظرة إلا لها سكره كأنما طرفك خمار
هذا هوى يصدر عنه جوى تتلوه لوعات وأفكار
وهـــذه أفعالها هـذه ما بعد رأى العين إخبار
ولست أعتد عليك الضنا ألست من جفنك أمتار !

وقوله [من الطويل]

هواى الذى أبدى وأضمره يحيى وسولى فى دار الخلود وفى الدنيا
وعينى التى أرعى بها من يودنى وكفى التى أرمى الأعادى بها رميا
أأصبر عن يحيى وأطوى وصاله إذاً فطوانى عنه صرف الردى طيا
كتمت الهوى جهدى وعييت طاقتى وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
وبى أناس لو عميت عن الصبا إذاً فأرانى الله أعينهم عميا
فما لهم لا قدس الله بالهم ولا حاط مبتاً منهم لا ولا حيا

يلومون فى يحيى ولو أن لائما رأى وجهه لاستقبح اللوم واستحيا
فيامنيتى كم فيك عاصيت عاذلا أرى غيهم رشدا ورشدهم غيا
وكم جاءنى ما قاله فيك كاشح فزدتك حبا كلما زادنى نعيا
أأسمع فيك العذل ممن يلومنى فلا سمعت أذنى إذاً بعدهم شيا
فما أحسن الدنيا إذا كنت جانبى وإن غبت عن عينى فما أقبح الدنيا

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حديثـــه كالحدث يرفث كل الرفث
يود من يسمعه لو أنه فى جـــدث

وله يرثى [من الكامل] :

قالوا ألم تحضر علياً بعد ما دفنوه قلت هناك بئس المحضر
لا أستطيع أرى المعالى بينكم محمولة وأرى المكارم تقبر
لم يمض قبلك من أراه أسوة فأقول هـذا مثل ذاك فأصبر
قد كنت جزءا والأكارم كلهم جزء ، ولـكن الأقل الأكثر
ما كان أكثرهم وأنت جليسهم وأقلهم إذ شيعوك وكبروا

ومما يتغنى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليها سهرت أم بت نائم بعد أن لا يلم بى طيف حالم
تسأل الناس كيف حالى ومن أعـــلم منها ؟ وفاعل الشىء عالم
وغزال أغن أغيد ساجى الطـــرف مستحسن الخلائق ناعم
لم يصلنى ولم يعدنى وقال اكـــتم فماذا أسر حتى أكاتم

وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفى بقبلتها فزادنى ذلك اللمى ألما
وساءلتنى عن مبتدا سقمى مسقم جفنيك مسقمى بهما

وقوله [السريع] :

يا علة الأجفان كفى كفى ما حملت منك وما استوثقت
وساعدينا واتلى أنها قد نذرت قتلى وما أعتقت

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالى إذا عاتبتها جعلت تمن أن جعلتنى من ذوى الأدب
وليس عند الليالى أن أقبح ما صنعن بى أن جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لابد من مدح فها أنا ذا بحيث آمن فى قولى من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده طلوب لأسباب الثناء كسوب
تضيق بما تحوى يداه ، وصدره بتفريق ما تحوى يداه رحيب

وقوله [من الخفيف] :

وغزال مثل الغزالة يحكيـ ـها كمالا إلا بقلب وود
رق جسما فرق دمعى عليه فجرى مثل خده فوق خدى

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضت فى مهجتى إلا لأن أرفع عنها يدى
الأهيف الأغيد والنفس ما آلفها الأهيف الأغيد
يعجبها أن ترتدى حسنه والحسن قد يردى به المرتدى
طوفان نوح طبق الأرض لا يبرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستوينا على الـ ـجودى من جود أبى أحمد
أبو العلا إذ ذكرت وابنها يا ذا المكانين من السؤدد
غير من حالى ومن نيتى فى غيره كم مصلح مفسد
لو كان من أحببته بعض ما فى يده زارت بلا موعد .

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتى كلما قالوا تناهى صعوده ... إلى كل مجد خالف القول صاعدا
ترى كل ملقى المقاليد فى الوغى ... إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا
ولست ترى بيتا من المجد أو ترى ... من الجود أركاناً له وقواعدا
لقد شرفت أبيات عوف وطهرت ... من الرجس حتى خلتهن معابدا
وكل يعاف الورد من بعد ربه ... وأرماح عوف لا تَعاف المواردا
ترى منهم يوم الوغى كل ناشر ... من النقع فوق الدارعين مطاردا
ينالون ما أمسى بعيدا مناله ... كأنهم طالوا الرماح سواعدا
وقلبت الهيجاء أعيان خلقهم ... فقد وثبوا أسدا ودبوا أساودا[1]
لقيت منهم مسالما ... لقيت به نوء السماك مجاودا

وقوله [من البسيط] :

وقد حسدت على ما بى مواجعى ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعتكم مهجتى إلا بوصلكم ... ولا أسلمها إلا يداً بيد

ومن قصيدة يقول فى مدحها [من الخفيف] :

طالما جاد لى وظن بأن الـ ... ـجود يبلى فى كل يوم يجدد
بيمين طالت فكم تضرب الأيـ ... ـام عنى بها وكم تتجلد
أحسن الفعل بى فأحسنت قولا ... فاشتبهنا فقيل جاد وجود

وقوله [من الكامل] :

وغريرة مغروره بجمالها ... ونظن أن المنتهى كالمبتدى
ظلت تناكرنى الهوى من بعد ما اعـ ... ـترفت به زمناً فقلت تقلدى
ليكن عقابك لى بغدر تجلدى ... لا بالنوى فضعيفة عنها يدى

---

(١) الأساود : الحيات . واحدها أسود .

وقوله فى أبى الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلنى أبو الجيش اسمه فيما يجد وكل يوم جودا
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محمودا

وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولى فقلت لهم : ما كل عين لها عين تسهدها
لا تنكروا عقلنى عامين فى يده فإن صيداء معروف تصيدها
كأنما أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد فى الأوطان يبعدها

وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لى : أنت أخو الكلب ، وفى ظنه أن قد تناهى واجتهد
أحمد الله كثيرا أنه ما درى أنى أخو عبد الصمد

وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتماديك على هجرى ولا بإكثارك من ذكرى
عهدتكم من حيث عاهدتكم لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لما نذرتم دمى صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطاياك موفرة فلم يكن عندى سوى الشكر(١)
مقرونة العذر إنى لى التـ ـقصير أولى منك بالعذر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتى متى كل مشتك زاجر واللوم مثل الهوى بلا آخر
كم عاذل عاشق وكنت أرى أن الذى جرب الهوى عاذر
يا نافرا نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أننى أنا النافر
يبيت ما تستعد مقلته من خمرها فوق ثغره قاطر
فطرفه عاصر وليس به خمر وفوه خمر بلا عاصر

---

(١) فى الأصول * جاءت عطاياك موفورة * وغيرناه لإقامة الوزن .

وشادن طائف على نفر شخص السكرى من يمينه دائر
صرعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائب له ساهر
فخثنى ساعة فلم ترنى فى أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بى وأسلمه الصبر على رغمه إلى الصابر
فبت فى روضه ألف على الغادة طرفى وأمرح الناظر

يقول فى مدحه بالكتابة وأجاد :

لايخطر الفكر فى كتابته كأن أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أول فيهما ولا آخر

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغن أغيد ، وده مستأنس بى ، وهو نافر
إن قلت زرنى قال نم فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لى فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتى أشاور قلت لكنى هويت ولم أشاور !

وقوله [من الخفيف] .

سهلت عنده المسالك حتى أوصلته إلى العلا وهى وعره
ثم هامت به المعالى فصارت تتقى صده وتحذر هجره

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلو يباع أو استخبروا عن كرى يكترى
هل الناس مثلى ؟ وإلا فما أشد القلوب وما أصبرا
بصفراء تنفذ من كأسها فتترك ما حولها أصفرا
بمد إذا شعشعت كالهباء لمن كان قدامها أو ورا
وفى القوم من لم يكن عنده إذا سكر القوم أن يسكرا

سقانى وشد معى مئزراً   فما شد من بعدها مئزرا

وقوله [من البسيط] :

عندى حدائق شكر غرس جودكم   قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفى أغصانها رمق   فلن يعود اخضرار العود إن يبسا

وقوله من قصيدة يقول فى مدحها [من الكامل] :

بئس السياسة والرياسة منزل   أصبحت وحدك فى ذراه مقيما
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى   فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا   إن القديم ليوجب التقديما
للحادثات معى حديث مبهم   أضحى النهار على منه بهيما
وصناعتى عربية وكأننى   ألقى بأكثر ما حفظت الروما
فلمن أقول وما أقول فأين بى   فأسير أولا أين بى فأقيما
وإذا اشتكيت إلى امرئ ما حل بى   فأقول يرحمنى أراه حليما

وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

[illegible]وح إلى كسب الثناء ويغتدى   إذ كان هم الناس كسب الدراهم
[illegible] الأنواء عن [illegible] المدى   [illegible] العطايا كان أول قائم
[illegible] كلما جاء قاصد   [illegible] كل عادم

وقوله من السريع [:

[illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible] كانت [illegible]
[illegible] فى حبنى وفى [illegible]   [illegible] الأعداء [illegible]
[illegible] أنو [illegible]   أسعى إلى [illegible]

فغاض دمعي وجرى دمعها زورا على الحب وبهتانا
ثم انثنت قائلة : ما له لم يبكه البين وأبكانا؟
فقلت : جار الدمع فى حكمه ففاض من أجفان أجفانا

وقوله [من السريع] :

ما زال يبنى كعبة للعلا ويجعل الجود لها ركنا
حتى أتى الناس فطافوا بها وقبلوا راحته اليمنى

وقوله فى أبي الجيش حامد بن سلهم من الطويل :

أبا الجيش، حسب الشعر ما أنت صانع فقد عجزت عن وصف ذاك القصائد
أما انصلحت للمال منك طوية فتصلحه حتى متى أنت حاقد
سبقت بنى الدنيا فما هب قائم سواك إلى جود ولا قام قاعد

وقوله [من السريع] :

ومن بنى القواد من بغته عن سيفه سيوف أجفانه[1]
سلطان عينيه له سطوة أشد من سطوة سلطانه

وقوله [من الكامل] :

ياذا الذى فى خده جيشان من زنج وروم
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إنى وقفت من الهوى فى موقف ضنك عظيم
كوقوف عارضك الذى قد حار فى ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غننى يا أعز ذا الخلق عندى حى نجدا ومن بأكناف نجد
واسقنى ما يصير ذو البخل منه حاتما والجبان عمرو بن معدى
لى وما فوق وجنتيك من الو رد مدام كالمسك فى لون ورد

(٢) فى الأصول « عن سيفه سيف أجفانه » وغيرناه لاقامة الوزن.

فاسقنيها ملأى فقد فضح الليـ ـل هلال كأنه فتر زند

والثريا خفاقة بجناح الـ ـغرب تهوى كأنها رأس فهد

في أوان الشباب عاجلني الشيـ ـب فهذا من أول الدن دردي

وقوله [من السريع] :

إن خيالاً زارنا وهنا من عندكم هاج لنا حزنا

أحبابنا . لا بلغت منكم أيدي النوى ما بلغت منا

فلم يغب عنكم على بعدكم ما فعلت غيبتكم عنا

أيسر ما في عهدكم أننا لما حفظنا عهدكم ضعنا

أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر . كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبد المحسن الصوري لم قد جثمت جثوم منهاض كسير ؟

فإن قلت العيالة أقعدتني على مضض وعاقت عن مسيري

فهذا البحر يحمل هضب رضوى ويستثني بركن من ثبير

وإن حاولت سير البر يوما فلست بمثقل ظهر البعير

إذا استحلى أخوك قلاك يوما فمثل أخيك موجود النظير

تحرك عل أن تلقى كريما تزول بقربه إحن الصدور

فما كل البرية من تراه ولا كل البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيرا وأنت لمن جاء في الزمن الأخير

و[illegible] حملت في السير حد [illegible] عما أمرت من المسير

[illegible] قصاريا عدت بالأمل القصير

أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكى
المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان ، وجملة الإحسان . وممن تصرف بالشعر الجزل ، فى أنواع الجد والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ، وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [من الخفيف] :

قد سمعنا مقاله واعتذاره وأقلناه ذنبه وعثاره
والمعانى لمن عنيت . ولكن بك عرضت فاسمعى ياجاره
من مراديه أنه أبد الدهـ ر تراه محللا أزراره
عالم أنه عذاب من اللـ ه مباح لأعين النظاره
هتك الله ستره فلكم هتـ ك من ذى تستر أستاره
سحرتنى ألحاظه وكذا كـل مليح لحاظه سحاره
ما على مؤثر التباعد والإعـ راض لو آثر الرضى والزياره
وعلى أننى وإن كان قد عذ ب بالهجر مؤثر إيثاره
لم أزل لا عدمته من حبيب أشتهى قربه وآبى نفاره

يقول فى مدحها :

لم يدع للعزيز فى سائر الأر ض عدواً إلا وأخمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواه واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيد له الوزارة مجداً لا ولا قيل رفعت مقداره
بل كساها وقد تخرمها الدهـ ر جلالا وبهجة ونضاره
كل يوم له على نوب الدهـ ر إوكر الخطوب بالبذل غاره
ذو يد شأنها الفرار من البخـ ل وفى حومة الوغى كراره

هي فلت عن العزيز عداه   بالعطايا وكثرت أنصاره
هكذا كل فاضل بده تمسى   وتضحى نفاعة ضراره
فاستجره فليس بأمن إلا   من تفيا بظله واستجاره
فإذا ما رأيته مطرقاً يعمل   فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً   في ضمير الغيوب إلا أثاره
لا ولا موضعاً من الأرض إلا   كان بالرأى مدركا أقطاره
زاده الله بسطة وكفاه   خوفه من زمانه وحذاره

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إن ربعاً عرفته مألوفا   كان للبيض مربعا ومصيفا
غيرت آيه صروف الليالى   وغدا عنه حسنه مصروفا
ما مررنا عليه إلا وقفنا   وأطلنا شوقا إليه الوقوفا
آلفا فيه للبكاء كأنى   لم أكن فيه للغوانى ألوفا
حاسدا للجفون لما أزالت   في مغانيه دمعها المذروفا
إن يعقوب قد أفاد وأقنى   وأعاد الندى وأغنى الضعيفا
سل سيفا من البصيرة والرأ   ى فأغناه أن يسل السيوفا
باذلا للعزيز دون حماه   مهجة حرة ورأيا حصيفا
لم تزل دونه تخوض المنايا   وترد الردى وتلقى الصفوفا
ناصحا مشفقا محبا ودودا   قائما في رصاد صعب عسوفا
ابس يختى فساد أمر تولا   ه وأضحى برأيه مكسوفا
ما رأيناه فص الا رأينا   حاذقا ظاهرا وفعلا [illegible]
ورأينا [illegible] [illegible]   [illegible] مفضلا رحيما رؤوفا
[illegible] طعم العطاء وهو إذ [illegible]   [illegible] وأعطى [illegible] طفيفا

خلق منه ـ منذ كان ـ كريم يستلذ الندى ويقرى الضيوفا
ويريش الفقير بالبذل والجو د ويعطى ويسعف الملهوفا
فأرانا الإله صرف الليالى أبدا عن فنائه مصروفا

وقوله من أخرى [من المجتث] :

حى الخيام فإنى مغرى بأهل الخيام
بالراميات فؤادى بصائبات السهام
أسقمننى وتألـيـ ن لأشفين سقامى
أيام وصلى حرام والهجر غير حرام
لا عذب الله قلبي إلا بطول الغرام
سقيا لدهر تولى بشرتى وغرامى
كأنما ذلك العيـ ش كان فى الأحلام
لم يبق من نرتجيه لحادث الأيام
إلا ابن أحمد ذو الطو ل والأيادى الجسام
كفاه أغدق جودا من واكفات الغمام
يلقى العفاة بوجه مستبشر بسام
معظما ترتجيه للنائبات العظام
يرمى الخطوب برأى أمضى من الصمصام
فرم له عزمات تفل حد الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهمت أمراً فلم أنس بحرف وناديت بالأكؤس
حميا كأن سنا نورها سنا بارق لاح فى الحندس
يعاطيكها رشأ طرفه سريع إلى تلف الأنفس

بخد يروقك توريده وعين تنوب عن النرجس

يقول فى مدحها :

له فلم أبداً ناطق بأسعد قوم وبالأنحس
إذا ما انتضاه لأمر رمى به الدهر عن صائبات القسى
رآه الوزير على غابة من الفضل تعلو على الخنس

ومن أخرى [من الوافر] :

أظن ودادها من غير نيه وهل هى فيه إلا مدعيه
فتاة لاتمل عذاب قلبى ولا تخليه وقتاً من أذيه
ولا ذنب له إلا التوافى لمن فى الحب ليست بالوفيه
ويعجبنى التمنع والتشاجى من الخود المنعة الشجيه
فوا أسفا على حر يعزى أخا رزء على عظم الرزيه

ومنها (١) :

وذلك أن يرى فيه رطل وما فى حرها إلا وفيه
ومن بعث المدام فليس بد ولاتك غير بكر بابليه
فثم هناك حر شافعى عظيم الشأن واست مالكيه
ونفسى غير مائلة إليها لأحوال مقبحة بذيه

---

(١) لم نشأ أن نحذف شيئا مما فى هذا الكتاب من المجون — كما يفعل بعض الناشرين ، تحرجا منهم وتأثما زعموا ، وحرص على مكارم الأخلاق ظنوا — لأنا لانؤلف ، وإنما نحقق نصا قيده صاحبه فى زمن كان الناس فيه أشد تحرجا من هذا الزمن الذى نعيش فيه — ولأنا لانرى من حقنا أن نتصرف فى كتب الناس ثم ننفيها منسوبة إليهم فيجيئوا يوم المعدلة يتعلقون بنا عن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم ، والله يعلم أننا لانقل عنهم تحرجا ولا حرصا .

أحب دنوها وتحب قربي ... وهذا لا يكون بلا بليه
وما لاقيتهـــا إلا تلاقي ... مبالانا بإسقاط التقيه
وهذا الرأى لا رأى سواه ... فلا تحفل بأقوال الرعيه
ولا عيش سوى تقليب ظر ... وثقب من صبي أو صبيه
على أني أقول بكل شيء ... سوى نيك العجوز القذمليه
ولا ألوى على أحد يرانى ... بعين النقص والحال الدنيه
ولـكنى أقول بمدح فرد ... تفرد بالعلا دون البريه
ومن نال العلاء حجا ومجدا ... وأفعالا مهـــذبة سنيه
تشابه خلقه والخلق حسنا ... وحسبك بالنفاسة والسجيه
تشاهد منه طوداً مشمخراً ... وأفعال الملوك الـكسرويه
له الأقلام كيف يشاء تجرى ... بتأييد القضاء وبالمشيه
كأن اللفظ فى القرطاس زهر ... تفتح عن معان معنويه

ومن أخرى [من البسيط] :

كفى ملامك يا ذات الملامات ... فما أريد بديلا بالرقاعات
كأنني وجنود الصفع تتبعنى ... وقد تلوت مزامير الرطانات
قسيس دير تلا مزماره سحراً ... على الفسوس بترجيع ورنات
وقد مجنت وعلمت المجون فما ... أدعى بشيء سوى رب المجانات
وذاك أنى رأيت العقل مطرحا ... فجئت أهل زمانى بالحماقات
إنى سأدخل عذالى على عذل ... فى الحب أن عذلونى فى الحرامات
أفدى الذين نأوا والدار دانية ... وشتتوا بالجفا شمل المودات
كم قد نتفت سبالى فى صدودهم ... والصد أصعب من نتف السبالات
سقياً ورعياً لأيام لنا سلفت ... بالقفص قصرها طيب اللذاذات

إذ لا أروح ولا أغدو إلى وطن إلا إلى ربع خمار وحانات
أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً مصرعا بين سكرات ونشوات
عوضت منهن أحزانا تؤرقنى بعد السرور وفرحات بترحات
لولا عذار تعالى كيف صوره رب العباد لتعذيبى وحسراتى
كأنه مشقة من خد من شقيت روحى بهجرانه أوعطف نونات
لـما حللت بدار مالها أحد إلا أناس تواصوا بالخساسات
لو كنت بين كرام ما تهضمنى دهر أناخ على أهل المروءات

ومنها :

لو نيل بالجد فى العلياء منزلة لنال بالجد أعنان السموات
يرمى الخطوب برأى يستضاء به إذا دجاالرأى من أهل البصيرات
فليس تلقاه إلا عند عارفة أو واقفاً فى صدور السمهريات
يا من غدت أوجه الأيام مشرقة بجوده مستهلات منيرات
مالى بلا سبب غودرت مطرحاً وقد حرمت عطاياك الجزيلات
ولى مدائح قدماً فيك سائرة مستطرفات بألفاظ طريفات

ومن أخرى [من البسيط] :

كل بشعرى مفتون ومشغوف وجيد الشعر منعوت وموصوف
كلفت من أمرهم مالا أقوم به ومن يقوم بأمر فيه تكليف
لا تنفن سبالى طاعة لهم والذقن إن دام ذاالإعراض منتوف
أمسى وأصبح مجفواً ومطرحاً هـذا ورأسى وماوالاه مكشوف
رزقى وعندى وفى ملكى ولا رزقوا رزقى فذال أصم السمع مكفوف
من ملك أقفية القوم الكشاخنة ا مدم الذين لهم منها مجاديف
موقوفات لتفتيش وأطعمها لا شك ما فيه تفتيش وتقويف

معطوفة وبفسى يا ابن أم قفا على الأخادع مثنى ومعطوف
كم قائل ويداه فى أطايبه وطيب الشىء مجنى ومقطوف
فإن يكن ذا فلا غرو ولا حرج فلليالى وللأيام تصريف
هذا الذى من رآه دون ملبسه لم يأكل اللحم إلا وهو معلوف
ولم يمد إلى رأس على طرب يديه إلا وفى اليمنى تطاريف
بينا يرى الثوب منشورا بلا سبب حتى يرى وهو بعد النشر ملفوف
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمق إلا نتيجة رأس فيه تخفيف ؟
ألفته حسب مالى من تجنبه دون البرية والمحبوب مألوف
إلف المكارم والجدوى فتى أسد محمد خير من ناداه ملهوف
حر إذا ذكر الأحرار مشتمل على السماح ببذل العرف معروف
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا تصرفت ببنى الدنيا تصاريف
ندب نماه كرام سادة نجب تم الأنوف بها لبل غطاريف
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله ولا يحيط بها وصف وتكييف

من أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعر ؟ لمن أقصد ؟ لا أدرى !
إلى من إن دجا خطب ونابت نوب الدهر
فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجر
تحيرت فما أدرى الـــذى أصنع فى أمرى
على أنى بالدهــــر وبالأيام ذو خبر
ولكنى للحيرة سكران بلا سكر
كأنى لست مخلوقا لغير الجهد والضر
ومذ كنت فمدفوع إلى الفاقة والفقر

فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصر ؟
وفي الآفاق أقوام يميلون إلى شعرى
ونبئت بأن القو م لايخلون من ذكرى
ففيم الترك للسير ؟ وهل في ذاك من عذر ؟
وقد قدمت أثقالى ى غرة الشهر
فأما أكثر الحمق يرت في البحر
وباقيه معى بذه البر على ظهرى
ولا أترك في مصر لحمق من أثر
فمن بعدى ليطيبه وفي النثر ؟
ومن يلعب في الرأس من ال إلى العصر ؟
ومن من شدة الصفع له رأس بلا شعر ؟
ومن هامته أقوى على الصفع من الصخر ؟
ومن يضرط في الدقى بلا كيل ولا حزر ؟
ومن ينتف بالدبق سبالات بنى النضر ؟
ولكنى لاكنت لما في من الكبر
إذا أمرانى الصفع تجشأت من الدبر
وهيهات ترى صفعا لغيرى أبدا يجرى

ومنها :

ألا يا منتهى الجود ويا ذا المجد والفخر
ويا ابن السادة الغر ويا ابن الأنجم الزهر
ويا أبهى من الشمس ضياء ومن البدر
لماذا أنت لا تعدى على الأيام والدهر ؟

همام طاهر الذيل   سليل السادة الغر
كريم الأصل والخيم   رحيب الباع والصدر
جواد غير مدفوع   عن الإفضال والبر
ومازال إلى كل   له عارفة تسرى
لقد عمت أياديه   جميع البدو والحضر

ومن أخرى | من المديد | :

عجب ما مثله عجب   فعلوا بى غير ما يجب
قرقرت بطنى فوا حزنى   ذقن من بالسلح يختضب
هرباً من شرها هربا   فعسى أن ينفع الهرب
ذهب الناس فما أحد   يشتهى أن تنفخ القرب
حزنى أنى مد زمن   ما لعبناه ولا لعبوا
كم بننا على طرب   ورؤوس القوم تستلب
وكؤوس الصفع دائرة   ملؤها اللذات والطرب
وانتخبناها وهامهم   وأكف القوم تصطخب
وكأن الصفع [illegible]   [illegible] [illegible] [illegible]
والعمى منهم وإن [illegible]   عنه [illegible] [illegible]
سوف يدرون أيما رجل   ضيعوا منى إذا ضربوا
بسيوف شركها أدم   مرهفات للعمى سبب
وعجيب والخسين له   راحة بالجود تنسكب
أن شربى عنده رنق   ولديه مربعى جدب
وله الورد المعاذ به   والجناب المرع الخصب
وهو الغيث الملث إذا   أعوزتنا درها السحب

وإلى الرسى ملجؤنا   من صروف الدهر والهرب
سيد شادت علاه له   فى العلا آباؤه النجب
وله بيت يمد له   فوق مجرى الأنجم الطنب
حسبه بالمصطفى شرفا   وعلى حين ينتسب
رتبة فى العز شامخة   قصرت عن نيلها الرتب
ذاك فخر ليس تنكره   لكم عجم ولا عرب
ولأنتم من بفضلهم   جاءت الأخبار والكتب
وإليكم كل منقبة   فى الورى تعزى وتنتسب
وبكم فى كل معركة   تفخر الهندية القضب
وبكم فى كل عارفة   ترفع الأستار والحجب
وإذا سمر القنا اشتجرت   فبكم تستكشف الكرب

وقوله من قصيدة فى الرسى أولها [من مجزوء الرمل] :

باح وجداً بهواه   حين لم يحظ مناه
مغرم أغرى به السقم   فما يرجى شفاه
كاد يخفيه [illegible]   [illegible]
[illegible]   [illegible]

[illegible]

[illegible]
جعل [illegible] أعداء   [illegible] فداه
فلقد أيقن [illegible]   [illegible] ذراه
من رقى حتى تناهى   فى المعالى [illegible]
[illegible] أن يبلغ فى [illegible]   والمجد [illegible]

ملك مذ كان بالسطـــوة ممنوع حماه
بحر جود ليس يدرى أين منه منتهاه
لم يضع من كان إبرا هيم فى الناس رجاه
لا ولا يفرق من صر ف زمان إن عراه
من به استكفى أذى الأيـــام والدهر كفاه
كيف لا أمدح من لم يخل خلق من نداه

حقة ليست لغيرى لا أرانى الله فقدى
ومحال أن يرى مثـــلى أو يصر بعدى
رجال لا يضرط لضر طه إلا بعد جهد
فلذا الأمر يد يأكل الخر يد
غير أنى قبل عنى ى دعوى بعد
وبليلى وسلمى وسعدى وهند
ثم لا أملك شيئاً غير رد رحلد
وحماقات وعمرى لى أسما مندى
أصبر الأروس فى صفـــع لا حزن وعد

ومنها :

خلقت كفاه من جو د لراجيه ورفد
مورد يورد راجيـــه إلى أعذب ورد
لا خلا من منة منـــه إلى الأحرار يسدى
فهو القـائم بالحـــق وموفى كل عهد

من أخرى [من البسيط] :

قلبي لك الخير بالأفراح معمور ... مستبشر جذل بالفتح مسرور

يقول فيها :

خذ فى هناتك مما قد عرفت به ... مما به أنت معروف ومشهور

واحك العصافير صى صى صى صصى صصصى

إذا تجاوبن فى الصبح العصافير

ففيك ماشئت من حمق ومن هوس ... قليله لكثير الحمق إكسير

كم رام إدراكه قوم فأعجزهم ... وكيف به ... ما فيه قناطير

لاتنكرن حماقاتى لأن بها ... لواء حمقى ... الآفاق منشور

ولست أبغى بها خلا ولا بدلا ... هيهات غيرى بترك الحمق معذور

لا عيب فى سوى أنى إذا طربوا ... وقدحضرت يرى فى الرأس تفجير

والأخدعان فما زالا يرى بهما ... لكثرة المزح توريم وتحمير

وذا الفعال مع الإعراض مطرد ... صفع ونقع وتيسير وتعسير

هذ وذاك وهذا ثم ذاك وذا ... كذا الليالى لها صفو وتكدير

أستغفر الله مما قلته عبثا ... بغير شىء وما فى الصحف مسطور

أقول للنفس لما استشعرت جزعا ... وبات يردعها خوف وتحذير

إن الإمام زاراً مدحه فتى ... ذخر لمثالك عند الله مذخور

هو الذى ليس بعد الله من أحد ... سواه فى الناس محمود ومشكور

مشمر فى المعالى دائب مجتهد ... وماله فى سوى العلياء تشمير

ومن أخرى [من الوافر] :

أترضى بالتخلف والتوانى ... على ضرب اللجاجة والحسران؟

وما أنا والأحاديث اللوانى … تزهد فى المثالث والمثانى؟
ألا طربت إلى النشوات نفسى … وتقت إلى معتقة الدنان
كما طربت أباريق الندامى … إلى أصوات قهقهة القنانى
ويومك إذ تطوف به فتاة … على الخدين منها وردتان
مهفهفة القوام إذا تثنت … ثنت كالقضيب الخيزران
ولم أر قبلها شمساً تبدت … ولا قمراً بأعلى غصن بان
لحاه الله من شيخ ضروط … ضجيج ضراطه بالنهروان
ولكن رأسه جلد جليد … صبور عند مختلف الطعان
ولم أر قبله رأساً سواه … غدا وقفاً على حرب عوان
ولا سيما إذا الأيدى توالت … عليه والتقت حلق البطان

ومنها :

إلى من راحتاه ندى وجود … علينا بالمواهب ترتان
كريم لا يدافع عن سماح … جواد ماله فى الجود ثان
تناهت عنده الآمال لما … غدا أقصى نهايته فى الأمانى

[illegible] أخرى [illegible] من مجزوء الرمل :

كل يوم أنا من إيـ … ـرى فى [illegible]
لست تخليني من هم … وحزن واكتئاب
[illegible] يدع لى دهباً إلا رماه … بالذهاب
واسدى [illegible] … [illegible] فى أمر التباب
[illegible] فى [illegible] … أهل ودى وصحابى
[illegible] … [illegible] الكعاب
[illegible] من الآباء [illegible] … [illegible]

أنا لولاه لألفيـ ت قليل الاضطراب
وتجـزيت بـنزر من طعام وشراب
ولما طال انتزاحي عن بلادي واغترابي
لعنـة الله عليـه وبراغيث الـكلاب
فلـكم أوقفني مو قف خزي واكتئاب
ولـكم أغلقت بابا من هواه دون باب
رب قد أبليتني منـ ـه بمعتوه مصاب
عينه في كل من د ب على وجه التراب
[illegible] لا يرضيه منه غير در مستطاب

ومنها :

ويا حسنا [illegible] عذت من عظم مصابي
بالأمير السيد الما جد والقرم اللباب
والهمام المنعم المفـضل والحر العباب
والذي لا فرق ما بيـن جداه والسحاب
[illegible] منه إلى ذي [illegible] رحب الجناب
رافع دون [illegible] الآ [illegible] اخجاب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible] إلى [illegible]
[illegible] إلى [illegible]

فلأمنعن حمارتى سنتين من علف الشعير

لا هم إلا أن تطير من الهزال مع الطيور

فلأخبرنك قصتى فلقد وقعت على الخبير

إن الذين تصافعوا بالقرع فى زمن القشور

أسفوا على لأنهم حضروا ولم أك فى الحضور

لو كنت ثم لقيل : هل من آخذ بيد الضرير ؟

ولقد دخلت على الصديق البيت فى اليوم المطير

متشمراً متبخترا للصفع بالدلو الكبير

فأدرت حين تبادروا دلوى فكان على المدير

يا للرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور

لا تغفلوه فإنه يستل أحقاد الصدور

هو فى المجالس كالبخو ر فلا تملوا من بخور

ولأذكرن إذا ذكر ت أحبتى وقت السحور

ولأحزنن لأنهم لما دنا نضج القدور

رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكل الفطير

لا والذى نطق النبى بفضله يوم الغدير

ما للإمام أبى على فى البرية من نظير

وله من أخرى أولها من المتقارب] :

سلام على الربع ربع الجدا سلام على تمره واللبا

سلام عليه سلام امرئ معنى بتذكار ما قد مضى

سلام عليه فكم موقف وقفناه فيه نذير الدلا

لعهدى فيه شيوخ لنا غلاظ الرقاب عراض اللحى

إذا ما قبضت على لحية ... وناديت بطنى أجاب الخرا
وكنا من الظرف لو أننا ... أقمنا نصافع شهراً ولا
نعيب الوفاء ولهفى على ... أخادع من لا يعيب الوفا
ولا عذر ألا أدير اللطام ... إذا الصفع دار وكلى قفا
وقد كنت تبت ولكننى ... إذا الصفع دار أتانى الجشا
فلا تترك الصفع جهلا به ... فما أطيب الصفع لولا العمى
ومالى أكاتمكم قصتى ... وأضرب بالطبل تحت الكسا
إذا كان فى الصيف لى جبة ... لأية حال أذم الفرا
ولم أكسب الحمق لكننى ... خلقت رقيعاً كما قد ترى
لقد فقت فيه كما الفارسى فى الرمى فاق جميع الورى
كأن البنادق طوع له ... فهن يصبن له ما اشتهى
إذا ما رمى طائرا حطه ... ولو أنه بمكان السها
فيا لك من موقف مبهج ... عجيب ومن منظر مشتهى
وعيد الطيور به مأتم ... وأضيافه عنده فى القرى

ومن أخرى ، من مخلع البسيط :

عاذل كم فيه تعذلينى ... وكم إلى كم تؤنبينى
لو بك مابى من التصابى ... لكنت لاشك تعذرينى
إن الذى قد أذاب جسمى ... بالثغر والجيد والجفون
بدر تمام على قضيب ... ركب من نعمة ولين
ماشئت من نرجس جنى ... غض وورد وياسمين
عيناه تسطو على فؤادى ... والموت فى سطوة العيون

ومنها :

فأطيب العيش كان عندى　　أيام للفسق قلدونى
وكنت طباً به بصيرا　　وأقود الناس فى سكون
فكم غزال أخذت قسرا　　وكم مليح حوت يمينى
والناس يسعون نحو دارى　　من كل أرض ويقصدونى
فذا يوافى بثوب خز　　وذا يوافى بثوب تونى
وذا يفدى وذاك يهدى　　وذاك يمضى وذا يجينى
وكل علق إلى مراحى　　أهدى من الطير للوكون
وكان خلق لهم رضياً　　أصفعهم ثم يصفعونى
قد أجمع الناس أن حمقى　　أحسن من عفتى ودينى
قد عشت دهرا أعول عقلى　　والناس إذ ذاك يعدلونى
مذ تحامقت قد كسانى　　حمق وقد عانى جنونى
ومن بلائى أبو عمير　　معرض لى إلى المنون
منتصب ما يسام وقتا　　ليس يهدى من الرنين
من كان ذا زوجة نائى　　تشقى روحى عينى
عميرة قد جلدت حتى　　خشيت والله جلدى
فراقبوا الله فى أمورى　　فطلقوها وزوجونى

ومن أخرى [من السريع] :

يا أهل ذا المنزل هل حيلة　　تنجى فمن ظبيكم معطى
عقرب صدغيه فقلبى إذا　　هم توقى لدغة العقرب
وكلما لاحظنى طرفه　　لاحظنى عن مقلة الربرب
يبسم إن ناولنى ثغره　　عن ذى غروب واضح أشنب

أنجبت فى الحمق وهل فاضل   كناقص فى الحمق لم ينجب
لو علموا مالى من لذة   لم ألح فى الحمق ولم أعتب
أعتبنى الدهر ولولا الذى   عم الورى بالبذل لم يعتب
لما رأى الآمال مصروفة   إلى السديد ابن أبى الطيب
فارقنى من شره صاحب   كان لعمرى شر مستصحب
هناك لو تبصرنى تائها   على بنى الدهر تعلقت بى
تطلب منى نائلا بعد أن   كنت أرى الرزق مع الكوكب
كذاك من صاحب من لم يزل   رب جناب ممرع مخصب
أكرم من جاد فما بعده   لطالب جدواه من مطلب
أول من يثنى به خنصر   وأصفح النفس عن المذنب
مهذب الآراء محمودها   مفضل فى الشرق والمغرب
لا فرق عندى بين أقلامه   وبين فعل الصارم المقضب
ما استلها إلا أذلت له   من الأعادى كل مستصعب

ومن أخرى [من المجتث] :

إنى ليرتاح قلبى   إلى اصطحاب المثانى
بحيث تنفى همومى   معتقات الدنان
مع شادن ذى دلال   مهفهف فتان
يرنو إلى بطرف   وناظر وسنان
أعار حسن التثنى   فتى الأغصان
إذا تبسم تيها   يفتر عن أقحوان
لا تخطئن عذولى   فيه بخلع العنان
فقم رشيقى فاحثث   كئوسنا غير وانى

وهاتهـا كسنا البر ف لاح من نعمان
صفراء مما اقتناها كسرى أنو شروان
صفت ورقت فقاتت إدراكها بالعيان
فليس تدرك بالحـس لا ولا الأذهان
روح من الراح لكنـهـا بلا جثمان
فالريح للمسك منهـا واللون للزعفران

يقول فى مدحها :

من قال من غير خبر بأن فى الناس ثانى
لسؤدد ابنى عـلى فـد جاء بالبهتان
يداهما بالعطايا وبالندى ثرتان

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

رب يوم قد قطعنا ه حديثا وعتابا
وجمعنا بين خمريـس مداما ورضابا
وشفينا غلـه النفـس دنوا واقترابا
وترشفت على شو [illegible]
وسألنا ذلك [illegible]

يقول فى مدحها :

ورحلنا نطلب السـيد والقرم اللبابا
فرأينا العز والثر وة والبحر العبابا
ورأينا أفضل النا س وأحلاهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطـنه ما فات وغابا
هذبته فطنه العلـم فما يخشى معابا

عرف اللذة للبد ل فأعطى وأثابا
وإذا ما كرم الأصــــل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز] :

كأنما عذاره سطرا سواد فى يقق
كأنما رضابه خمر بمسك قد فتق

ومنها :

إن نكته فاستمعى نصحك من خل شفق
كن حذراً كن حذراً كن حذرا من الغرق
لأنه من سعه يصلح للبحر ضيق
ان قلت إنى حسن والحسن منى مسترق
قلنا مقالا بينا لا كذبا ولا خرق
كل امرئ صورته خالفه كما اتفق
كن غصنا كن قمرا كن شمس دجن فى الأفق
كن يوسف الحسن الذى من طينة الحسن خلق
هل أنت إلا خلق ردت على كل حاق
يا أيها العلق الذى فضحته بلا غلق
خانك فى الود الذى وده كنت تثق

ومن أخرى [من المتقارب]

خليلى من عامر أسعدا على الشوق خلا بلا مسعد
قفا وقفه بربوع الحمى فلولا الوفا لهوى الخرد
لما عجت بالركب مستنجدا دموعى على الطلل المليد
معاهد لهو كأن الهوى بها بعد زينب لم يعهد

فسبحان من جعل المكرمات جميعا بكف أبى أحمد
وقال له كن كما تشتهى فكان النهاية فى السؤدد
وهل غيره أحد يرتجى ويعدى على الزمن المعتدى

ومن أخرى [من مجزوء الرمل] :

عد عن قال وقيل وصعود ونزول
حصحص الحق فما [ذا] شئت من قول فقولى
غير أنى أقبل النا س لشىء مستحيل
فاسمعن منى ودعنى من كثير وقليل
وصغير وكبير ودقيق وجليل
قد رجعنا بالحماقا ت على أهل العقول
فرعى الله ويبقى كل ذى عقل قليل
ما له فى الحمق والخفة مثلى من عديل
فمتى أذكر قالوا شيخنا طبل الطبول
شيخنا شيخ ولكن ليس بالشيخ النبيل
طالما نادى نداما ه إلى شرب الشمول
قائلا بالشادن الأغيدذى الطرف الكحيل
أطرب الناس إذا غنى على ثانى الثقيل
قف على المنزل بالنحتين فالرسم المحيل
وقفة الواله للنسآل ما بين الطلول
أهملن دمعك فالرا حة فى الدمع الهمول
عد عما أنت فيه من محال وفضول
واصرف المدح إلى ذى الطول والفعل الجميل

الذى ذكراه فى كــل محل وقبيــل
ذى يد بالجود أندى من ندى الغيث الهطول
لم يكن قط لراجيـــه سوى سمح منيـل
أسمح الأمـــة بالمـا ل وبالنيـل الجزيل
وإذا ما سيل ألفى بالنـدى غـير بخيل
لم يزل يذخر للحا دث والخطيب الجليل
ناهض إذ عجز الأقــوام بالعبء الثقيل
ليس يصغى فى المقالا ت إلى عذل العذول
وإذا ما قال قولا لم يـكن غير فعول
ولقـد عزت به الآ داب من بعـد الخمول

ومن أخرى فى الرثاء [من الوافر] :

لعمرك إنه رزء عظيم وخطب أمره جلل جسيم
رزئنا من صلاة الله تترى عليـه ما دجا ليـل بهيم
وما أطت إلى البيت المطايا وما طلعت على الأرض النجوم
لعمرك ما المصاب به خصوص ولـكن المصاب به عموم
سق جدثاً به حماد أضحى من الوسمى هطال سجوم
ففيه المجد أمسى والمعالى وفيـه العز والفخر القديم
أبعـد وفاته يدعى همام لخطب أو يقال بنى كريم
كأن يوم نعاه إلينا وقد فتكت بأنفسنا الهموم
بواكل حزنهن على الليالى وإن قدم المدى حزن مقيم
وكان ربيعنا فى كل محل إذا ضنت بوابلها الغيوم
جميـل الفعل محمود السجايا يزين فعاله كرم وخيم

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيل إلى بيتى وجاريتى   أنى؟ وكيف ومادارى بدانية ؟ !
أم هل سبيل إلى البيت الذى سكنت   فيه التى بفراقى غير راضية
لا أحمد البعد عنها بعد معرفتى   بأنها لبعادى غير حامدة
أشكو إلى الله دهراً غير متئد   من قبح ما لج فيه من معاندتى
ما زدت فيه اجتهاداً فى معاتبة   إلا وزاد اجتهاداً فى مغايظتى
أقول والدهر لا يألو مراغمة   وليس يثنيه شىء عن مراغمتى
يا واحداً ليس إلا من يؤمله   ويرتجى عفوه جد لى بواحدة
وامنن على على أنى وإن نزحت   عنى فما هى عن قلبى بنازحة
ناشدتك الله فيما قد أشرت به   إلا قبلت ولا تهمل مناشدتى
واستعمل السخف واترك ما سواه فما   لذاذة العيش إلا فى المساخفة
والصفع إياك منه فالعمى أبدا   بغير شك منوط بالمصافعه

ومنها :

لكن مدحت حميدا فامتدحت فتى   وقفا على منة تسدى وعارفة
رأيته فرأيت البدر فى أفق   والشمس طالعة من كل شارقه
والبحر معترضا والغيث منبجسا   برائح لمرجيه وغادية
ساس الأمور بآراء مهذبة   صوادر بين أفكار وبادرة
مستحسن اللفظ فى القرطاس موجزه   موفق الرأى محمود المخاطبة
ذو أنمل ما انتضت فى حادث قلما   إلا وفل شباه كل حادثة
فى كل يوم له نعمى مجددة   ليست إذا طلعت عنا بآفلة
ما زال يتبع معروفا بعارفة   جودا ويجهد نفسا فى معاونتى
حتى رأيت صروف الدهر عائذة   من بعد ضربى وحربى بالمسالمة

ومن أخرى [من الوافر] :

نشـدتك أن تحول عن الوداد ... وعن حال الصلاح إلى الفساد
ولو عاينت ما لك فى ضمـيرى ... ولو شاهدت ما لك فى فؤادى
إذاً لعلمت أنك منـــه تمسى ... وتصبح دون غيرك فى السواد
فما آلوك نصحا فى وداد ... ولا آلوك جهدا فى اجتهاد
وليس سوى المودة والتصافى ... أبا عبد الإله لك اعتقادى
ولو فى ذاك حاولت ازديادا ... إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
ولم أعهدك فى طلب المعـالى ... وكسب الحمـد غير فتى جواد
ومن ألف المكارم والعطايا ... كإلفك جاد عن غير اعتداد
ويوشك أن يجود بمـا حواه ... وأن يهب الطريف مع التلاد
ووعدك فى الحيـــاة له مرادى ... ولست أريده يوم التناد

ومنهـا :

فكم منن قرنت بهن شكـرا ... كشكر الروض منهل الغوادى
وكم لك يا محمد من أياد ... لدى ومن جميـل وافتقاد

ومن أخرى يط :

ليلى بتنيس يل الخائف العانى ... نفى الليالى وليلى ليس بالفانى
أقول إذ لج ليـــلى فى تطاوله ... ليلى أنت وطول الدهر سيان
لم بكف أنى فى تنيس مطرح ... مخيم بين أشجان وأحزان
حتى بليت بفقدان المنام فما ... للنوم إذ بعدوا عهـد بأجفانى
ماصاعد البرق من تلقاء أرضهم ... إلا تذكـرت أيامى بعمدان
ولاحنت إلى نجران من طرب ... إلا نكنفنى شوق لنجران
لا تـكذبن فما مصر وإن بعدت ... إلا مواطن أطرابى وأشجانى

ليالى النيل لا أنساك ما هتفت   ورق الحمام على دوح وأغصان
أصبو إلى هنوات فيك لى سلفت   قطعتهن وعين الدهر ترعانى
مع سـادة نجب غر غطارفة   فى ذروة المجد من ذهل بن شيبان
وذى دلال إذا ما شئت أنشدنى   وإن أردت غناء منـه غنانى
سقيته وسقانى فضـل ريقته   وجاد لى طرفه عفوا ومنانى
مازلت أجنى بلحظى ورد وجنته   وأستغير على تفاح لبنان
ما زال يأخذها صفراء صافيـة   حتى توسد يسراه وخلانى
الله يعلم ما بى من صبابته   وما على جناه طرفه الجانى
كم بالجزيرة من يوم نعمت به   على تصاخب نايات وعيدان
سقيا لليلتنا بالدير بين ربا   بانت تجود عليها سحب نيسان
~~والطل منحدر والروض مبتسم~~   عن أصفر فاقع أو أحمر قان
والنرجس الغض منهل مدامعه   كأن أجفانه أجفان وسنان

ومنها :

أستغفر الله من عفن نطقت به   مالى وللعفن يزرى العقل من شانى ؟!
لا والذى دون هذا الخلق صيرنى   أحدوثة وبحب الحمق أغرانى
ما للشـذانى من مثل يقاس به   ولا له فى صفاء [illegible]
مهذب الرأى محمود خلائقه   رحب المكارم [illegible]
من كان ذى جود والإفضال لمته   لم يحله الجود من فضل وإحسـ[illegible]
وجملة الأمر فيـه أنه رجل   يراقب الله فى سر وإعلان
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرفه   إذاً كفرت بمعبودى ودينى
إذا جرت يده فى الطرس كاتبه   تبلج الطرس عن در وعقيان
وإن تكلم جاءته براعتـه   بكل ما شاء من فهم وتبيان

أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة ابن محمد

المعروف بالواسانى

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته ، وهو أحد الفضلاء المجيدين فى الهجاء ، وكان فى زمانه ، كابن الرومى فى أوانه : فمن شعره قوله يهجو ابن أبى أسامة [من الكامل] :

يا ساكنى حلب العوا صم جادها صوب الغمامه
أنا فى مدينتكم غريـــب لست من أهل الإقامة
والخان يحدث للغريـــب إذا أقام به سآمه
فقرضت من طول المقا م بها وأعوزت المدامه
وخرجت فى بعض الليا لى قاصدا باب السلامه
وشربت من بئر بها من يأتها ينقع أوامه
ورتعت فى فلواته وعلوت مرتقيا أكامه
فلمحت فى بعض الوها د وقد فقدت سواد هامه
فسعيت أحسبها غرا با أو حداة أو حمامه
فإذا بأسود كالفنيـــق يغار أيرا كالدعامه
وإذا بشيخ تحته حسن الوسامة والقسامه
والشيخ [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] فى [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أ [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ذمامه
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خصامه
فسطا عليه فقال [illegible] لا كان ذاك ولا كرامه
هذا [illegible] بعيد [illegible] فى رقاعته علامه

لولا فضول فيه لم   يصرف إلى دبرى اهتمامه

وبكى وقال لى امض ويـــحك واسأل الله السلامه

واشكره لما صار سر   مك لا يريد له صمامه

واعلم بأنى كنت من   أهل الرياسة والزعامه

يومى إلى إذا عبر   ت يقال ذا ابن أبى أسامه

حتى ابتليت بمبعرى   فحصلت بين الناس شامه

فعجبت من تلك الفصا   حة وهو يعفج والعرامه

شيخ له سمة تخا   طبنى بألفاظ مقامه

والأير يغرق فى استه   قد غاب فى مفساه قامه

فتضاحك الحبشى منـــه وقال لاتسمع كلامه

هذا وعيشك دأبه   من قبل مبلغه احتلامه

أبدا يبارى باسته   بين الورى صوب الغمامه

واسته من دبره   وكأنه عنق النعامه

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز من المنسرح [illegible]:

قال منشا يوما لسعدانه   وهى [illegible] العنبر [illegible]

من بعد أن غلف العوارض بال   طيب وغلا [illegible]

وامتص من خمرة معتقة   تجول بين الدنان فى الحانه

وكان خشف قد باسها بفم   وهى من البوس بعد شبعانه

هل لك فى قبلة وهاك خذى   خمسين حمراً وحل همیانه

قالت له هاتها ودونك فاس   طعنى بجعص وعجل الآنه

فباسها ثم قال قد بقيت   أخرى فقالت وعظمت شانه

ما هى قل لى ألم أبس شرجا   جمشت أعفاجه ومصرانه

أَلم أقدم فما أضن به إلى كنيف أطرت ذبانه ؟
فقال أن تدخلى لسانك فى فىَّ فردت مرد حردانه
بألف كشخان وابن زانيه نعم ويازوج ألف كشخانه
لم ترض أنى قبلت مقعدة تحت سبال كأنها عانه
حتى تناهيت فى الهوان فشبـ ـت لسانى بمت وردانه

وقوله فيه ؛ من المنسرح] :

إن منشا قد زاد فى التيه وزاد فى شامنا تعديه
فلا ابن هند ولا ابن ذى يزن ولا ابن ماء السمايدانيه
وهو معيظ على الوصى ومن يعزى إليه ومن يواليه
يذكر أيام خيبر بهم وهم فذى جال فى أماقيه
وقد حكى أن فاه أطيب من سرمى وأنى ممن يعاديه
ومن يقول القبيح فيه ومن أصبح بالمعضلات يرميه
فسوكوه بكل طيبة الر يح تعفى على مساويه
ومضمضوه بالخل واجتهدوا معاً بكل اجتهادكم فيه
وأطعموه من الجوارش ما يحمل بالمسك والأفاويه
واسقوه من خمرة معتقة قد صانها القس فى خوابيه
واستفتحوه واستنكهوه فإن كان سرمى فضل على فيه
حملوا الكلب والحمار على عبائه واصفعوا محبيه

وقوله فيه من السريع :

يا راكبا يقطع عرض الملا على أمون جسرة حرف
بلغ أبا سهل إذا جئته رسالة عن عبده المنفى
وقل له عن ذاك الفتى فى حالة جلت عن الوصف

قد ذاب مذ ليلة ساررته وصار للسقم على النصف
يبكي فما ترقا له عبرة ويسهر الليل فما يغفى
حزناً على أرنبة غودرت تقطر قطراً من دم صرف
فهو بسرم الكلب يا سيدي من داء أنفاسك يستشفى
من عاذري من رجل زرته للحين والإدبار والحرف
فقال عندي لك أحدوثة مليحة تكتب في الصحف
فادن لكي تسمعها واحتفظ بالسر في مكنون ما تخفى
فقمت للغفلة مستعجلا أمشي برجلي إلى حتفي
ففاه عن أنتن من جعسه يعد بين البخر بالألف
وشارب فيه دم فارث ولثة تشخب كالخلف
تحوم ذبان الخلا حوله مثل حمام طار من كف
كشعر زق الدبس أو شعرة الـ ـحائض أو مكنسة الكنف
وشك خيشومي بنشابة من يد حر طامش وجف
تصمي العرانين ولو أنها في الداص الموضونة الزغف
وتدرك الهارب منها ولا تنجو ولو كان على طرف
فانغمرت روحي وناديته يا أيها النعبان بالكف
بحق من كلم موسى على الطـــور فدك الطور بالرجف
هب لي ما أبقيت مني فقد أشفى على مثل شفا الجرف
ولم أزل أدفعه جاهدا وقد تقاعست إلى خلف
فانقد بعض الثوب في كفه وقال أفلت فيالهفي
وكان للحين على موضع مستشرف مرتفع السقف
فانكسرت ساقي وهيضت يدي واندق صدري ووهي كتفي

وقمت أجرى بعدها هاربا　　أسعى على رجلى كالخشف
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا　　قائله　واستمعوا وصفى
إذا أردتم سرم أستاذنا　　فلتكن الآناف فى غلف
ثم اغسلوا شعر اللحى بعدها　　غسل الدرابيك أو القطف
وبخروها بعد تطييبها　　بكل شىء طيب العرف
وما أرى سائر ما قلته　　يغنى ولا أحسبه يكفى
أو فانتفوها واستريحوا فما　　ينجيكم شىء سوى النتف
وسوكوه بخرا أمه　　فى رأس كرناف من الرعف
فإن جالينوس ماعالج ان　　بخره إلا بخرا القلف

وقال فى الغزل ، ويعرض بابن بسطام فى الهجاء ، ويذكر أنها لمبسر　من الكامل :

ومهفهف يزهو على بجيده　　وبخصره وبردفه وبساقه
وافى إلى وقلبه متخوف　　كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مددته وحللت عن　　كفل مباح اخل بعد وثاقه
وافت إلى أصنة من دبره　　بخلاف ما قد فاح من أطواقه
فأجبته ماذا فقال بحرقة　　ودموعه تنهل من آماقه
هذا ابن بسطام أتانى طارقا　　بلطيف حيلته وحسن نفاقه
وعلا على كفلى وبلغ متقى　　بريائه المنهب من أشداقه
فبقى صنان جنابه فى متقى　　زمنا خلاه الله بعد فراقه
فاسد جرمه معيشته كما　　قد سد مكسب مبقى بصداقه

وقال يصف ما جرى عليه فى ندعوه التى عملها فى قرية حمرايا من أعمال دمشق من الخفيف :

من لعين تجود بالهملان　　ولقلب مدله حيران ؟

يا خليلى أقصرا عن ملامى ... وارثيالى من نـكبتى وارحمانى
ومتى ما ذكرت دعوة أولا ... د البغايا والعاهرات الزوانى
فانتفا لحيتى وجزا سبالى ... وبنعل الـكنيف فاستقبلانى
ما الذى ساقنى لحينى إلى حتـ ... ـفى؟ وماغالنى؟ وماذادهانى؟
من عذيرى من دعوة أوهنت عظـ ... ـمى وهدت بهولها أركانى؟
كنت فى منظر ومستمتع عنـ ... ـها ومن ذا يغتر بالحدثان
فنزت بطنتى وهاجت على نفـ ... ـسى بلاء ما كان فى حسبانى
كان عيشى صاف فـكدره أهـ ... ـل صفانى بنو أبى صفوان
فارثوا لى يامعاشر الناس من ضـ ... ـرى ومن طول عطلتى وامتحانى
ضرب البوق فى دمشق ونادوا ... لشقائى فى سائر البلدان
النفير النفير بالخيل والرجـ ... ـل إلى قفر ذا الفتى الواسانى
جمعوا لى الجموع من خيل جيلا ... ن وفرغانة إلى ديلمان
ومن الروم والصقالب والتر ... ك وخلقاً من بلغر واللان
ومن الهند والطماطم والنبـ ... ـط والـكيماجورح والبلغار
لم يبقوا ممن عددت من الآ ... فاق من مسلم ولا نصرانى
والبوادى من الحجاز إلى نجـ ... ـد معديها مع القحطانى
كل ضرب فمن طوال ومن حد ... ب قصار والحول والعوران
وشيوخ مثل الفراخ وشبا ... ن رحاب الأشداق والمصران
معد جوعت ثلاثين يوماً ... بسلاح شاك من الأسنان
من مرند ومن تـكين وطرخا ... ن وكسرى وخرد وطعان
وخمار وزيرك وعجيب ... وبديع وفارس وجوان
وجريج ونار قسطا ويونا ... ن وبرحفشيا ويوحنان

وطراد وجهيل وزياد وشهاب وعامر وسنان
قس جمعوا بغير عقول ردعتهم عنى ولا أديان
هل سمعتم بمعشر جمعوا الخيـ ـل وساروا فى الرجل والفرسان
رحلوا من بيوتهم ليلة المر فع من أجل أكلة مجان
يركضون البريد تسعة أميا ل بنص الوجيف والذملان
شره بارد وحرص على الأكـ ـل بأنا قوم من المجان
ماشعرنا ونحن من آمن العا لم إلا بصرخة الديدبان
أدركونى فهذه غرر الخيـ ـل وسمر يعسلن كالأشطان
ست أنسى مصيبتى يوم جاءو نى وقد غص منهم الواديان
وردوا ليلة الخميس علينا فى خميس ملء الربا والمحانى
منتب كالسيل لا يلتقى منـ ـه لفرط انتشاره الطرفان
شزرونى بأعين تقدح النـ ـيران خوص إلى العدو رواني
أشرفوا لى على زروع وأحطا ب وبيت من خيره ملآن
من فارس وخبز كثير وقدور تغلى على الدادكان
وشواء من الجداء ومعلو ف دجاج وفائق الحملان
وشراب ألذ من زورة المعـ ـشوق بعد الصدود والهجران
عجل الورد فى الروائح والصعـ ـر ويحكى شقائق النعمان
ذكرتنى جيوشهم يوم جاءو نى جيوش العدو فى رغبان
عندما جاء هاشمى هريت الشدق رحب المعى طويل اللسان
حتى مس الدجاج والبط والأو ز وذئب النعاج والخرفان
والشريفان أشرفا فى خلال الـ ـخيل فى موكب من الحبشان
وسواد من عظمه طبق الأر ض وخيل تهوين كالظلمان

وأبو القاسم الـكبير على طر   ف كميت أقب كالسرحان

وأخوه الصغير يعترض الخيـ   ـل على قارح عريض اللبـان

وهما يهويان بالشوط والرجـ   ـل إلى ما يسوءنى مسرعان

أى قلب يطيق شتم بنى خيـ   ـر البرايا وأكرم النسوان ؟

غير أنى يوم القيامة أشكو   هم إلى الحرة الحصان الرزان

وأنادى يا بنت خير النبييـــ   ـن ويا أم أكرم الفتيان

أى شىء صنعت بابنيك حتى   غزوانى فى الزنج والسودان ؟

والسرى الذى سرى فى جيوش   أضعفتنى وقصرت من عنانى

نفم أشوه وشـــدق رحيب   وبكف يجول كالصولجان

وأخوه الفضل الذى بان لىعا   لم من فضل أكله نقصانى

والشمولى خلقـــه خلق ثورا   س عريض الأكتاف عبل الحران

لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ   ـن عبوساً فى صورة الغضبان

كالعقاب الغرثان يقتنص اللحـ   ـم ويهوى إلى طيور الخوان

والأديب الذى به كنت أعتـ   ـد غزانى تحين فمن غزانى

وكذا الكاتب الذى كان جارى   وصديقى [illegible] أحر[illegible]

غيرته الأيام حتى أتانى   جائعاً للشقاء [illegible]

وصديق الأشراف أخنى على خبـ   ـزى وأفنى بالكرع مافى دنانى

كلما شقق الفراريج شققـ   ـت لغيظى من فعله قمصانى

وهو فى أمره مجد رخى الـ   ـبال لم يعنه الذى قد عنانى

مجرهد كالسوس فى الصوف فى الصيـــف بقلب خال من الإيمان

قلت قل لى يا ابن المبشر ماشأ   نك من بين من غزانى وشانى

ليس هذا من شهوة الأكل هذا   من طريق البغضاء والشنآن

قلت للفيلسوف لما غدا فى الـ ... أكل أعنى فتى أبى عدنان
واستحث الكؤوس صرفاً بلامز ... ج مكباً كالهائم العطشان
ليت شعرى أمن رسائل بقرا ... ط تعلمت ذا وسمع الكيان
أنت تزداد يا خليلى بهذا الـ ... فعل علماً بالعالم الروحانى
ثم لاتدر ما لقيت وما مر ... لشؤمى من عسكر الفرغانى
أعجمى اللسان أفصح من قـ ... س إذا ما نشا ومن سحبان
قال قم فأتنا بخبز ولحم ... ونبيذ فى حمرة الأرجوان
وغلام مقين حسن الوجـ ... ـه يحاكى بقده غصن بان
ـذ توكل فرغان إلا بتفريـ ... ـغ دنانى وصبها فى الجفان
إن من أعظم المصائب يا قو ... م بلائى بذلك الطرمذان
رجل كالفنيق فدم بلا أ ... دب طويل فى صورة الشيطان
قفاً كالعمود يستعذب الصفـ ... ـع ورأس أصم كالسندان
زائد الخلق ناقص العقل والديـ ... ـن غليظ القذال كالقلتبان
يبلع الطيبات بلعاً بلا مضـ ... ـغ ويحسو النبيذ كالثعبان
لا تمتنى حتى أراه وقد قصـ ... ـر من فضل طوله شبران
وأتونى بزامر زمره يحـ ... ـكى صراخ العبيد والرعيان
ومغن غناؤه بطلق البطـ ... ـن ويأتى بالقىء والغثيان
قصدت هذه الطوائف حر ... ب هتكى وذلتى وامتحانى
قلت ما شأنكم فقالوا أغثنا ... ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيالك من يو ... م عبوس عصبصب أرونان
نزلوا حجرتى وأطلقت الأفرا ... س بين الرطبان والقصلان
لم يكن مربعاً سوى ساعة حـ ... تى رأيت الزروع كالفلحان
أفقرونى وغادرونى بلا دا ... ر ولا ضيعة ولا بستان

حيرونى ودلهونى فقد صر ت بليداً كالذاهل السكران
أسمع اللفظ كالطنين فسهوى وهو لفظ يجرى بغير معانى
تركونى يافوم أفقر من فر خ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لى من الجرادق ألفيـ ن بين تشتاقه العارضان
أكلوا لى أضعافها غير مسطو ر ومالوا إلى سميـد الفران
أكلوا لى من الجـداء ثلاثيـ ن فريصا بالخل والزعفران
أكلوا ضعفها شـواء وضعفيـ ـها طبيخا من سائر الألوان
أكلوا لى نبـالة تبلت عقـ لى بعشر من الدجاج السمان
أكلوا لى مضيرة ضاعفت ضر ى بروس الجـداء والعصبان
أكلوا لى كشكية قرحت قلـ بى وهاجت لفقدها أشجانى
أكلوا لى سبعين حوتاً من النهـ ر طريا من أعظم الحيتان
أكلوا لى عدلا من المالح المشـ وى ملقى فى الخل والأنجدان
أكلوا لى من القريشاء والبر نى [illegible]
ألف عدل سوى المصقر والبر دى والقوتى [illegible]
أكلوا لى من الـكوامخ والجو ز معا والخلاط والأجبان
ومن البيض والمخلل ما تعـ ـجز عن جمعه قرى حوران
فتتوا لى من السفرجل والتفـ ـفاح والرازقى والرمـان
والرياحين مارهنت عليـه جبتى عند أحمـد الفاكهانى
درسوا لى من البنفسج والنر جس ماليس مثله فى الجنان
ذبحوا لى بالرغم يا معشر النا س ثمانين من معيز وضان
ما كفاهم مامر من غنم القر ية حتى أخنوا على الثيران
ذبحوها والدمع يجرى على خد ى انسياباً مثل انسياب الجمان

أكلوا كل ما حوته يمينى وشمالى وما حوى جيرانى
ثم قالوا هلم شيئاً فنادي ت غلامى قم ويك فاخبأ حصانى
لم تدع لى بطونكم يابنى البظ ر سواه وذا شطوب يمانى
فتمالوا على شتما ولعناً واستباحوا عرضى بكل لسان
من له قدرة على الشعر يهجو نى ومن كان مفحما يلحانى
وكأنى أنا الذى عثت فى الخير ر وغيرت صورة الحيوان
ثم جاء المعقبون من السا سة والشاكرى والعبدان
فرأيت النخاع والنطم والدم ع وكدم الأنوف والآذان
وتفانوا صفعا وفاح من القو م غبار من الفسو والصنان
ثم لما أتوا على كل شيء ختموا محنتى بكسر الأوانى
ثم قاموا إلى الجلاهق والنشـ شق والمحدقات والزربطان
فرأيت الحمام بعضا على بعـ ض وبعضا ملقى على الأغصان
ورأيت الدجاج فى وسط القر يه ملقى مكسر السيقان
أكلوا ما ذكرت واستعملوا لى يا نقانى كل من الأشنان
ومن المحلب المطيب بالبـا ن ومن الكافور سبع جرانى
شربوا لى عشرين ظرفا من الرا ح لذيذ المذاق أحمر قانى
فأقاموا سواسهم والمكاري ن إلى أن سمعت صوت الأذان
ينفرن الأحطاب من حيث راقو ها غبالطير من فى غصنان
حوزه كان حملها أحسن الحـ ن وكانت ظليلة الأفنان
كان لى فى فنائها منزل رحـ ب أنيق يحفه بستان
ورياض مثل البرود علاها الـ طل بين البهار والأقحوان
وطيور ما بينها تتغنى بجميع اللغات والألحان

هي كهفي ومستظلي من الحـ ... ر وذخرى لنائبات الزمان
أحرقوها يا قوم في ساعة القفـ ... ـز وضرب الأحطاب بالنيران
كسروا السكر فاختلطت فقالوا ... كيف تبقى بغير شاذروان
قطعوا اللوز والسفرجل أحطا ... با ومالوا بها على غلماني
والنواطير عددوا وعلوهم ... خنقا بالعصي والقضبان
طالبوني بالنيك في آخر الليـ ... ـل وجمع النساء والمردان
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر ... د وبعض مستهتر بالغواني
فتوهمته مزاحا فجدوا ... قلت هذا ضرب من الهذيان
ليس يبقى على أرامل حمرا ... يا سوى بذلهن للضيفان
لو سمعتم يا قوم في غسق الليـ ... ـل بكاء النساء والولدان
ينادون بالعويل وبالويـ ... ـل وراء الأبواب والجدران
ويقولون ويلنا من أبي القا ... سم هذا المطرمذ الخرقاني
قصدته الأعداء فاستملكونا ... وعصينا بسرى غير أمان
أوجروني النبيذ بالرطل حتى ... صرت أمشي كمشية الفرزان
فجعوني لما سكرت بهميا ... ني وشقوا عصائب الطيلسان
كان في أول النهار على رأ ... سي فأمسى على رءوس القيان
ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا ... ري فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لي مفرش وكل مليح ... فوقه مطرح من الميساني
وبساط من أحسن البسط مذخو ... ر لعرس أو دعوة أو ختان
غرقوه بالزيت والبول والقيـ ... ـء فأضحى وقدره بعرتان
أوقدوا زيتنا جزافا بلا كيـ ... ـل يكيلونه ولا ميزان

خلت دارى يا إخوتى المسجد الجا مع ليلا للنصف من رمضان
سرقوا جبتى وسيفى وسكيـــنى وخفى وجوربى ورانى
ثم لما انتهت بهم شدة الكظـــة خروا صرعى على الأذقان
هوموا ساعة كتهويمة الخا ئف فى غير أرضه الفزعان
ثم قاموا ليلا وقد جنح النســـر ومال السماك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيـــت فأبكوا عينى وراعوا جنانى
سحبونى من جوف بيتى على وجــهى كأنى أدعى إلى السلطان
بقلوب أشـــد حرا من الجمـــر وأقسى من الصفا الصوان
قلت رقوا لذلك الطفل ميمو ن ولا تؤثموه يا إخوانى
ما تنى أكلة بقتل غريب ذى عيال ناء عن الأوطان
علقونى بفرد رجل إلى السقـ ـف وعذبت ليلتى بالدخان
لو رآنى أبى وأمى على رأ سى ورجلاى بالعصا تنقران
بكيا لى من ذاك واشتريانى من يديهم بكل ما يملكان
وقع الضرب ياخليلى على جسـ ـم من السوط والعصا قرحان
قلت تنفضل والسرى غثانى ونماتى قد حل بى خلصانى
واذكرا عشرتى وودى وإخلا صى وحنا على واستبقيانى
أنتما إن قتلتمانى وحق الله من أجل أكلة تندمان
أى شىء تركتماه ضعيف قد مضى لى بالأمس ما قد كفانى
أحلف بى أن ليس عندى مشرو ب ولا فى خزانتى لقمتان
فاستشاطا على غيظاً وقال الـ ـفضل قل لى بأى عين ترانى
نحن من أجهل البرية طرا إن حصلنا منكم على الأيمان
قطعوا الحبل فانقلبت على رأ سى وظهرى فاندق لى ضلعان

تم لما تمكن اليأس خلو نى وهالوا حشوا على الأتبان
وأجيرى مسخر ينقل الأذ بان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكى فقلت ويحك ما تصـ نع بالتبن بعد دونه الفدان
سرقوا السرج والقناديل والزيـ ت وأقداحنا وكل القناني
والنبيذ استقوه واغتسموه آخر الليل كاستقاء السواني
زودوه سوامهم والمكارى معا اخوان ...
وترى الفضل وهو يحمل فى السر ج قميصاً مخبط الأردان
قد حشاه خماً وطيراً وسبعيـ ن رغيفاً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح فى الزقاق وراحوا بطعام منضد فى الصواني
ميزوا خيلهم بكل كسير وعقـير مدبر جربان
حلقوه يرعى بقبة زرعى رعى لا خائف ولا متوان
ما رقى لى سوى المبارك من ضـرى وذاك القصير الدحداني
فهانى وحففا الثقل عنى فبما من ملامتى سالمان
والسرى أسرى حقاً كما سـ مى أيضا من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا ن عره فى دعوة ... عراني
أسعدونى يا إخوتى وثقاتى بدموع تجرى من الأجفان
إخوتى من لواكف الدمع محزو ن كئيب مدله حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكى الـ عين واهى القوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلا على شؤ مى فويلى من نحس ذاك القران

قد أحسن فى هذه القصيدة غاية الإحسان ، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال ، وأمكنه القول فقال . وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة والوصف هذا التخلص ، وسلم مما يؤديه إلى التكلف

والتلصص . فهو الذى لايدرك غوره ، ولايخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي ، ويعرض فيها بمنشا بن إبراهيم بن القزاز . ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله . وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهى سالمة عن التكلف ، ولم يقل فى معناها مثلها . وهى من المنسرح :

يا أهل جيرون هل لسامركم إذا استقلت كواكب الحمل

فى ملح كالرياض باكرها نوء الثريا بعارض هطل

أو مثل نظم العقود بالشذر والـ دروَشى البرود والحلل

يلذ للسامع الغناء بها على خفيف الثقيل والرمل

كنت على باب منزلى سحراً أنتظر الشاكرى بسرج فى

وطال ليلى لحاجة عرضت باكرتها والنجوم لم تمل

مر بى فى الظلام أسود كالـ ـفيل عريض الأكتاف ذو عضل

أشغى له منخر كسكوة تـ ـور وعين سجراء كالشعل

ومشفر مسبل كخب رحى على نيوب مثل المدى حصل

مشقق الكعب أفدع اليد والر جل طويل الساقين فى ميل

فأهدت الريح منه لى أرجا من جنى الروض فى الندى الخضل

مسكاً وقفصية معتقة شيبا ببان وعنبر شمل

فقلت ما هكذا تكون إذا راح الندامى روائح السفل

أسود غاد من الأتون له عرف أمير نشوان فى دضل

هذا ورب السماء أعجب من حمار وحش فى البر منتعل

ردده الصبر كى أسائله فشأنه عضلة من العضل

فقال تخشى فوات حاجتنا وليس هذا من أكبر الشغل

فعلت تلك المعضون بالناقص ! — بهمة عين الإدبار والكسل

[illegible] من قبل أن بقوبك فى — سلوكه بين هــذه السبل

فصـــد على [illegible] ومضى — يعجب من عقله ومن خللى

فصاح من خلفه رويدك [illegible] — أسود مالى بالعـدو من قبل

[illegible] إلى ذلك ليصبح [illegible] — أضال فى حضنه فلا تطل

[illegible] — فى المفضو[illegible] سكت إن أنت لم تسل

[illegible] تلك المعضون أحذر لو — [illegible] من خفــة ومن خطل

[illegible] نحوى عجلان [illegible] — [illegible] كساء مبرغث قمل

[illegible] — غرموه فى الذيول كالوشل

[illegible] — فنسله [illegible] الحمـــل

[illegible] — أصــم تزهى به على الخجل

[illegible] — [illegible] وإن كنت [illegible] بل

[illegible] — [illegible] بتحمس

[illegible] — [illegible] لمروته [illegible]

[illegible] — [illegible] حمى [illegible] و[illegible]

[illegible] — [illegible] لا سقطه ولا زلل

[illegible] — [illegible] فى الأعصر الأول

[illegible] — [illegible] على ما مضى من الدول

[illegible] — وعضرت بالعدو والأصـل

[illegible] — شيبا فلا تدعى أبا الجعـل

[illegible] — [illegible] يتهن ســاعة ولم يذل

فقال له لا عدمت [illegible] — بذات ما لم يكن بمبتـذل

وجدت عفواً من غير مسأله بدرة لا تباع بالجمل
تكننى والذى يمد لك الـ عمر ويعطيك غاية الأمل
مذ شق دبرى مذ فط فيشلة ولا انتخاب الأيور من عملى
ولا لهـذا دعيت فاطلب لمي لوخك من يستلذه بدلى
وهات قل لى بالله من أين أقبلت ودعنى من هذه العلل
فقال لى بت عند عاملكم هذا أبى الفضل يوسف بن على
نصاك بى طيبه وصاك به مى صنان فى حده البصل
تركته بالنهار أخفش لا ينظر فى خدمة ولا عمل
قلت تزيدت وادعيت على شيخ نبيل ينمى إلى نبل
أبوه سمح وجـده ملك يدعى حنيفاً وعمه الصملى
لعل ذا غيره فصفه فما يخدع مثلى بهـذه الحيل
فإن تكن صادقا نجوت وأسجحت عليه باللوم والعذل
وإن تكن كاذباً صفعتك بالنعل فإن كنت قائلا فقل
فقال يا سيدى عجلت بمكروهى وكان الإنسان من عجل
هذا الذى بت عنده نصف دون مسن وفوق مكتهل
فى فيه نتن وتحت عصعصه عين نبح الصديد فى دغل
آدر رخو العجان منخرق الـ مبعر ألحى مهيج السفل
حصه باسوره إذا حناطت بالسلح كالسمن شيب بالعسل
له إذا ما علوته نفس أمضى من السيف فى يد البطل
يصرع طير السماء فى الأفق الـ أعلى ويوهى مخارم القلل
أنتن من كل ما يقال إذا بالغ فى الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولع أبداً لشؤم بختى بالعض والقبل

عم وفى ... مرمه ... صبح أمت تسلى منه على وجل
أخاف عدى أرى فرصه فأعتدى مثله من المثل
... مسود كالليل بين أكرعه عمود صبح محاب عن طفل
فقال هدى صفاته ولقد ... على ذلك الرحل
فقال أما ... ه فإنه فى ... الحذل
قد ... وقد أصاب ... مدة ... يصب ولم ...
تكون مثل العروس ... طوراً وطوراً كالفحل فى الإبل
... المدى ... فى ... ناره وفى ...
وهو ... من أمره ... لم يحس من خلل
... محفل أمره وهو عبر محفل
... أ ... فقال درى من هذه العمل
... أحوراً ... صور كان ... النحل
... أضحى ... فى ظهر ... إذا ما انصرف من ...
... كالسارب ...
... أ ... السراع عن ...
و ... وأعصه ...
... السود و ...
على ... أف كالصحرة ... صماء ...
ليس أسعى ولا أحس ولا أهضم طاوى الحشى ولا ...
وهو أمام الصفوف نقدمه جرد الهوادى شوارب المقل
مختبات كأنهن سرا حين قطاء أو كالقنا الذبل
وحار ... مه التفاته ورأى ذيل قميصى قد قد من قبل

واشتد تحدفه إلى كما   حدف ذئب طاو إلى حمل

ولم أنت لبانى وعبتك يا   مولاى حتى دعيت بالرسل

جئته خائفاً كما نلح اا   عصفور مستكرها على الورل

فارتعت لما رأت لحيته   وكدت أخرى من شدة الوهل

وظن أنى استحييه فغدا   يبسطنى بالمزاح والغزل

وقال هذا الحياء ـ يا بأبى   أنت ـ يريد النكول والفشل

فاطرح الحشمة المنفرة لى   واعزل الخوف أى معتزل

إن كنت أكرمنى بربع من   [illegible] أنفع لى

[illegible] ولا   [illegible] ولا حولى

ولا [illegible] ولا [illegible] ولا   [illegible] ولا [illegible] ولا حللى

إن نشق أعلاى بالطام فقد   [illegible]

[illegible] بعد المزاح يا أبى   [illegible]

ولم يزل دائماً يسرح سا   [illegible]

[illegible] أدليت كالحمار بدا   [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]   فقالت : كلا والله [illegible]

[illegible]   [illegible] كالورس مستحل

ألا تبرزت لا أبالك أو ... شددت من باب سرماك النعل ؟
فقال لما أنشأت تعفجني ... في استي برمح لم يعتصم سفلي
ألم تكن عالما بأن سلا ... ح استي سلاحي في كل منتضل
خذ آبنوسا حليته ذهبا ... فاخلى أولى به من العطل
ولا تلمني فكيف أصنع في ... سرم شديد الحكاك مؤتكل
تمنعه اللذة الخبيئة فسـ ... ترخى حواشى مثقف نغل
نعم وعاجلتني بخادمة ... أصمت ومرت في موضع العلل
عاجلت قلبي عن التحفظ في ... أمرى بهز كالبرق مشتعل
وخاض جعسى أير به هوج ... يجوز حد الجنون والخبل
يا سيدى ما اسمه فقلت أبو الـ ... أسود يكنى وليس بالدؤلى
فقال : يا حبذا أبو الأسود الزا ... هد فينا بسلحة قبلى
هل رابه غيرها وقد جعل الـ ... ماء طهوراً لكل مغتسل
فادهن وعد بعدها لتروبني ... من بعد نومي علا على نهل
ولا تخف بعدها وصح بعد [illegible] ... [illegible] السربال معتمل
[illegible] ... [illegible] فتنسل [illegible]
[illegible] عادة [illegible] ... [illegible] عن أبيه لم [illegible]
[illegible] ... [illegible] تخنى في زى معتقل
حتى [illegible] ... في أناة الفتور والكسل
[illegible] غى والأير في يده ... قد خف بعد العتو والثقل
يا دار هند بالخيف من ملل ... حييت من دمنة ومن طلل
وقال لى ويك في دمشق أخ ... للوقف والخرج والضياع بلى
وهو نحب السودان أعرفه ... وليس عن رأيه بمنتقل

فخذ كتابي وسر إليه ولا ... تترك مقالا مذ قط لم يقل
وقل سرت بي في الليل ذعلبة ... تهدى صدور المهرية البزل
تمطو جماحا إذا المطى ونت ... حتى تراخى لها من الجذل
أهوى بطون الأقطار في غسق الـ ... ليل وآوى مناهل الوعل
وليس لى شافع إليك سوى ... فيشلة أسهلت أبا سهل
فإنه سوف يلتقيها ويحـ ... بوها إذا أقبلت بجيهل
وتغتدى عنده أعز من الـ ... أهلين والأقربين والخول
فجئته واثقاً بقول أبي ... سهل ومن يسمع المنى يخل
فما حصلنا إلا على سهر ... يعمى ورهز يوهي القوى نكل
وكان هـذا ابتداء معرفتي ... به ، فحسبي فاقطع ولا تصل
وقد مضى يومنا بلا عمل ... ترجى له أجرة ولا أمل
ظننت تلنيك قد دعيت ، ولم ... أدرِ بأني دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أضاف ولم يبصره

بعد منثور ينقده ذلك :

قلت له : اذهب مصاحباً فلقد ... حدثت عنه بحدث حالي
ثم يسعى كأنه نمر من [illegible] ... [illegible] كده دون [illegible]
يغوص في سيره وقد جنح الـ ... [illegible] [illegible] وانق خجل
كأن نكاح إبليس زوره ... لا تسود ولا حضور [illegible]
لا بارك الله فيهم فلقد ... جاءا بما لا يجوز في الملل
وعدت بالله أستعيذ من الـ ... سوء ومن كل موقف زلل
والحمد للواهب السلامة من ... جرح يداوى بهذه المقتل

وإن اتفق وجود المنثور ألحقته بعون الله وقدرته .

أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قد غدونا إلى صلاة الغداة ثم ملنا منها إلى الحانات
فشربنا مدامة كدم الأخـ ـوين عقاراً تضىء فى الكاسات
فإذا صبها السقاة علينا أبرزت مثل ألسن الحيات
وكأن الأكف عصفرها من شقيق الخدود والوجنات

أبو محمد الموصلي

قال يرثى أم الأمير أبي الحسن على بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا على النجم همه [illegible]
أكثر الناس فى التعازى وقالوا كل حى [illegible]
فاختصرت العزاء فى نصف بيت كل حى إذا عداك نعمه

أبو محمد الحسن بن على بن وكيع التنيسى

شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع فى إبانه على أهل زمانه ، [illegible] أحد فى أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، [illegible] شعره وغرائبه قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالة من كلف عميد حياته فى قبضة الصدود
بلغه الشوق مدى المجهود ما فوق مايلقاه من مزيد

حار عليه حاكم الغـــرام ‏ ‏ ‏ ‏ دق أن يدرك بالأوهام
فلو أتاه طارق الحمـــام ‏ ‏ ‏ ‏ لم يره من شدة السقام

* * *

له اهتزاز وارتياح وطرب ‏ ‏ ‏ ‏ لوجه من أورثه طول الكرب
فهل سمعتم فى أحاديث العجب ‏ ‏ ‏ ‏ بمن مناه قرب من منه العطب

* * *

ما غاب عنه الحزم فى الأمور ‏ ‏ ‏ ‏ لكن مقدار الهوى ضرورى
صاحبه يخبط فى ديجور ‏ ‏ ‏ ‏ منفسد التقدير المقدور

* * *

إذا النقى فى مسمعه العذل ‏ ‏ ‏ ‏ وقيل من دون المراد القتل
قال لهم لوم المحب جهل ‏ ‏ ‏ ‏ ان الهوى يغلب فيه العقل

* * *

ما العذر فى السلوه عن غزال ‏ ‏ ‏ ‏ منقطع الأقران والأشكال
تستخف الشمس لدى الزوال ‏ ‏ ‏ ‏ ضياء خده على التلالى

.

نعمة الروح [illegible] [illegible] ‏ ‏ ‏ ‏ [illegible] لا رغبة فى علاج
والشكل [illegible] ‏ ‏ ‏ ‏ [illegible] ما تعس فى الملاح

[illegible] ‏ ‏ ‏ ‏ فليقصد البيض وبهو الصور
من كان يهوى مدارا بلا خبر ‏ ‏ ‏ ‏ شا له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبي سلوى عنه مثل جوده خياله أكذب من موعوده
أجفانه أسقم من عهوده أردافه أثقل من صدوده

* * *

يا وصله صل مثل وصل صده يا حكمه كن فى اعتدال قده
يا قلبه كن رقة كخده يا خصره كن مثل ضعف عهده

* * *

أما وخصر ضعفه كصبرى له ووجه حسنه كشعرى
له عذار قام لى بعذرى لا تبت من شوقى إليه دهرى

* * *

أضحى لابليس به استقدار على بنى آدم واستبشار
وقال : فى ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اصطبار

* * *

تمت لى الحيلة فى العباد أدركت من صالحهم مرادى
بمثل ذا أمكننى إفسادى ، لأنفس العباد والزهاد

* * *

والهفتى من خده الأسيل إذا انجلى عن صفحتى صقيل
واحربى من طرفه الكحيل من منصفى منه ومن مديلى؟

* * *

من مقلة كالصارم البتار ألحاظها أمضى من المقدار
تحكم فى لبى وفى اصطبارى نظير حكم الدهر فى الأحرار

حل قوای العقد من زناره ألهب قلبی خــده بناره
عـذر صبری مبتدا عـذاره حيرنی بالطرف واحوراره

* * *

جاء بوجـه حسنه محبوب تطيب فی أمثاله الذنوب
وقامة ذل لهـا القضيب والقـــد تنقد به القلوب

* * *

هفا بقلبی منـه إفراط الهيف فقلت لما أن تثنی وانعطف :
ياسيدی من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفاً فی القطف

* * *

ما قصر القامة مثل الطول ولا البـدين الجسم كالمهزول
عشق الرشيق الأهيف المجدول شأن ذوی الأفهـام والعقول

* * *

لا يعشق الضخم الغليظ الجسم غير غليظ الطبع جاف فدم
مكدر الحس ركود الفهم يقول فی الحسن بغـير علم

* * *

قد صحت لـمـا خفت منه القتلا وكدت من فرط السقام أبلی :
يا حاكما جانب فی العـدلا مهلا بمن يهواك مهلا مهلا

* * *

يا ظالمـا يقتلنی مجـاهره قد منع الوجد من المساتره
هلم إن شئت إلی المناظره واستعمل الإنصاف لا المكابره

* * *

في أي دين حل قتل الروح   وهل لمـا تفعل من مبيح
إن قلت ذا جاء عن المسيح   فليس ما تزعم بالصحيح

مرقص ما أخبرنا بذا الخبر   عنه ولا لوقا حكاه في الأثر
وقد نهى عن ذا يوحنا وزجر   ولا ارتضى متى به ولا أمر

* * *

أربعـة ليس لهم عديل   ولا لهم في أمرهم كفيل
ما فيهم من قال ما تقول   فهل سوى إنجيلهم إنجيل

* * *

فإن زعمت أن ذا موجود   في زبر جاء بها داود
فما الزبور بيننا مفقود   فكيف لم تعلم به اليهود

* * *

ولم يخبر أحـد سواكا   من النصارى كلهم بذاكا
لا تتقول غير ما أتاكا   وغلب الحق على هواكا

* * *

سفك دمي يحظر في الأديان   فدع حجاجاً ظاهر البطلان
لا تجمع الإثم مع البهتان   وكن على خوف من العدوان

* * *

واعلم بأني إن تمادى بي الهوى   وخفت أن أتلف من فرط الضنى
ودمت في هجرك لي كما أرى   ولم أجد منك لما بي مشتكى

* * *

شكوت ما تلقاه نفسى البائسة   من خطرات للهموم هاجسه
عفت رسوم الصبر فهى دارسه   إلى جميع عصبه النامسه

*

فإن هم لم يرحموا أنينى   وخيبوا فى قصدهم ظنونى
ولم أجد فى القوم من معين   ينصفنى منك ولا يعدينى

*

شكوت ما يلقى من الأحزان   قلبى إلى مشبحه الرهبان
عساك تستحيى من الشيخان   وإن تهاونت بهم فى شانى

*

فلا أراك معضبا عبوسا   إذا أتيت أسأل القسيسا
معونة أرجو لها التنفسا   عن مهجة قاربت التنفسا

*

واعلم بأنى إن رددت شافعى   هذا ولم يرجع [illegible]
فليس ذا بخاسر مطامعى   [illegible]

*

لو كنت منولا [illegible] تطلب   [illegible]
وكت [illegible]   [illegible] على المستنصه .

*

[illegible] عاديت على جفنيكا   ودمت بالفلة [illegible]
فى هجرنا عن قبح رأبكا   واستيأس لرهبان من إحسانكا

دا^ حى إن قصدت لأسقها | من ٠ح السم به رام ااسعا
٠^ عل "دت ـكمون الحما | أنت الذى أحوجتنى أن أكتما

سوف إلى المطر ن أبى قصى | إد داء ما نؤثره من هجرتى
^ ب ت ى حا سعوتى | ولم تسعه كسف كربتى

تكدب ما لمقادمى وخذ السم | فلى إلى المطرك والحبر العم
هدالك ان حاتمه مما حكم | دحلك الحرم فويل من حرم

هات ري ـسعلا طبى | تسالى عطف الرصى الرعم
صى تما سعد فاك حكى | اذا لك شد سداب الحرم

ـ ت قـ لله مهد | أرجو ـ فرك ابعـــ
ء ـ ـ ـ آ ـ حجرد | تسك ٠٠ى كاـ ـ

مولاى قد صارت بى الأمور | ملـ ما قلت وقولى زور
فلى إلا فى الهوى حسور | فلا تلم أن نفث المصدور

ولاى الرحمن أخى معرما | يخاف أن يعصب إن تظلما
^ات أتكار معى أن يعما | مهلا قليلا قد فلت المسلما

يا حرحس ارفق بمؤاد هائم ... بسدى حب سوء عفى الظالم
وقد رصدا بك فى محاكم ... والجور لا يسه فعل الحاكم

أدصى رجاى منك نيل الود ... وقبله تسوى علبال الوجد
ا حائرا أفرط فى التعدى ... منك إليك فى الهوى أسعدى

وقال فى أرمه السه مردوحه من الرجز

عدى فى وصف العصور الحلعه ... معاله تعى الاداب مفنعه

عدل أصف

أسى المصف عسمع ... سامعه
فصل من الدهر إذا ولى حصر ... أدرك ... مقر

... وسد العمى ... لاأذان ... العرق

تبصره فوق القميص قد علا حتى ترى مبيضه مصندلا
إن كان رثاً زاد فى تمزيقه أو مستجداً حل حبل زيقه
ثم يعيد الماء ناراً حاميه تزيد فى كرب القلوب الضاويه
شاربه يكرع فى حميم كأنه من ساكنى الجحيم
ينسيه ما يلقى من التهابه أن يحمد الله على شرابه
حتى إذا عنا انقضى نهاره وأرخيت من ليله أستاره
تحركت فى جنحه دواهى سارية وأنت عنها ساهى
من عقرب يسعى كسعى اللص سلاحها فى إبر كالشص
وحيــة تنفث سماً قاتلا تزود الملدوغ حتفاً عاجلا
تبصر ما فى جلدها من الرقش كوجنة مصفرة فيها نمش
لو نهشت بالناب منها الخضرا لبترت منه الحياة بترا
فإن أردت الشرب فى إبانه على الذى وصفته من شانه
أبشر بما شئت من الصراع فضلا عن التهويس والصداع
وعلل تعجز إحصاء العدد من جرب ومن دوار ورمد
وبعد حمى الكبد لا تنساه لأنه أول ما تلقاه
ولا تقل إن جاء يوما أهلا فلعنة الله عليه فصلا

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريف فصل بكل سوءة معروف
أهوية تسرع فى كل الجسد وهو كطبع الموت يبساً وبرد
يخشى على الأجسام من آفاته فأرضه قرعاء من نباته
لا يمكن الناس اتقاء شره من اختلاف برده وحره
تبصره مثل الصبي الأرعن فى كثرة التغيير والتلون

فإن أردت الشرب للعقار   فى حينه بالليل والنهار
فأنت منه خائف على حذر   لأنه يمزج بالصفو الكدر
أحسن ما يهدى لك النسيما   يقلبه فى ساعة سموما
وهو على المعدود من ذنوبه   خير من الصيف على عيوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاء   جاءتك منه غمة غماء
أقبل منه أسد مزير   له وعيد وله تحذير
لو أنه روح لكان فدما   أو أنه شخص لكان جهما
يأتيك فى إبانه رياح   ليس على لا عنها جناح
حراكها ليس إلى سكون   تضر بالأسماع والعيون
يحدث من أفعالها الزكام   هذا إذا ما فاتك الصدام
ثم يليها مطر عداوم   كأنه خصم لنا ملازم
يقطعنا بغضاً عن الطريق   وعن قضاء الحق للصديق
وربما خر عليك السقف   وإن عفا عنك أتاك الوكف[1]
هذا وكم فيه من المغارم   وكثرة الإنفاق للدراهم
فى ملبس يدفع شر برده   يكف عنا منه غرب حدد
ملابس تعي الجليد حملا   كأنما يحمل منها ثقلا
يحكى بها المنحوف أصحاب السمن   لكن تراه سمناً غير حسن
فإن أردت بالنهار الشربا   فيه فقد قاسيت خطباً صعبا
واحتجت أن توقد فيه النارا   تطير نحو الحدق الشرارا
تترك مبيض الثياب أرقطا   تحكى السعيدى لك المنقطا

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

وبعد ذا تسدد النقابا من خوفه وتغلق الأبوابا
نعم وترخى نحوه الستورا حتى ترى صاحبه ديجورا
فحسن لون الراح فيه لا يرى لأنه صار سواء والدجى
تشرب فيه إن شربت الخمرا ليس لأن تلهو أو تسرا
لكن لتحمى خضر الأعضاء فشربها ضرب من الدواء
وإن أردت الشرب فى الملاء عاقك عن تناول المدام
حسبك أن تندس فى اللحف وخشية البرد على الأطراف
وبعده تشغل عن كل عمل وتؤثر النوم وتستحلى الكسل
حتى إذا مدت إلى الرقاد نمت على فرش من القتاد
إن البراغيث عذاب مزعج لكل ما قلب وجلد نضج
لا يستلذ جنبه المضاجعا كأنما أفرشته مباضعا(1)
فقبح فصلا فوق ما ذممته لو أنه يظهر لى قتلته
حتى إذ ما مر عنا [illegible] وزال عنا بعضه لا كانا

فصل الربيع :

[illegible] الربيع فجاء فصل حسن الجميع
[illegible] وحده معتدل [illegible] حدها الإكثار
[illegible] فى أوله حتى عدل وحمد المفصل منه [illegible]
[illegible] من أحسن [illegible] فى غاية الإشراق والإسفار
ضحكت فيه الشمس من غير حجب كأنها فى الأفق جام من ذهب
ونسيمه مستلطف النسيم مقوم فى أحسن التقويم
بدره فضل على البدور فى حسن إشراق وفرط نور

(١) المباضع : جمع مبضع ، بزنة منبر ، والمبضع : ما يبضع به العرق

كجامة البلور فى صفائها ... أو غرة الحسناء فى نقابها
كأنها إذا دنت من نحره ... جوزاؤه قبل طلوع فجره
رومية حلتها زرقاء ... فى الجيد منها درة بيضاء
هـذا وكم يجمع من أمور ... إسراف مطربها من التقصير
فيـه تظل الطير فى ترنم ... حاذقة باللحن لم تعلم
غناؤها ذو عجمة لا يفهمه ... سامعه ، وهو على ذا يقرمه[1]
من كل دبسى له رنين ... وكل قمرى له حنين[2]
فى قرطق أعجل أن يوردا ... خاط له الخياط طوقاً أسودا[3]
هـذا وفيـه للرياض منظر ... يفتنى الذى من سرها ما يضمر
سر نبات حسنه إعلانه ... إذا سواه زانه كتمانه
فيه ضروب للنبات الغض ... يحكى لباس الجند يوم العرض
من نرجس أبيض كالثغور ... كأنه مخانق الكافور
وروضة تزهر من بنفسج ... كأنها أرض من الفيروزج
قد لبست غلالة زرقاء ... فكايدت بلونها السماء
[illegible] كما كل أولادها ... قد لبست من [illegible] [illegible]
ضحك فيها زهر الشقيق ... كأنه [illegible] العقيق
مضمنات قطعاً من السبج ... و[illegible] [illegible] [illegible] ودعج
كأنما المحمر فى المسود ... [illegible] [illegible] لاح عيون الرمد
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... [illegible] فى [illegible] [illegible]

---

(١) يقرمه [illegible] بسمعه . والقرم : شدة الشهوة .
(٢) الدبسي : طائر أدكن يقرقر
(٣) القرطق نوع من الأردية

وانظر إلى الخشخاش إن نظرتا يحكى كرات ظوهرت كيمختا
وارم بعينيك إلى البهار فإنه من أحسن الأنوار(١)
كأنه مداهن من عسجد قد سمرت فى قضب الزبرجد
فانهض إلى اللهو ولا تخف فلست فى ذلك بالمعنف
واشرب عقاراً أخذت شيئاً كرنها يصفر من خوف المزاج لونها
من كف ظبى من بنى النصارى ألبابنا فى حسنه حيارى
إذا بدا جماله لذى النظر قال : تعالى الله ما هذا بشر
يبدى جمالا جل عن أن يوصفا لو أنه رزق حريص لاكتفى
تزينه أحشاء كشح طاوية وسرة محشوه بالغاليه
لا سيما مع مسمع وزامر قد سلبا من وحشة المنافر

دونك هدى صفة الزمان مشروحة فى أحسن التبيان
فأصغ نحو شرحها كى تسمعا ولا تكن لحفظها مضيعا
وارض بتقليدى فيما قلته فإننى أدرى بما وصفته
ولا تعارضنى فى هذا العمل فإننى شيخ الملاهى والغزل

وقال أيضاً [من الرجز] :

يا باعثاً لدعوتى غلامه وعاتبا من تركى [illegible]
إذا أردت أن تزار فى غد فلا تغال فى الطعام و [illegible]
واعمد إلى ما أنا منه واصف فإننى بالطيبات عارف
ابعث فخذ عشراً من الرقاق تلذها نواظر الأحداق
تكاد مما رق من حرساتها تشف للأعين من صفاتها

---

(١) البهار — بزنة السحاب — نبت طيب الريح
(٢) الالمام : الزيارة ، ألم به : زاره .

أرقها الصانع حتى حفت ... ولطفت أجسامها ومدت
يكاد لولا حذقه فى صنعته ... تعدوها أنفاسه من راحته
حتى أتت فى صورة البدور ... أو مثل جامات من البلور
حتى إذا فرغت منها متقناً ... ولم ير العائب فيها مطعنا
فاعمد إلى مدور من البصل ... فإنه أكبر أعوان العمل
يحكى لعينيك اخضرار قشره ... إذا رماه ناظر بفكره
غلائلا خضرا على جسوم ... بيض رطاب من بنات الروم
حتى إذا أحكمته تقطيعا ... وفلت قد جودته صنيعا
خلطته باللحم خلطاً جيدا ... ولم تزل تخلطه مرددا
حتى إذا أتت أجدت فعله ... ثم جمعت فى الرقاق شمله
صيرته ياذا العلا السنيه ... تنابورة ليست لها سميه
ثمت أغل الشبرق المقشرا ... من فوقه حتى تراه أحمر(١)
مكتسيا حلته الخمريه ... من بعدما عهدتها فضيه
ثم أدر كأس الشمول منعما ... أكرم بهذا مشربا ومطعما
فإنت فى فعلك ذا مصدرا ... كلا ولا فى حقنا مقصر

[illegible]

[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]

(١) الشبرق : نبت [illegible]

وشى طواه فى الثرى صوانه ... حتى إذا مل من الطى نشر
أما نرى الورد كخدى كاعب ... راودها فامتنعت منه ذكر
كأنما الخمر عليه نفضت ... صباغها أو هى منه نعتصر
أخجله النرجس إذ جادله ... فاحمر من فرط حياء وخفر
قال له العين وما الخد لها ... موازنا فى عظم قدر وخطر
ماذا الذى يرجى لخد بهج ... مستحسن صاحبه أعمى البصر
فاحمر من حجته إذ ظهرت ... والحق لا يدفع يوما إن ظهر
وانظر إلى النارنج فى بهجته ... يلوح فى أفنان هاتيك الشجر
مثل دنانير نضار أحمر ... أو كعقيق خرطت منه أكر
وانظر إلى المنثور فى ميدانه ... يرنو إلى الناظر من حيث نظر
كجوهر مختلف ألوانه ... أسلمه سلك نظام فانتثر
كأن نور الباقلا إذا بدا ... لناظريه أعين فيها حور
كمثل ألحاظ اليعافير إذا ... روعها من قانص فرط الحذر(١)
كأنه مداهن من فضة ... أوساطها بها من المسك أثر
كأنها سوالف من خرد ... قد زينت بياضها سود الطرر
وانظر إلى الأطيار فى أرجائه ... إذا دعا الناكل منها وصفر
كأنها صفر فى رياضها ... سرب قيان فوق بسط من حبر
فانهض إلى اللهو ولذات الصبا ... لامك من يعذل فيها أو عذر
فقلما يغنيك من يعذل في ... ما تشتهى حتى تواريك الحفر

---

(١) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبي بلون التراب ، وقال الراجز ، وهو من شواهد النحاة

يا ليتنى وأنت يا لميس ... فى بلدة ليس بها أنيس

* إلا اليعافير وإلا العيس *

فكيف هجران اللذاذات ولم ... يبد نهار الشيب فى ليل الشعر
والنسك فى عصر الصبا كأنه ... من قبحه خلع عذار فى الكبر
يا لائماً يعذلنى فى طربى ... حسبك قد أكثرت من هذا الهذر
أعرف فضل العقل إلا أنه ... لعيش من آثره عين الكدر
الجهل ينبوع مسرات الفتى ... والعقل ينبوع الهموم والفكر
فاجسر على ما تشتهى جهالة ... ما فاز باللذات إلا من جسر
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً ... لطار من خفته ذاك الحجر
عدوة الحزن الذى ما ظفرت ... قط به إلا أساءت فى الظفر
لو رام أن يجيره من كيدها ... صرف الزمان الخنم يوماً ما قدر
أرقها الدهر إلى أن شاكلت ... من رقه شعر جميل وعمر
خفية الحيلة فى جسم الفتى ... تحدث فى الجسم دبيبا حد[illegible]
كأنما الأوطار فيها جمعت ... فليس فى العيش لجانيها وطر
لا سيما من كف ظبي لم يشن ... بفرط طول لا ولا فرط قصر
له سهام من لحاظ صبب ... كأنما ترمين عن قوس القدر
مز[illegible] سككي فى دينه ... حتى حانت السكر وبس[illegible]
لأنه كالحور فى صورته ... [illegible] الحور لا يسكنها الله سقر
[illegible] يكن ز[illegible] فى وسطه ... [illegible] ضعف الخصر منه لانبتر
[illegible] صفه عن [illegible] ... لكنه [illegible] على قدر
[illegible] مكى قمر عفى ... [illegible] له أعده عند القمر
[illegible] بوا[illegible] وهدا اطق ... وذاك إن خوطب لم يطق حصر
[illegible] لك منه منظرا أشهى إلى ... قلبى من جنة عدن أو أمر
يا طيب ذى الدنيا لنا منزلة ... لو لم نكن نزعج منها بسفر

وقال أيضاً [من البسيط] :

علل فؤادك والدنيا أعاليل   لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل
ولا يصدنك عن أمر هممت به   من العواذل لا قال ولا قيل
فخير يوميك يوم أنت فيه إذا   ميزت فى الناس محمود ومعذول
وإن أنوك فقالوا كن خليفتنا   فقل لهم إننى عن ذاك مشغول
فإن ذلك أمر مع نفاسته   ونيله بفناء العمر موصول
وارض الخمول فلا يحظى بلذته   إلا امرؤ خامل فى الناس مجهول
ولا تبع عاجل الدنيا بآجل ما   ترجو فذلك أمر شأنه الطول
واسفك دم القهوة الصهباء تحى به   روحى فإن دم الصهباء مطلول
يا خائف الإثم فيها حين يشربها   لا تقنطن فعفو الله مأمول
قم فاسقنى النض مما حرموه . ولا   تعرض لما كثرت فيه الأقاويل[1]
من قهوة عتقت فى دنها حقباً   كأنها فى سواد الليل قنديل
عروس كرم أنت تختال فى حلل   حصر على رأسها المزج إكليل
كأنها فى أكف القوم إذ جليت   ذوب من الذهب الإبريز محلول
فى فتية جعلوا للهو طاعتهم   فما لهم عن طريق اللهو معدول
جليسهم ليس يروى من حديثهم   يوماً وبعض حديث [illegible]
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم   ففى سكرتهم المأمول والسول
ترى مجالسهم مملوءة لجباً   وكل ذاك فضول عنك معزول

وقال أيضاً [من مخلع البسيط] :

اشرب فقد طابت العقار   وابتسم الورد والبهار
من قهوة ما انبرت لهم   إلا وولى له انشمار

(١) نض الماء : سال قليلا . أو خرج رشحا ، والناض : الزائد

لها جيوش من الملاهي — للهم قدامها الفرار
لألاؤها في الدجى نهار — يظلم من نوره النهار
إذا استقرت حشا لبيب — رأيته ماله قرار
لم يرها ناظر حديد — إلا ثنى لحظه انكسار
خيالها جسمه لجين — وجسمها شخصه نضار
كأنها تحته كميت — عليه من فضة عذار
لها لدى حزن شاربيها — ثأر وعند الحلوم ثار
فالحزن عن أهلها مطار — والحلم في إثره مطار
فلا انتصار لذا عليها — ولا عليها لذا انتصار
يسعى بها جؤذر غرير — في لحظ أجفانه احورار
يحسن مني الوقار إلا — فيه فما يحسن الوقار
أغار مني عليه حتى — عليه من نفسه أغار
كل جمال ترى فنه — إذا تأملت مستعار
كأن صدغا له تراه — وهو على خده مدار
ميدان آس بدا جنياً — ألهب في جانبيه نار
بيت من الحسن لي إليه — حج مدى الدهر واعتمار
زيارة البيت كل عام — ودهر ذا كله يزار
قلت له إذ بدا وقلبي — من لاعج التشوق مستطار
[illegible] مع الحسن كل حسن — للناس من تركك اختصار
ما [illegible] [illegible] عندي — عليك إلا امرؤ حمار

وقوله أيضاً من مخلع البسيط :

اشرب فقد طابت المدام — وافتر عن ثغره الغمام
من قهوة حرمت علينا — والصبر عن مثلها حرام

جلت عن الوصف فهي شيء يدق عن شأنها الكلام
إذا استذم الأسى إليها فما له عندها ذمام
طوقها الماء سمط در ليس لمنثوره نظام
كأنها تحته كميت عليه من فضة لجام
إذا بدت للهموم ظلت وهي لإعظامها قيام
تلوذ منها فلا لواذ ينفع منها ولا اعتصام
في فتية كلهم كريم وخير من يصحب الكرام
يكسد سوق الفتاة فيهم ظرفا ولا يكسد الغلام
أئمة كلهم عليم بكل ما فعله أثام
لكنني فيهم على ما وصفت من فضلهم إمام
وعندنا شادن غرير في لحظ أجفانه سقام
للحسن قدامه جيوش للصبر قدامها انهزام
يخف في حبه التصابي لمثل ما يثقل الملام (١)
ذا العيش فافطن له وبادر من قبل أن يفطن الحمام
وانعم فعام السرور عندي يوم . ويوم الهموم عام

وقال أيضاً [من الكامل] :

جانبت بعدك عفتي ووقاري وخلعت في طرق المجون عذاري
ورأيت إيثار الصبابة في الذي تهوى النفوس محق الأعمار
لا تأمرني بالتستر في الهوى فالعيش أجمع في ركوب العار
إن التوقر للحياة مكدر والعيش فهو تهتك الأستار
من تابعت أمر المروءة نفسه فنيت من الحسرات والأفكار ؟

---

(١) التصابي : هو الفتوة ، والميل للهوى ، وتكلف الصبوة

لا تكثرن على ، إن أخا الحجا ... برم بقرب الصاحب المهذار[1]

خوفتنى بالنار جهدك دائباً ... ولججت فى الإرهاب والإنذار

خوفى كخوفك غير أنى واثق ... بجميل عفو الواحد القهار

أقررت أنى مذنب ومجرم ... تعذيب ذى جرم على الإقرار

انظر إلى زهر الربيع وماجلت ... فيه عليك طرائف الأنوار

أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً ... شهدت بحكمة منزل الأمطار

ماشئت للأزهار فى صحرائه ... من درهم بهج ومن دينار

وجواهر لولا تغير حسنها ... جلت عن الأثمان والأخطار

من أبيض يقق وأصفر فاقع ... مثل الشموس قرن بالأقمار

[illegible]حت لنا الأطيار فيه فأرهجت ... عرس السرور ومأتم الأطيار

دار لو [illegible]صل البقاء لأهلها ... لم يحفلوا بنعيم تلك الدار

فانهض بنا نحو السرور فإنه ... ما زال يسكن حانة الخمار

فاشرب معتقة كأن نسيمها ... مسك تضوعه يد العطار

أخفى دبيباً فى مفاصل شربها ... وأدق ألطافا من المقدار

أحكامها فى العقل إن هى حكمت ... أحكام صرف الدهر فى الأحرار

[illegible] على الأقذار شار[illegible] ... [illegible] عن الأقدار

وكأنها والكأس [illegible] ... [illegible] عقيق جار

[illegible] ... [illegible] العقول [illegible] اسحار

[illegible] ... [illegible] غرس [illegible]

[illegible] ... [illegible] زنار

[illegible] فويت على إسلامنا ... [illegible]الحسن منه حجة الكفار

---

(1) [illegible] : نعو الوصف من البرم — بفتح الباء والراء جميعا — وهو السآمة [illegible] الضجر

قالوا أيصنع مثل هذا ربكم … ويرى فساد صنيعه بالنار ؟

مع مسمع حلقت له أوتاره … أن لا تنافر رنة المزمار[1]

فطن يحرك كل عضو ساكن … تحريكه لسواكن الأوتار

شدو إذا الحلماء زار حلومهم … باعوا بطيب السخف كل وقار

والشدو أحسنه الذى لم يستمع … إلا أطار العقل كل مطار

ذا العيش، لا نعت المهامه والفلا … وسؤال رسم الدار والأحجار

لا فرج الرحمن كربة جاهل … يبكى على الأطلال والآثار

وقال أيضا [من الخفيف] :

قد رضينا من الغزال الكحيل … بغرور العدات والتعليل[2]

وهجرنا سواه وهو منيل … وهويناه وهو غير منيل

فكثير البغيض غير كثير … وقليل الحبيب غير قليل

يا عذولى زعمت صبرى صوابا … وطريق الصواب غير محيل

هلك العزم بين شوق صحيح … أنا فيه ، وبين صبر عليل

لا تعب من هويت بالبخل ، إنى … لا أحب الحبيب غير بخيل

يجمل البخل بالملاح وإن كا … ن بغير الملاح غير جميل

كل من سره حبيب جواد … فلتطل نفسه بقرن طويل

وقال أيضا [من الطويل] :

ألست [illegible] الربيع المنمنم … وما رصع الربعى فيه ونظما

فقد حكت الأرض السماء بنورها … فلم أدر فى التشبيه أيهما السما

فخضرتها كالجو فى حسن لونه … وأنوارها تحكى لعينيك أنجما

---

(١) المسمع [illegible] مصدر أسمع ، وأراد به المغنى

(٢) العدات [illegible]

فمن نرجس لما رأى حسن نفسه تداخـــله عجب بها فتبسما
وأبدى عـلى الورد الجنى تطاولا فأظهر غيظ الورد فى خـده دما
ورهر شقيق نازع الورد فضـله فزاد عليه الورد فضـلا وقدما
وظل لفرط الحزن يلطم خده فأظهر فيـــه اللطم جمراً مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله على كل أنوار الرياض نقسما
تجلبب من زرق اليواقيت حـلة فأغرب فى الملبوس منـه وأعلما
وألوان منثور تخالف شكلها فظل بهـا شكل الربيع متمما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها رأيت بهـــا كل الملوك محتما
فقم فاسقنى ما حرموه . فما أرى من العيش حلواً غيرما قبل حرما

وقال أيضا من البسيط .

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعـا فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هان وقيـل الجود عادته وإنما عز لمــــا عز مطلبه

وقال من الطويل .

أرجى دنو الوصل من بعد بعده كما قد يرجى فى الجدوب السحائب
وأكثر فى الهجر العتاب كأننى لدهرى من ظلم الكرام أعاتب
وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضى وقد تمنع الآمال وهى كواذب

وقال من الرمل .

حبـــذا زور أتانى طارقا بعـد حنابه
شق جنح الليل بدر لاح من ثنى نقابه
طربت نفسى إليـه وإلى طلب اقترابه
طرب الشيخ إذا ذكـــر أيام شبابه

وقال [من مخلع البسيط] :

خلعت فى حبه عذارى وطاب لى العيش باشتهارى

وذقت طعم الجنون فيه فكان أحلى من الوقار

إن أبد فى حبه خضوعا فليس ذل الهوى بعار

لو كان فى الحب لى اختيار لكان تركى له اختيارى

من روحه فى يدى سواه فهو حقيق بأن يدارى

لا تحمدونى على احتمالى هوانه واحمدوا اصطبارى

وقال [من البسيط] :

من وعدتك فى ترك الهوى عده فاشهد على عدتى بالزور والكذب

أما ترى الليل قد ولت عساكره وأقبل الصبح فى جيش له لجب

وجد فى أثر الجوزاء يطلبها فى الجو ركض هلال دائم الطلب

كصولجان لجين فى يدى ملك أدناه من كرة صيغت من الذهب

فقم بنا نصطبح صفراء صافية كالنار لكنها نار بلا لهب

[illegible] كأنها [illegible] فى حال صفر على رأسها تاج من الحبب

[illegible]

[illegible] خ‍بج [illegible] والريح [illegible] ذوائب القضب

[illegible] بالريح [illegible] صف قنا سندسية العذب

[illegible] فى [illegible] ممسكة قد طرزتها البروق بالذهب

وقال [من الخفيف] :

وسحابات إذا همى الماء فيه ألقت الرعد فى حشاه البروقا

[illegible] المحبون لم تجر إلا ظل يذكى على القلوب حريقا

وقال [من الخفيف] :

جوهرى الأوصاف يقصر عنه كل وصف لكل ذهن دقيق
شارب من زبرجـد وثنايا لؤلؤ فوقهـا فم من عقيق

وقال [من السريع] :

صوره خالقه جامعا لـكل شىء حسن بارع
وكل حسن من جميع الورى مختصر من ذلك الجامع

وقال [من المنسرح] :

عشقت من لا ألام فيه وما يخلو من اللوم كل من عشقا
رأى الورى فى سواه مختلف وأنت تلقاه فيـه متفقا
وكل قلب إليـه منصرف كأنه من جميعها خلقا

ألم فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلى : خلق من كل قلب . فهو يهوى كلا ما يشتهيه » .

وقال [من الخفيف] :

زارنى فى دجا الظلام البهيم قمر بات مؤنسى ونديمى
بحديث كأنه عودة الصحـة فى الجسم بعد يأس السقيم
تتلقى القلوب منه قبولا كتلقى الخدود برد النسيم

وقال [من الوافر] :

ظفرت بقبلة منه اختلاسا وكنت من الرقيب على حذار
ألذ من الصبوح على خمار ومن برد النسيم على خمار

وقال [من الكامل] :

لا تلفـين مفارقا من لا يرى من الصحاب
فالثوب ينفـذ صبغه فيما يليـه من الثياب

وقال [من السريع] :

ريق إذا ماازددت من شربه ... رياً نساني الري ظمآنا
كالخمر أروى ما يكون الفتى ... من شربها أعطش ما كانا

وقال [من الخفيف] :

حملت كأسه إلى شفتيه ... كفه والظلام مرخى الإزار
فالتقى لؤلؤا حباب وثغر ... وعقيقان من فم وعقار

وقال [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم كأنها ... فراق عدو أو لقـاء صديق
كأن الحباب المستدير بطوقها ... كواكب در فى سماء عقيق
صببت عليها المـاء حتى تعوضت ... قميص بهار من قميص شقيق

وقال [من الوافر] :

سلا عن حبك القلب المشوق ... فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء ... وقد يسلى عن الولد العقوق

وقال [من المجتث] :

كأن أوراق زهر ... للباقلاء بهيه
خواتم من لجين ... فصوصها حبشيه

وقال [من الكامل] :

أسنى الأمانى كلها ... وأجل منها ما ينال
كأس ومسمعة وإخـوان تحادثهم ومال

وقال [من مخلع البسيط] :

أبصره عاذلى عليه ... ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لى لو هويت هذا ... ما لامك الناس فى هواه

قل لى إلى من عدلت عنه ... فليس أهل الهوى سواه

فظل من حيث ليس يدرى ... يأمر بالحب من نهاه

وقال فى ثقيل [من البسيط]

ما السقم فى سحر والدين مع عدم ... يوماً بأثقل منه حين يلقانى

مالى عليه معين حين أبصره ... غير الصدود وتغميض لأجفانى

وقال [من الكامل] :

إن كان قد بعد اللقاء فودنا ... دان ونحن على النوى أحباب

كم قاطع للوصل يؤمن وده ... ومواصل بوداده يرتاب

وقال [من الرمل]

لا ووعد الوصل بالحظ على [illegible]

واختلاس القبلة [illegible]

وسماع [illegible]

ما سوى الراح له [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال [من الكامل]

ازهد إذا الدنيا أنالتك المنى ... فهناك زهدك من شروط الدين

فالزهد فى الدنيا إذا ما رمتها ... [illegible]

وقال من المجتث :

لا تحسدن صديقاً على تزايد نعمه
فإن ذلك عندي سقوط نفس وهمه

وقال [من المجتث] :

حملت كأسه [illegible] يتوقد
بدا [illegible] فى غصون خضر من الرى ميد
يحكى فصوص عقيق فى [illegible] من زبرجد

وقال من السريع :

أقبل والعذال يحوونى فكلهم قال : من البدر ؟
فقلت : ذا من طال فى حبه منكم لى التعنيف والزجر
قالوا . جهلنا فاغتفر جهلنا فليس عن ذا لامرىء صبر
عذرك فى الحب له واضح وما لنا فى لومنا عذر

وقال من مخلع البسيط

[illegible] وسحر
[illegible] وبسط عذرى
[illegible] بحمر
[illegible] بغير هجر

وقال من مخلع البسيط

[illegible]
أضحك [illegible] جهر [illegible]
[illegible] أن أبوح نفسى [illegible] من [illegible]
عينى التى أوقعت فؤادى يا عين ماذا لقيت منك

وقال [من مخلع البسيط] :

واحربى من ظبى | أقام عذرى به عذاره
أسقم جـ | حيرنى فى الهوى احوراره
عجبت رجنتيه | يحرقنى دونه استعاره
هذا اختيارى فأبصروه | شاهد عقل الفتى اختياره

وقال [من الكامل] :

لا تقبلن من الرشيد كلامه | وإذا دعاك أخو الغواية فاقبل
ودع التزمت والتجمل للورى | فالعيش ليس يطيب بالمتجمل
واشرب مرعفرة القميص سلافة | من صبغة البردار أو قطربل
كأس إذا رمت الهموم بسهمها | لم يخط نافذه سواء المقتل
تحلو وتعذب فى النفوس كأنها | كبت العدو ورغم أنف العذل
حمراء يرحب كل صدر ضيق | معها ويفتح كل باب مقفل
تحكى ضرام النار إلا أنها | نار لعمرك ليس تؤذى المصطلى
لا سيما من كف طاوية الحشا | برنو بناظرتى حذول مطفل

وقال [من الوافر] :

كتبت وفرط شوقى قد عنانى | وقد بعد الإتاء عى ندانى
وما فى البيت لى نان فكن لى | حعات ندك ب مولاى ...
فعندى ما يجاوز كل دسف | وما يرضى الخليل إذا أتانى
خروف أخاير سموا. ثيه | ا لقـ فايس ...
غلالة باض منه جبين | وظاهره غلالة رعفران
وكأس مثل عين الديك صرف | لها حبب كمنظوم الجمان
تقادم عهدها فبدت كشخص | عديم الحس موجود العيان
لها فى كف شاربها شعاع | تطرف منه مبيض البنان

يطوف بشمسها قمر منير تمكن طالعاً فى غصن بان
وإن أحببت مسمعة أتتنا محذقة بأصناف الأغانى
تطلق هم سامعها ثلاثا بتحريك المثالث والمثانى
فهذا عندنا ولدون هـذا لعمرك ما كفاك وما كفانى
فزرنا لاعدمتك من صديق تتم لنا بزورته الأمانى

وقال [من الخفيف] :

فحم شبه الغلام وأدلى فى كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلى فغدا وهو مذهب الآبنوس
لقى النار فى ثياب حداد فكسته مصبغات عروس

وقال [من الخفيف] :

بت ضيفاً نسيد يمى فقرانى وجوت عدما يدى
وأتت عرسه تغازل إيرى قلت لا [illegible] بزانى
ولو أنى فعلت ما كنت ممن يتصدى [illegible]
فأتانى وقال نكها بعيشى فهى موقوفة على الضيفان
قلت قد زدت فى الضيافة معنى ما عرفناه فى قديم الزمان
قال من أجل ذاك طار لى اسم وألح الضيوف فى غشيانى
فتى يدعى مع اسمى ضيوف قيل مرعى وليس كالسعدان

* * *

القاضى أبو الحسن على بن النعمان

أنشدنى له ابن وهب [من المنسرح] :

ولى صديق ما مسنى عدم مذ وقعت عينه على عدمى
أغنى وأقنى فما يكلفنى تقبيل كف له ولا قدم

قام بأمرى لما قعدت به ونمت عن حاجتى ولم ينم

وأنشدنى له أيضاً [من مجزوء الوافر] :

صديق لى له أدب صداقة مثله نسب

رعى لى فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجب

فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب

* * *

إسحاق بن أحمد بن الماردينى

أنشدنى له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرقنى الشوق فلم أكتحل بلذة الغمض إلى الفجر

تسرى همومى فأراعى بها كواكباً دائبة تسرى

حتى كأن البدر إذ أشرقت على الثريا غرة البدر

صفحة مرآة وقد أذهبت بمقبض رصع بالدر

وله فى الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهل بسواد الليل ملتبس باتت تقحمه العيس المراسيل

ليل قد اختلفت أشكال أنجمه كأنهن عيون للدجى حول

تبدو الثريا ككف للدعاء بها قد مدها الصبح والجوزاء إكليل

تلوى رقاب المطايا من تطاوله وينهض الفجر فيه وهو مشكول

* * *

القاضى أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدنى له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهى مما يتغنى بها [من الرمل] :

رب ليل لم أذق فيه الكرى حط عينى فيه دمع وسهر

طال حتى خلته لا ينقضى ونأى الصبح فما منه أثر

غاب عنى قمر أحببته فتعللت بأنوار القمر
كلما هيج شوقى حزنى يا ليلى أما فيك سحر

وقال [من الخفيف] :

رب خود عرفت فى عرفات سلبتنى فى حسنها حسناتى
حرمت يوم أحرمت نوم عينى واستباحت حماى باللحظات
وأفاضت مع الحجيج ففاضت من جفونى سواكب العبرات
ولقد أضرمت بقلبى جمراً حين راحت لدى رمى الجمرات
لم أنل من منى منى النفس حتى خفت بالخيف أن تكون وفاتى

وقال يصف الهلال [من المنسرح] :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد بدا لست مضين من عمره
وقد أطافت به كواكبه حسناً فبينته لمعتبره
مثل زناد قد صيغ من ذهب يقدح ناراً وهن من شرره
ثم تولى يريد مغربه فى شفق الشمس وهى فى أثره
فخلته غائصاً ببحر دم يقذف بالرائعات من درره
فلم أزل ليلتى أراجعه لحظى وأبكى للوقت من قصره
حتى تبدى الصباح منتبهاً قبل انتباه المخمور من سكره

وقوله فى مليح بعمامة حرير حمراء [من الكامل] :

يا من يمر ولا تمر به القلوب من الحرق
بعمامة من خده أو خده منها سرق
فكأنها وكأنه قمر أحاط به شفق
فإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنا وإذا نطق
شغل الجوارح والخواطر والمسامع والحدق

صالح بن مؤنس

أنشدنى له ابن وهب فى ابن رشدين صالح [من السريع] :

يفديك بالمهجة يا صالح   من كل ما يكرهه صالح
فأنت غصن صيغ من درة   على ذراه قمر لائح

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنا مثل ماء الور   د فى الطيب على الورد
ونادمت ابن رشدين   فما حدت عن الرشد
فتى كالبدر فى الرفعـ   ـة والإشراق والسعد
كأنى منه فى الجـ   ـنة لو أظفر بالخلد

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بك يا صالح أرضى   عن زمانى حين أسخط
فأدم لى الوصل إنى   بك فى العالم أغبط
أنت والرحمن مذ كنـ   ـت على قلبى مسلط
ومصيب أنا فى الـ   ـحب ومن يعدى بغلط
يا جواداً فى فناء   بغداد أبسط
أسقط الحشمة فى العشـ   ـرة وحشمه تسقط

وله فى جارية اسمها حمزة وأحمره [من الكامل] :

ما اسم إذا صحفته وعكسته   ونقصت حرفاً منه كان سلاحا[1]
وإذا أقام ولم يحل عن حاله   عادى العقول وصالح الأرواحا

---

(١) « حمزة » إذا صحفته صار « حمره » فإذا عكسته بعد حذف حرف منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

وله فى بعض آل الفرات [من المجتث] :

قد مر عيد وعيد ما اخضر لى فيه عود
وكيف يخضر عودى والماء منه بعيد ؟
يا من له عدد المجد كلها والعديد
آل الفرات نداهم على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم عليك منه شهود
وكل يوم لغيرى من راحتيك مدود
هل لى إلى الرزق ذنب إن كان منه صدود ؟
ما الناس إلا شقى فى دهرنا وسعيد

وقال فى صفة جدى [من الرجز] :

جد لى بجدى نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لفات قطن بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه

وله يصف رءوسا [من الخفيف] :

قد غدونا على رءوس سمان ناعمات من أرؤس الخرفان
وارمات الخدود من غير سوء شحمات العيون والآذان
تتداعى بالوهم من قبل أن تلـ ـمسها كف آكل ببنان
ولأصل اللسان طيب ينسيـ ـك من الطيب مص طرف اللسان
ورقاق ذى نعمة وبياض كوجوه المخدرات الحسان
وبقول تغنيك عن زهرة الرو ض وتنسيك خضرة البستان
وأتت راحنا التى هى فى الأر واح مثل الأرواح فى الأبدان
ثم وافى بنفسج فى حداد فرأينا السرور فى الأحزان

عند حر يستنفد الوصف مدحا   وهو عبـــد لسائر الإخوان
أحكمتك الأيام يا ابن حكيم   فأريت الزمان حكم الزمان

وقال أيضا [من الطويل] :

سأدمن شرب الراح ما دمت باقيا   وأمدح من شرابها كل مدمن
فما تـكمل الأوقات إلا بقهوة   ولا تحسن الأيام إلا لمحسن

وقال [من السريع] :

إذا هجا الشاعر فى خفيـة   وخفض الصوت عن الرفع
ولاذ بالجحد لمـا قاله   فإنما خاف من الصفع

وقال فى يوم شديد البرد [من البسيط] :

هذا لعمرك يوم يستطير له   من قره شعر الهامات بالرعد
لو شئت لا خائفا لذعا ولا ألما   قبضت فيه على جمر الغضا بيدى

وله فى غلام صوفى [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهد   يقيم عذرى عنـد عذالى
قد قصـد الله بأحواله   فليته يقصـــد فى حالى

وقال يهجو عبيد الله بن أبى الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله مادح   فأنت فى صفقتك الرابح
وما يقوت الصبى من بقة   أمثالها فى فمــه طائح
ورب من ترفعه خزيه   مبسمها فى وجهه لائح
يفخر عبد الله فى الناس أن   يقول قد ناقضنى صالح
يا ابن أبى الجوع قدحت امرءا   من فكره يحترق القادح
لقد تعرضت على غرة   قريحة صاحبها قارح
فاركب ذلول الأمر أو صعبه   فى فقد جد بك المازح

وعق من أهلك من شئته فإنما أنت له فاضح
واغد بما تهوى ورح إننى غاد بما تكرهه رائح
يا أيها الصعو الذى لم يزل يرقص حتى دفه الجارح[1]

ومنها :

إن زأر الليث على ما أرى وهاج يوما ضرط النابح
وود أن يفلت من بعدما أنحى على أوداجه الذابح
إن الذى تطمع فى قربه نجم لمن يرمقه لائح
يا شارباً فى يده حتفه لم تدر ماخاض لك الجارح
أراك قد لججت فى غمرة يغرق فى تيارها السابح
فقد تمرست بمن شعره كالبحر لا ينزفه الماتح
كم جامح قبلك ألجمته بالذل حتى سكن الجامح

وقوله فيه [من السريع] :

ياذا الذى عن رشده قد عمى لو كنت جلداً حدت عن أسهمى
لو كنت شهما حازما ضابطا لما تقلبت على الشيهم[2]
ما أنت فى فعلك إلا كمن تطعم الريق من الأرقم
كيف يخوض البحر من مثله يغرق فى دائرة الدرهم
فاثبت أو اجزع كل ذا واحد لا عاصم اليوم لمستعصم
استقدر الله على كل ما ألصق منك الأنف بالمرغم
تجاسر الجوع على صالح تجاسر الكلب على الضيغم
وفاه باسمى مفصحاً بعد ما تركته أسكت من أبكم

(١) الصعو : العصفور الصغير

(٢) الشيهم : الدلدل ، وذكر القنافذ ، أو ما عظم شوكه من ذكرانها

وقال قوم قد غدا شاعراً　　والشعر لا يعرف للمفحم
فقلت لا لوم على مثله　　من أخذ الصفع قفاه حمى
أنا الذى ألبسته حسرة　　مما جرى من ذكره فى فمى
والله لا يجهل من بعدها　　وفى قفاه للردى ميسمى
أبين به من ميسم واضح　　يضىء كالغرة فى الأدهم
فليت شعرى كيف رام العلا　　وهم أن يرقى بلا سلم ؟ !

ومنها :

ثم أتت بالصحو مستبشرا　　يروم أن يلحق بالقشعم
فى الثمر المر دليل على　　رداءة الأصل لمستطعم

وله فيه [من البسيط] :

لا تعجبى لسكوتى بعد أشجانى　　فالعذر عن كل ما أهواه أسلانى
قد أرقأ الله دمعى بعد جريته　　وأنقذ القلب من هم وأحزان
فما أرى أحدا يصفى الهوى أحداً　　وجود هـذا رعاك الله أعيانى
لم يبق بين الورى إلا مكاشرة　　تبدو لنا عن صدور ذات أضغان
أقول لابن أبى الجوع المنافق إذ　　لم ينهه الحلم عنى وهو ينهانى
أراك تقرعنى سراً وتعجمنى　　فهل وجدت صفاتى غير صوان
نرد فى جبهة النقار معولة　　إذا تضعضع عنها كل كذان
العز دارى وظهر العزم راحلتى　　والوحش أنسى وجن الأرض إخوانى

وله فى العناق . وأحسن ما شاء [من السريع] :

ز سد ما مثله سيد　　تصدت الحمى له فاشتكى
عاينته عند موافاتها　　والأفق بالليل قد احلولكا
فجاءت الحمى كعاداتها　　فلم تجد ما بيننا مسلكا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أم الحياة على سرير نحاس عريانة أبدا بغير لباس
هى فى الموات لدى الورى معدودة لكنها ضمنت حياة الناس

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنت فإن عينى إذا ما غبت داميه الجفون
كأنك مهجتى فإذا تنائى فراقك حم لى ريب المنون

وقال يصف البنفسج والورد [من مخلع البسيط] :

بنفسج جاء فى حداد ووردنا فى معصفرات
فاشرب على مأتم وعرس جلا جميعاً عن الصفات

وسأله ابن رشدين المسير معه إلى القاش فقال مرتجلا [من المنسرح] :

يا آمرى بالمسير فى لجج السنيل كأن سخرت لى الريح
ما جدد الماء لى فأركبه كلا . ولا صامت التماسيح

محمد بن الحسن اليمنى

أنشدت له فى صالح [من المجتث] :

يا قاطعى بعد وصل تسوم مالا أسومك
يا ليت أنى يوماً من الزمان نديمك
فالشوق عندى غريم كما السلو غريمك

وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضح الغصن النضير كاسف البدر المنير
أنت عذرى فى حياتى ومماتى ونشورى
ما سرور غاب عنه صالح لى بسرور

محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوه [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكا ييل والبيع ينسب
من يرجيك يتعب وأمانيه تكذب
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعاً ترجل الـ ـمجد مذ صار يركب

وله يهجوا بنى كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابنى كشاجم أنتما مستعملان مجربان
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكان
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القران
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعبد الميت حيا وإن غطاه دونكما التراب
فلا تستشعرا حزنا عليه فيذهب لاعدمتكما الثواب

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمر الليل كن شهيدى فأنت من أعدل الشهود
عن نمت أو ذقت طعم غمض مذ هجعت أعين الرقود
وكيف ينفك [illegible] اغتماض [illegible] في الصدود
فكن شفيعى إلى حبيب [illegible] اد في كثرة الجحود

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأن الأباريق مملوءة طباء وقوف على ساحل
رماها بأسهمه قانص فخضبها بالدم السائل

وقوله فى شمعة [من مجزوء الرجز] :

ماكية ضاحكة خدامها جلاسها
مظهره أنوارها أن جزمنها راسها
كأنها عاشقة تذيبها أنفاسها

وقال [من السريع]

لو أنصفت عطفت أو رقت ما أضنت الجسم ولا سلت
أفدى التى إن أقبلت أقبلت دنياى أو غنت لنا أغنت

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيها ذا استمع مقالى فليس فى قصتى ضلال
ثلاثة مالها مثال السجن والجوع والعيال
إن دام هذا على منهم صححت ما شنعوا وقالوا
أليس إن مت مات شعرى أفنى وما قلته يقال

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثر العذال لومى يا ابن رشدين وزادوا
وبقلبى منك وجد ماله الدهر نفاد
قد تجافى عن جفونى مذ تجافيت الرقاد
فيك يا صالح القلـب صلاح وفساد
أنا من حبك مولا ى عليل لا أعاد

وقوله [من السريع] :

دافعت أيامى بأيامى حتى مضى أكثر أعوامى
وإنما عمر الفتى كله كأنه طارق أحلام
يا ويح من أمسى على غره وأنفه من حتفه دامى

يرمى بسهم للردى صائب من حيث لا يشعر بالرامى

* * *

عبيد الله بن محمد بن أبى الجوع

أحد رواة المتنبي الأدباء، وأصحابه العلماء، وممن تمهر فى لغات العرب وأجاد أنواع الأدب، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنك يا سيدى إذ جفوت توهمت بى نبوة الغادر

وخلت بأنى ملالا سلوت ولست بسال ولا صابر

وقد علم الله أنى عليـ ـك أشفق منى على ناظرى

وقال [من السريع] :

صالح يا مشبه بدر الدجى بالحسن والإشراق والرفعة

وجهك فى الليل كشمس الضحى نوراً فما تصنع بالشمعة

وقال [من المجتث] :

يا أطيب الناس ريحا وأطيب الناس راحا

وما به أتصدى الـ أطراب والأفراحا

هات اسقنى أو ترانى لا أعرف الأقداحا

واحفظ على فؤادى من أن يطير ارتياحا

لو كنت كاسمك ياصا لح اعتمدت الصلاحا

لكن أبى الله إلا أن تفسد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث

شعبان قد صار نضواً ولم ولم نفد فيه لهوا !؟

وليس ذلك منا جهلا ولا كان سهوا

فبالمـــودة إلا بكرت للقصف عدوا (١)

حتى نقوم فنرفوا ما خرق الدهر رفوا

من بعد تقديم جدى مسمن ظل يشوى

له ثلاثون يوماً يحبو إلى الضرع حبوا

وأوفر الزور فى الخـ ـل قد تبوأ مثوى

لما انتزعت حشاه عوضته البقل حشوا

وقد عنيت بجام ملأته لك حلوى

وقهوة بنت كرم صفت من النُّم صفوا

ما شعشعت قط إلا سطت على الهم سطوا

جنبتها كل وغد يمحو المحاسن محوا

إلا إذا ما اقتنصنا عذب الخلائق حلوا

وشادن ذى دلال يشدو فيلهيك شدو

إما غناء وإما عجائباً عنه نروى

حتى تظل بما فيــه من وقارك خلوا

وعندنا لك ورد يحدو المسرة حدوا

ريحانه لا يوازى لونا وعطراً وسروا

فما اعتذارك فى أن تفنى زمانك صحوا

وأنت بعد قليل بالصوم والله تطوى

أبا على ألا اسمع نصيحة ليس تزوى

فإنما نحن سفر على محجة بلوى

ولا تعرج ذميما على معاهد حزوى

(١) القصف: اللهو، وهو غير عربي، والعدو: السير السريع، عدا يعدو عدوا

وله فى أبخر [من الخفيف] :

لاتنفس فى مجلس أنا فيه   وتنفس سراً وراء الباب
ثم لا تعترض لسر صديق   إن ذاك السراء سوط عذاب
إنما فوك فقحة كل وقت   تتصدى الأنوف كالنشاب
تصرع الطائر المحلق فى الجـو ولو غاب فى سواء السحاب

وقوله [من الوافر]

أرى اللذات تعبر بى يمينا   على رغمى وتعبر بى شمالا
فأجرع دونها غصصاً لأنى   أشاهدها وما أعطيت مالا

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وعـذار مجعد   فوق خـد مورد
كلما رمت فرصة   لسعت عقرب يدى

* * *

الحسن بن محمد الشهواجى

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشروبا فى يوم نيروز [من السريع]

اليوم يا صالح ما تبصر   وصحو مثلى فيه مستنكر
وقد مضى الوعد وحصلته   وصفوه من مطله يكدر
فهات ما يحضر إنى امرؤ   يقنعه منك الذى يحضر

وله [من المنسرح]

فولى ماض على العباد فما   يرد فى جده ولا لعبه
ولى لسان كأنه ظبة الـسيف طويل أكاد أعثر به

وقوله [من البسيط] :

وقهوة كشعاع الشمس صافية شربتها مع شرب سادة كرما
إذا ثنوا أرؤس الفرسان فى رهج حازوا الفخار وأجروا بالسيوف دما
إذا رأيتهم أيقنت أنهم نجوم كل فخار لا نجوم سما

وقوله [من الطويل]

تضيق بى الدنيا إذا كنت غائبا وأسرح فى أقطارها حين تقرب
وأنت جناحى كلما طرت للعلا وسيفى الذى أسطو به حين أضرب

وقوله [من الرجز] :

وقهوة فى كأسها ترمى الندامى بالشرر
قد جمعت نشر الربا وبرد أنفاس السحر
أطيب ما شربتها على غناء ووتر
طوبى لمن حج إلى كعبتها ثم اعتمر

وقوله من الكامل :

وعلو قدرك وهو أبعد غاية فى كل حال من علو الكوكب
لألبسن مديحك الحسن الذى أبسته ثوب الثناء الطيب
حتى يحدث من بأرض المشرق !! أقصى حديثك من بأرض المغرب

وقوله من الكامل :

ومهفهف ساق أغن سقيته قبل الصبوح سلافة عذراء
ما صاح ديك الصبح إلا صيحة حتى توسد كفه إغفاء
جعلته قبل رقاده كاساته لما استفل لسانه فأفاء

* * *

أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة فى سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعانى ، أنشدنى له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف] :

قل لمولاى منعما ... لم صرمت المتيما
أنت أعطشتنى إليـــك وأبكيتنى دما
فإذا شئت أن ترى ... عاشقا ميتا ظما
فأدر فى ناظريـــك تجدنى توهما

وقوله [من المجتث] :

أجنة نحن فيها ... أم نحن فى المرزجوش(١)
ما بين آس وماء ... ينساب بين العروش
وقهوة ذات حسن ... وطاجن ذى نشيش
وسيد رشت منه ... لما تطاير ريشى

وزاره ابن أبى الزلازل فى منزله ، فلم يره ، فطرح له رقعة من طاق فى المنزل، وكتب اسمه على الباب ، فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه . فذهب صالح فى الوقت إلى منزل ابن أبى الزلازل فلم يجده ، فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قد . ومن خصنى بودك ، أذكى ... عود شوقى إليك فى القلب نارا
سرت فيه تلقا دارى قصدا ... فبدا لنور قد تغشى الديارا

(١) المرزجوش : معرب مرزنكوش . ويسمى أيضا مردقوش . وعربيته السمسق . وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .

فتعجبت أن أرى الأفق ليلا مدلهما وجوف داری نهارا
وإذا خطك البديع على البا ب يبث الضياء والأنوارا
فتمنيت أن خدى نعلا أخمصيك اللذين نحوى سارا
غير مستنكر لمثلك أن يسـبق فضلا وأن يفوت فخارا
ثم أصبحت أشتكى عثر السكـر وعزمى زيارتيك ابتكارا
فإذا رقعـة تمر بها الريـح يمينا طورا وطورا يسارا
فتأملتها وكانت من اللا ئى تروق القلوب والأبصارا
ما توهمت أننى قبلها أقـرأ خطا يزيل عنى الخمارا
قابلتنى منها سهـام عتاب جعلت درعى الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلا مذق الود للصـديق معارا[1]

فلما رأى ابن أبي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بأبى أنت سابق لا يجارى قاده نحوى اشتياق فزارا
عاقنى الحظ أن أراه وأن تقـ ضى عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرشـ د وبدلت بعد عسر يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدق أدباء ندير كأسا عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلا وشربنا من قبله تذكارا
ثم إنى انصرفت سكران أعتـس طريقى تمايلا وعثارا[2]
والدجى كالهموم فى قلب من فا رق عشقا وغربة وادكارا
أخبط الليل مفرداً إذ تراءى لى نور أضاء ثم استطارا
فهنيئا إنى أودك ودا ترتضيه مغيباً وجهارا

(١) المذق : المداهن
(٢) عس : طاف بالليل ، ومثله اعتس

ثم أخبرتني بشكواك فيهــا فوقاك الإله فيك الحــذارا
لم أزل دائباً أكــرر قولى كان لى فيك حافظ الجار جارا

* * *

أحمد بن محمد العوفى

أنشدنى له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المجتث] :

يا حسرة فى نفوس ويا شجى فى حلوق
يا فضــة بين تنى غلالة من عقيق
على لا زلت همى فى صبحتى وغبوقى
ودون سلوة وحدتى وجدان بيض الأنوق[1]

وأنشدنى أيضاً [من المجتث] :

يا موقظاً طرف همى من بعد ما كان أغفى
تظن ما بت أخفيــه من جوى بك يخفى
ولى لسان دموع ما يكتم الناس حرفا
إذا نطقن ضرفى وقعت بالطرف [illegible]

وأنشدنى [illegible] [من المجتث] :

فــ[illegible] عابنى ببغدادى حساده [illegible]
ولا وحسبى ما إن [illegible] حتما
ضيعت فى [illegible] صدغاً نمت [illegible]
وذلك [illegible] يومى [illegible]

---

(١) الأنوق ــ بفتح الهمزة ــ [illegible] ــ العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه

القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح] :

يا أيها القائد الجليل ومن أصبح بالمكرمات يفتخر

آليت لا أشرب المدام ، وإن كانت ذنوب المدام تغتفر

يكفى أخا العقل أن سورتها تجنى على عقله ويعتذر (١)

فكتب إليه القائد أبو تميم [من المنسرح] :

أبا على حاشاك يا أملى من أن أراك الغداة تعتذر

قلبى إذا غبت ساعة قلق يكاد شوقا إليك يستعر

فسر إلينا فوقتنا حسن ساعد فيه السحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبى تميم فى ضيعة له . فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهنة وجانية . فحملنى النبيذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف] :

صالح لا يزال يطلب عبده من كريم يصفى الأخلاء وده

قد بثثت الغداة وجدى وحبى من ولى يولى لمولاه مجده

فإذا شئت أن أرى لك عبدا فتفضل أبا تميم بعبده

فقرأها وأمسك ، فارتعت وخفته ، وتماديت فى الشرب معه ، ثم نهضت إلى منزل أنزلنى فيه بقربه . فلما استقر بى أنفذ لى الجارية ومعها درج فيه طيب كثير ، وعليها ثياب رفيعة حسنة ، ورقعة فيها شعر [من الخفيف] :

قد بعثنا أبا على بعبده وقضينا بذاك حق الموده

وحمدناك إذ خطبت إلينا أسأل الله أن يهنيك حمده

---

(١) سورة الخمر : حدتها .

فخذنها فأنت أكرم كفء وهي ما عشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذي جاء بها : يقول لك مولاى : لا تخرج غدا من منزلك أو يأتيك رسولى . فلما أصبحت جاءنى القائد أبو تميم بجواريه المغنيات وطباخه . معه طعام كثير قد أعده وشراب . فما زلنا نأكل ونشرب إلى الليل وانصرف فرحا مسروراً .

أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدنى له ابن وهب من الطويل :

لئن ذهبت أيام لذتنا الأولى بذى الأسل موجدى عليها بذاهب
ألا ليت أياما مضت لم تكن مضت ففقدى لها يا صاح إحدى المصائب
رعى الله أيام السرور فإنها تمر سريعات كمر السحائب

وقوله فى رثاء صالح من السريع :

قد أفسد الموت على صالح كل الذى أصلحه صالح
وانصرف البواب عن بابه وصاح فى مجلسه الصائح
خلوه فى دار البلى مفردا وناح فى أوطانه النائح
يا ليت شعرى ما الذى قاله إذ راح فى حفرته الرائح
يا أيها الناس ألا فاسمعوا قولى فإنى مشفق ناصح
لا تؤثروا الدنيا على غيرها فرق ما بينهما واضح
فالحمد لله وشكر له كل امرئ عن أهله نازح

وقوله من الخفيف :

من رسولى إليك أو من شفيعى يا شبيه الهلال عند الطلوع ؟ !
أنت فى القلب شاهد ليس يخلو من ضميرى وأنت بين ضلوعى

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم كالباكى لأربعة ... والأرض تضحك كالجذلان من فرح
فقم فديتك نشكو ما نكابده ... من الزمان وما نلقى إلى القدح

وقوله من المنسرح :

كم لى بدير القصير من قصف ... مع كل ذى نشوة وذى ظرف
خوت فيه بشادن غنج ... تقصر عنه بدائع الوصف

وقوله ، من السريع :

أذكرنى يا دير من قد مضى ... من أهل ودى ومصافاتى
كم كان لى فيك وفيهم معاً ... من طيب أيام وليلات
أشكو إلى الله مصاباتهم ... وفقدنا أهل المروءات

وقوله [من البسيط] :

كتمت حبك فى قلبى فما وسعه ... [illegible]
يا من إذا ما بدت للناس صورته ... رأيت فيها فنون حسن مجتمعه
والله ما حلت عما قد عهدت ولا ... أصغيت أذنا إلى العذال مستمعه
رفقا بمن لو تسلى عنك يا أملى ... بكل شىء على الدنيا لما نفعه

أبو القاسم بن على بن بشر الكاتب

أنشدنى له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف] :

من عذيرى إلى العذار الجديد ؟ ... من رسولى إلى القريب البعيد ؟
دب فى خده العذار فحاكى ... ظلمة النحس فى بياض السعود

وقوله [من السريع] :

أما ترى لى ناظراً شاهدا ... بالحب والأعين رسل القلوب

ودون إلحاح جفونى به   تخبر عما فى فؤادى الكئيب
وأنت لا شك به عالم   لأن عند المرد علم الغيوب

وقوله [من المنسرح] :

ضممته ضم مفرط الضم   لا كأب مشفق ولا أم
ولم نزل والظلام حارسنا   جسمين مستودعين فى جسم
ألثمه فى الدجا وبرق ثنا   ياه يرينى مواقع اللثم
ثم افترقنا عند الصباح وقد   أثرت فيه كهيئة الختم

وقوله [من البسيط] :

إذا ذكرت أياديك التى سلفت   مع قبح فعلى وزلاتى ومجترمى
أكاد أقتل نفسى ثم يدركنى   علمى بأنك مجبول على الكرم

وقوله من الخفيف :

أنت منى بحيث مأوى العزاء   وبحيث انتقاد حسب [illegible]
فى فؤادى وناظرى وهما مســك ورنا صيانة واستحام

وقوله من الوافر :

حيى الله امرأ بوعيك [illegible]   تسكنه [illegible]
[illegible] بالذى استودعت [illegible]   [illegible] من الحاج [illegible]

وقوله من الكامل :

بجناه حسن حبيبها   فى شكل ضربها البهى
ضدان ما اجتمعا لغيــــر   تشتت الصب لفهم
ولذكرها أندى على ا   لأكباد من برد النسيم
ووصفت ممه حسنها   فنعمت فى صفة النعيم

وقوله [من المتقارب] :

ديون المكارم لا تقتضى كما تقتضى واجبات الديون
ولكنها فى قلوب الكرام تجول مجال القذى فى العيون

وقوله [من المنسرح] :

طرفى على ماعهدت من أرقه فيك ، وقلبى يزداد من حرقه
ولى حبيب أقام معتنقى كما أقام الشهاب فى غسقه
وجملة الأمر أننى رجل قد مت قبل الفراق من فرقه[1]
هذا حديثى والشمل مجتمع فما حديثى فى عقب مفترقه ؟!

قال لى الزاهر : أخبرنى بشر أنه كان له جد لأمه يعرف بكولان ، وكان هو من أهل الأدب والكتابة وحسن الشعر والخطابة . قال لى حججت سنة من السنين ، وجاورت بمكة حرسها الله . فاعتللت علة تطاولت بى ، وضاق معها خلقى . ثم صلحت منها بعض الصلاح فتفكرت فى أننى عملت فى أهل البيت تسعاوأربعين قصيدة مدحا . فقلت : أكملها خمسين . ثم ابتدأت فقلت :

* بنى أحمد يا بنى أحمد

ثم ارتج على[2] فلم أقدر على زيادة . فعظم ذلك على . واجتهدت فى أن أكمل البيت فلم أقدر . فحدث لى من الغم بهذه الحالة ما زاد على غمى بإضافتى وعلتى ، فنمت اهتماما بالحال . فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم . فجئت إليه فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضافة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال لى : تصدق يوسع عليك ، وصم يصح جسمك . فقلت له : يا رسول الله ، وأعظم مما شكوته إليك أننى رجل شاعر أتشيع ، وأخص بالمحبة ولدك الحسين وتداخلنى له رحمة لما جرى عليه من القتل ، وكنت قد عملت فى أهل بيتك

---

(١) الفرق ـ بفتح الفاء والراء جميعا ـ الخوف (٢) ارتج عليه : استغلق عليه الكلام

تسعاً وأربعين قصيدة . فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين ، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعا وأرتج على إجازته . ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لى قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إلى ، لقول الله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له)[1] ثم قال لى : اذهب إلى صاحبك ، وأومأ بيده السربفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بى إلى حيث أومأ ، فمضى بى الرسول على ناس معهم على ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله . قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتى كما قصصت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : فما المصراع الذي فاتك من المتقارب] :

نبي محمد يا بني أحمد

فقال للوقت في

بكت مكة فقد محمد المسجد

يثرب . واهتز قبر النبي — أبى القاسم السيد الأصيد

وأظلمت الأفق أفق البلاد — وذر على الأرض كالإثمد

ومكة مادت ببطحائها — لإعظام [illegible] الأعبد

و[illegible] الحطيم بأركانه — [illegible] [illegible]

وكان وليك خذلا — ولو شاء [illegible]

قال : ورددها على ثلاث مرات [illegible]

الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

[illegible] له [من مجزوء الوافر] :

ومنيتك له نظر يصون مواقع النظر

---

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس

هلال لو بدا للسفـــر ألهاهم عن السفر
فوا ويلاه من قمر يريك مساوى القمر
لقد أصبحت من كلفى بغرته على غرر

وقوله من مجزوء الرمل] :

يا مريداً منى الوصـــل ووصلى فى يديه
أنا لا أعرف من لا يعرف الحق عليــه

وقوله من أبيات مجزوء الكامل :

تختال فى حلل الصبا كالبدر فى حلل الغيوم
وإذا تثنت جال فى أعطافها ماء النعيم
ينسيك طيب نسيمها بعد الكرى برد النسيم

وله أول قصيدة : من الطويل : :

هو السيف لا يكسوك ما لم تجرده واسترفد غربيه برده

أبو الحسن اللطيم

أنشدنى ابن وهب قوله [من مخلع البسيط] :

لا تنكرى سرعة اختلاسى لذات أيامى القصـار
فإن على بغدر دهرى صيرنى خالع العـذار

وقوله [من السريع] :

أهديت لى تذكرة خاتماً اسمك منقوش على فصه
فما اعترتنى زفرات الهوى إلا تروحت إلى مصه

سليمان بن حسان النصيبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف] :

وهتوف ورقاء أرقت العيـ ـن ، وزادت خبل الفؤاد خبالا

ذات طوق من الزبرجد يحكي صفو عيش عني تولى وزالا

أيقظتني والصبح قد خالط الليـ ـل كما خالط الصدود الوصالا

وتراها كأنما بدموعي خضبوها أو خضبت الجريالا(١)

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل] :

ما رأينا مثل هذا الـ ـراي حسناً ، إذ رأينا

صار تبراً بعد أن كا ن عقيقاً ولجيناً

وقوله في شمعة [من المتقارب] :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرت وباطنها مكتسي

لها مقلة هي روح لها وتاج على الرأس كالبرنس

إذا رنقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس

وإن غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس

وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يجلي دجا الحندس

فنحن من النور في أسعد وتلك من النار في أنحس

وقد ناب وجهك عن ضوئها وعن ذا البنفسج والنرجس

ولسكبة .... وهي ...... في المجلس

بوقدها زهـ..ـه للعيون ورؤيتها منه للأنفس

تكيد الظلام كما كادها فتفني وتفنيه في مجلس

فيا ربة العود حي الغناء ويا حامل الكأس لا تحبس

(١) الجريال — بزنة القرطاس — صبغ أحمر

ويا صالح انعم وعش سالما على الدهر فى عزك الأقعس

وله يصف روضة [من الرجز] :

وروضة ذات غدير متئق وزهر مثل عشور المهرق[1]

ونرجس مثل العيون الرمق أجفانها من لؤلؤ مفلق

[illegible] فتحت [illegible] نطبق وسوسن غض النبات مونق

بشف فيه كالزجاج الأزرق وقد حكاه فى ضياء الرونق

بنفسج مثل اللجين المحرق [illegible] حسنها من روضة لم تطرق

كأنها سافرة عن خلق أو حسن ما أنفته عن منطق

[illegible] كرتها [illegible] انفلاق الفلق وشبيه [illegible] فى الأفق

فى عصبة غر [illegible] سبق يخطرن فيها بقسى البندق

كل فتى فى قصده موفق كأنه من نفسه فى فيلق

مفرض فى [illegible] موثق [illegible] بطرف [illegible]

خوفاً عليها وهو عين المحنق [illegible]

وراح من نجيعه فى يلق

وله فى حمام [من مجزوء الرمل] :

أنت فى الحمام موفو ف على قلبي وسمعي

فتأملـــ تجـدها كونت من بعض طبعي

جرها من حر أنفا سى وفيض الماء دمعي

وله يصف ناعورة [من السريع] :

كم نعرت بالحى ناعورة حنينها كالبربط الناعر

فتارة تحسبها قينـــة تردد الزمر على الزامر

(١) المتئق : المملوء من كل شيء بما يناسبه

وتارة ثكلى جرى دمعها ... فى مستهل واكف ماطر

كأنما كيزانها أنجم ... دائرة فى فلك دائر

* . *

الحسن بن على الأسدى كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسى يطلب منه الكتاب الذى عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه من الخفيف :

قد بعثنا بمؤنس لك فى الوحـــشة خل يدعى كتاب الأنيس

فيه ما يشتهى الأديب من العـــلم . وفيـه جلاء هم النفوس

فيه ما شئت من بدور معان ... ضاحكات إلى وجوه شموس

والنفيس البهى ما زال يهدى ... كل حين إلى البهى النفيس

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالا ، من الخفيف :

قد قرأت الكتاب يا خل نفسى ... فهو فى مؤنس وأنت الأنيس

فهو تأليف ذى ذكاء وفهم ... وهو وقف على العلوم حبيس

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الإخشيدى من كرام الناس ، وكانت بينى وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيرا لحوائج التى تعرض إليه ، فاستخدم بوابا ، فحجبنى غير مرة ، فكتبت إليه من المنسرح :

يا علم المكرمات والسؤدد ... [illegible] أشكو بوابك الأسود

يبعدنى كلب دونه [illegible] ... حق كريم لوداده أن يبعد

فى كل [illegible] أتى بصنعته ... خالع [illegible] بسوء أنكد

[illegible] شئ بكل فاحشة ... عليه من كل مشهد يشهد

كلب يهر الضيوف إن طرقوا ... [illegible] الرحب كالأخ أعقد

أبعده وانف الخبيث عنك كما ... ينفى القذى عنه خالص العسجد

أولا . فلن تستطيع نظم ما عنك من المكرمات قد بدد
وما انتفاع الورى ببحر ندى تذاد عنه العطاش لا تورد

فما شعرت حتى جاءنى خادم له يقال له بشرى . وكان يحبه . والبواب الأسود معه . وقال لى : إن مولاى يقرأ عليك السلام . ويقول لك : قد عمنى ما جرى من البواب . وقد قرئ على الشعر . ولو كنت أحسن قوله لأجبتك . ولكنى قد أنفذته إليك . وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين مقرعة . ونحبسه . فشكرت له . وقلت لبشرى : قل له يا سيدى ما أحب أن تبلغ به إلى هذا كله . وسألت بشرى أن لا يضربه ، فقال : والله مالى إلى تركه من سبيل . وقد قال لى : سيقول لك لا تضربه وعلى لئن رددته إلى بلا ضرب لأضربنه بين يدى مائة مقرعة . قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً خفيفا . ولا تحبسه . فضربه بحضرتى ضرباً خفيفا . وانصرف به . ولا والله ما رأيته فى داره بعدها

أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل
ابن طباطبا الحسنى الرسى

أنشدنى له ابن وهب قوله [من المنسرح] :

يا بدر بادر إلى بالكأس فرب حين أتى على ياس
ولا تقبل يدى فإن فمى أولى بها من يدى ومن راسى
لا عاش فى الناس من يلوم على حبى وعشقى لأحسن الناس

وقوله [من البسيط] :

قل للذى حسنت منه خلائقه : يا كرصبوحك واسبق من تسابقه
أما ترى الغيم مجموعا ومفترقا يسير هذا إلى هذا يعانقه

كعاشق زار معشوقا يودعه قبيل الفراق فآلى لا يفارقه

وقوله [من البسيط] :

قالت:أراك خضبت الشيب،قلت لها: سترته عنك يا سمعى ويا بصرى

فاستضحكت ثم قالت من تعجبها : تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

وقوله من الخفيف :

عيرتنى بالنوم جوراً وظلما قلت : زدت الفؤاد هما وغما

اسمعى حجتى وإن كنت أدرى أن عذرى بكون عندك جرما

لم أنم لذة ولا نمت إلا طمعا فى خيالك أن ... لما

وقوله من الطويل :

خليـ...ـى . إنى ... ... وإنى على صرف الزمان لواجد !

أبقى جميعـا ... وهى سعه وأفقد من أحببته وهو واحد ؟

كذلك من ... حزنه ... ... عجبا ... ... ويشاهد

وقوله . وهو مما يتغنى به من البسيط

قالت لطيف خيال زارنى ومضى . ... فى هواه ولا ننقص ولا نزد[1]

فقال : أبصرته لو مات من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء ... ...

قالت : صدقت الوفا فى الحب عادته ... ذاك الذى قالت على كبدى

وقوله من المتقارب :

سأعتبها حتى ما ... ... أبدا ...

وسوف أجزيها بالصدود ومن ... السير للتحريم ؟ !

(١) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف فى الرواية .

ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرسي

أنشدني له ابن وهب [من الوافر] :

إذا الكروان صاح على الرمال وحل البدر في برج الكمال
وجعد وجه بركتنا هبوب تمر به الجنوب مع الشمال
وحركت الغصون فشابهتها قدود سقاتنا في كل حال
فهات الكأس مترعه ودعني أبادر لذتي قبل ارتحالي
فكل جماعة لا شك يوما يفرق بينهم صرف الليالي

وقوله [من المتقارب] :

إذا التحف الجو بالأدكن وغنى الحمائم بالأرعن[1]
وهب نسيم الصبا سحرة بريح البنفسج والسوسن
وحن إلى القصف ألافه فبادر إلى شيخك المنحني
فنفس من الخنق أوداجه وسق الندامى ولا تنسني

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل] :

توق معز الدين شؤم ابن كلس ولا تقبلن منه مقال مدلس
فإنا أردناه لكافور شربة فزاد على تقديرنا ألف مجلس

* * *

أخوه أبو إسمعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب] :

عرفت الديار على ما بها وأوقفت ركبي على بابها
وناديت فيها بأعلى النداء مراراً بأسماء أربابها

(١) كذا ، والأرعن : مكان بالبحرين ، ووقع في بعض الأصول « بالأرغن » بغين معجمة ، وهي أظهر ، والأرغن : من آلات الموسيقى

فلم أر فيها سوى بومها تصيح جهاراً بأترابها
فأعلمني ذاك أن الزما ن أخنى عليها وأودى بها

* *

ولده أبو عبدالله الحسين بن إبراهيم بن أحمد، رحمهما الله تعالى!

أنشدني له الزاهر من المجتث :

تم النسيم لذيذاً من قبل أن لا تشمه
واصرف عن القلب ما اسطعت بالمسرة همه
وغالط الدهر إن كنت لست تملك حكمه
وقد نصحتك جهدي فلا نصم وتكمه

وقوله ، من مجزوء الرمل :

صدفت عنا نوار ولقد كانت تزور
ثم قالت : كيف أودى ذلك الغصن النضير ؟
وشباب يتلألأ فيه نناظر نور
قلت : إن أنصفت هذا لابن خمسين كثير

*

أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله ، من السريع :

لنا أخ يحسن أن يحسنا حناه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه بأنها تنبت زهر الغنى
إذا تبدى وجه إحسانه تنزهت فيه عيون المنى

وقوله ، من الكامل :

الصبح ينشر فوق مسك الليل كافور الضياء

والبرق يذهب ما تفضضـــه الغيوم من السماء
فاشرب على ديباج بســت قد أحاط بشرب ماء
فالعيش فى زمن الربيـــع رقيق حاشية الرداء

وقوله من المتقارب :

وراح تنبه بأنفاسها على ما يفوح من العنبر
كأن زجاجاتها درة تشف عن الذهب الأحمر

وقوله [من البسيط] :

تاه الربيع بآذريونه وزها لما بدا منه نشر فى الربا أرج
كأن أغصانه فيروزج بهج من فوقه ذهب فى وسطه سبج

وقوله [من الكامل] :

اشرب على زهر البنفسج قهوة تنفى الأسى عن كل صب مكمد
فكأنه قرص بخد غريرة أو أعين زرق كحلن بإثمد

وقوله [من الطويل] :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة أغيد
إذا ميلتها الريح مالت كأكرة بدت ذهباً فى صولجان زمرد

وقوله [من الكامل] :

ومدامة يبدو إليك جنينها وعليه تاج لم يصغه صائغ
تخفى لفرط صفائها فكأنما إبريقنا الملآن منها فارغ

وقوله [من الكامل] :

إن كنت تعلم أن لى علماً بأسرار السرور
فاعمل بحسب وصيتى لك فى ملازمة البكور
ودع الصغير مكانه واعدل إلى جهة الكبير

ما بين ورد كالخدو   د وأقحوان كالثغور

وعليك بالذهب الذى   أجراه روباس العصير

ما زال يسبك بالذى   قد شب من نار الهجير

حتى صفا فكأنه   دمع الطليق على الأسير

ولقوله [من المنسرح] :

نحن أناس نوالنا حضل   يرتع فينا الرجاء والأمل

كل فتى ليس فى مودته   مذق . ولا فى خلاله خلل

لو أبصر البحر فيض أنملنا   فاض على وجهه فيضه الخجل

نسبق أموالنا مؤملنا   لا يعترينا مطل ولا بخل

تسمح قبل السؤال أنفسنا   بخلا على ماء وجه من يسل

أبو القاسم بن أبى المفير الأنصارى ، رحمه الله

أنشدت له [من الطويل] :

وروض كحسن العرف يسرى وبهجة   من الدهر فيها ما كانت بهجة الحمد

ريك عناق العاشقين عناقه   معا على بعد وجد على وجد

وعارضه المتنبى بحضرة كافور فى قصيدته اللامية التى أولها [من الكامل] :

لظ المحب إلى الحبيب عرام

فقال له : العرب لا تقول إليه عرام ، وإنما تقول لديه ، فقال له الأنصارى : تقول . إليه . ولديه . وله . وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض . والوزير أبو بكر بن صالح الروربارى حاضر . والوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات حاضر . فقال الأنصارى [من الكامل] :

أما الثناء فصادر بك وارد   باد بما نسدى إلى وعائد

لك يا أبا بكر إلى صنائع أيقظن أحوالى وجدى راقد
أوليتنى نعما متى أنكرتها شهدت على مواهب وفوائد
نعم أقر بها . وكم من نعمة يخفى المقر بها ويحظى الجاحد ؟
ولرب ليل قد هجرت رقاده لك والردى مغف وطرفى ساهد
أتحلل الكلم العوان تحللا فأغافص المعنى كأنى صائد
وقصائد لى فيك لولا أنها كلم شهدت بأنهن مشاهد
ولهن فى عين الولى شواهد تترى ، وفى عين العدو جلامد
لما رعيت مودتى وخلطتنى ببنى أبيك ظننت أنك والد
ولقد علمت . وأنت خير معلم ، أن الثناء على الليالى خالد
لما تعرض لى بمقت حاسدى أبدى الملام . وكيف يرضى الحاسد ؟
ما زال ينشد قائما حتى إذا أنشدت عارضنى لأنى قاعد
فى مجلس أما الوزير فنكب فيه يؤيده وأنت الساعد
ولى ولا أنا شاكر لسؤاله فيه ، ولا هو للإجابة حامد

أحمد بن محمد الكحال

أنشدنى له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبيذ [من الكامل

لو قد سألتك حسب قد رك ما رضيت بألف جره
ولقل ذاك لقدر من لا تحصر الأوصاف قدره
فابعث إلى بجرة وكفاف ما أبغيه جره
وتوخها كبر الجرا ر ، فرب وافية كزكره[1]
من رسم بسطام الذى أحيا بحسن الرسم ذكره

(١) الزكرة : زق الخمر

لا بوطسا يؤذي النديـــم . ولا مذاقته بمره

واعـــلم بأن محلها عندالضرورةمثل صره

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه من البسيط :

لا تتركن لغـــد مالا ولا سبدا فلست تقتل علماً هل تعيش غدا

خذ من زمانك ما جاد الزمان به فمن جنى بعض مايهوى فقد سعدا

أنت ابن وقتك فاحذر أن تضيعه فليس يرجع وقت فائت أبداً

وعند عبدك شيء إن نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا

راى طرى كقاب الفتر تحسبه ذوبا من الفضة البيضاء أو بردا(١)

كأن كفا عليه جرشت قطعا من اللجين صغار النظم أو زردا

كأن قاليه بالقلى ألبسه من الشقائق أثوابا له جددا

كأنه فى سعير القلى منقلبا صب تقلبه كف الهوى كمدا

كأن ياقوتة حمراء هللها صواغها ذهبا للحسن متحدا

كأنه كان فى نهر الحياة فما يكاد يسلم منه روحه الجسدا

وقهوة تذكر الأفلاك ساكنة مشمولة أفنت الأيام والمددا

يديرها قمر فى كفه قمر من الرحيق يزيل الهم والكمدا

فلا تضع سروراً جاء عن كثب تجزاً فتكتسب التوبيح والفندا

أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق له يستدعيه ارتجالا [من الهزج] :

لنا مسمعة حلوه ولون يفتق الشهوه

فبالبارع من مجد ك إن لم تجب الدعوه

---

(١) الراى : ضرب من السمك

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطا وكتب إليه [من البسيط] :

إنى بعثت سقطا غير محتشم ولم أجل فى الغنى فكرى ولا العدم
ولو بعثت سوادى ناظرى لما كانا كفاء لما تولى من النعم
فاقبله واجعله مما يستعان به فإنه خادم السكين والقلم

وقوله يصف النرجس [من المجتث] :

خواتم من لجين فصوصها كارباء
وليس تضحك إلا إذا بكتها السماء

وقوله [من الخفيف] :

منذ حل السواد زاد البياض واعتداءاته طوال عراض
وإذا ما طغى المشيب فلا المنـ ـقاش يقوى به ولا المقراض
وكثيرا أرى جساما صحاحا لأناس فيها قلوب مراض

وأهدى إلى الإخشيد خاتما . وكتب معه [من مجزوء المتقارب] :

وذى عنق لم يطل عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخنصر
وقد زاد فى صدره على الفرس المضمر
وأسفله فضة وأعلاه من جوهر
بعثت به معسرا إلى ملك موسر
ولا غرو أن يهدى الـ ـمقل إلى المكثر

وقوله [من الكامل] :

قد قلت إذ سار السفين بهم والشوق ينهب مهجتى نهبا
لو أن لى عزا أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوى

أنشدت قوله(١) - من الوافر :

إذا ما نلت من دنياك حظا   فأحسن للغنى وللفقير
ولا تمسك يديك على قليل   فإن الله يأتى بالكثير

وقوله ، من المنسرح :

خاطبت شمس النهار إذ بدت   وقلت ما أنت لى بمنصفة
إن التى أشبهتك مائلة   من بعد ذاك الوصال فدجفت
فعاتبيها فليس يقنعنى   ياشمس من شبهك الذى أتت
لما رأتنى على الوفاء لها   صدت وما أنصفت ولا وفت

* * *

أبو محمد بن أبى عمرو الطرازى

أنشدت له من مجزو الرجز

[illegible] حرت فى غديه [illegible] علا [illegible]
كأنها حشر وغى فرسانه من ذهب

وقوله يصف الفستق من مجزو الرجز .

وفستق رأيت [illegible] ضرة من الظرف
كأنه [illegible] بدا والراح فينا تختلف
زمرد [illegible] من خالص العاج الصدف

(١) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصورى ، منسوبين إلى أحمد
[illegible]

أبو الحسن على بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له من الخفيف :

رب صبح كطلعة الوصل جلى جنح ليل كطلعة الهجران
زار فى حلة البزاة فولى الـليل عنه فى حلة الغربان

وقوله من الطويل :

يوم كأن الروض حاط لضونه قراطق من وشى غلائلها الغدر
كأن صفاء الجو ناظر أزرق له الغيم جفن هدب أجفانه القطر
كأن أعالى السرو بين رياضه مطارف لفت فى مواكبها خضر

* * *

أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل] :

لا تصحب الدنيا كئيباً مكمدا من ذا رأيت من البرية خالدا ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنه فلقد حباك به الغمام وأسعدا
ورد كأن أصوله وفروعه سقيت دماً حتى ارتوى فتوردا
وشقائق شق القلوب كأنه خد مليح ضم صدغا أسودا
والماء يجرى فى الرياض كأنه سيف صقيل من قراب جردا
فاشرب عليه فإنه وقت إذا ولى تفاوت أن ينال فيوجدا

وله من المتقارب :

فلو زين الحسن فى وجهه بهجر الصدود ووصل الوصال
لتم وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعال

* * *

ابن الزيعى

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها من الرجز :

ياحسرة فى القلب ما أقتلها	كأنها فى القلب أطراف الأسل
فكم وكم من ليلة طيبة	أحييتها فى الدير فى خير محل
دير القصير الفرد فى صفاته	يامن رأى الجنة من غير عمل
أشربها راحا شمولا قرقفا	تدب فى الجسم فما تبقى علل
يديرها ذو غنج بطرفه	يحيى إذا شاء وإن شاء قتل
كأنه غصن من البان وقد	زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغ حتف النفس فى لثغته	تاه بها على الورى تيه مدل
إن قال بدر قال ناغ أو يقل	نور يقل نوغ بدل وغزل
فاستحث كؤوس الراح ياساقينا	واغتنم الدهر فللدهر دول
من قبل أن يطرقنا بين فلا	ينفع عند البين ليت ولعل

محمد بن عباس البصرى

المعروف بصاحب الراقونة

قال [من البسيط] :

لا تعذلونى فما أنى بمعذول	جسمى سقيم وأمرى غير مجهول
إن مل مولاى وصلى بعد ألفته	فإن مولاى عندى غير مملول
ملكت قلبى ولم تعطف على دنف	ما كل ذاك على قلبى بمعزول

وقوله [من الرجز] :

ياحامل الكأس أدرها واسقنى	قد ذعر الشوق فؤادى فانذعر
أما ترى البركة ما أحسنها	إذا تداعى الطير فيها وصفر

أما ترى نوارها أما ترى حسن مسير مائها إذا انحدر
كأنما الجوهر في ألوانه نثر في تلك النواحي فانتثر

وقوله من مجزوء الكامل :

أما طغان فقد طغى والطرف منه قد بغى
شهر السلاح بطرفه فتكاوما شهد الوغى
لولا مخافة عقرب في صدغه أن يلدغا
للثمت منه ممسكا ومصندلا ومصبغا

وقوله من الوافر :

أتاني في قميص اللاذ يسعى عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له لم استحليت هذا فقد أصبحت من زي عجيب ؟
فقال الشمس أهدت لي قميصا غريب اللون في شفق المغيب
فثوبي والمدام ولون خدي قريب من قريب من قريب

وقوله [من السريع] :

وشمعة ظلت أناجيها ببيت بكى وأبكيها
كأنما صفرتها صفرتي ومدمعي دمع مآقيها
أعارها قلبي من ناره فمثل ما فيه كذا فيها

* * *

أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طبيب [من المنسرح] :

إذا سقام عراك نازله فاندب أبا جعفر لنازله
يعرف ما يشتكيه صاحبه كأنما جال في مفاصله

أبو عبد الله بن العرمرم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز] :

شيخ وبرد وسمك ... لكل ما يخشى شرك
فهاتها صافية ... وضمن الكأس الدرك
ولا تبال بعدها ... من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل] :

وليتم أمر الخراج محمداً ... فغدا الخراج بغير جيم يكتب
إن كان من عدم الرجال دهيتم ... فالكلب فيكم عن قليل يخطب

وقوله في آخر [من الوافر] :

أردت لقاءه فلقيت منه ... كما يلقى الخلاء من الفقاح
وجانسني فلم أشعر بأني ... ولم أبعد جليس المستراح

أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشدين يستدعيه [من السريع] :

بالله يا صاحح قم مسرعا ... إلى عقار أدركت [illegible]
وساعد الليلة في شربها ... وخذ من السكر بها مصرعا
وقد بذلنا لك أرواحنا ... لما رأيناك لها موضعا

أبو الحسن بن أبي ياسر

قال [illegible] [من المتقارب] :

وسفاء من ندماء الملوك ... تزيد فينقص من قدره

اذا ضحكت جنح داجي الظلام بكت فجرى الدمع من نحرها
فإن نعست للكرى نعسة فإيقاظها القص من شعرها

* * *

محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب] :

ألا قل لعلوان كيف اجترأت على الأسد الباسل الخادر ؟[1]
وكيف أرقت دما دونه يراق دم الجحفل الثائر ؟
ترفق قليلا على مرفق به مرفق البدو والحاضر
فليس الحديد على ساعد ولكن من الدهر في الناظر

وقوله [من الخفيف] :

أسكر الخمر خمر ريقك حتى باتت الخمر من رضابك سكرى
فلهذا أراك تزداد صحوا وأراها عليك لا تتجرا

وقوله [من السريع] :

اشرب على الجيزة والمقس من قهوة صفراء كالورس[2]
وروح النفس بها إنما عيش الفتى في راحة النفس
وأنس بإخوان الصفا إنهم من أكبر النزهة والأنس
فلست تدري أيما ساعة تبيت تحت اللحد والرمس
والمرء لا يعرف في يومه يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع] :

أقول والليل دجى مسبل والأنجم الزهر به ميل

---

(١) الخادر : المقيم في أجمة
(٢) المقس : موضع على نيل مصر . والورس : الزعفران

يا طول ليل ماله آخر فيك وصبح ماله أول

وقوله [من السريع] :

اشرب ستنسى ويك مع من نسى من قهوة قوصية المغرس
فى قمر للربع من شهره كشقة من درهم أطلس

وقوله [من السريع] :

يا حادى اللذات عرس بنا ويا مدير الكأس قم فاسقنا
أما ترى شمس ضحى يومنا قد لبست مطرفها الأدكنا
والروض للوسمى فى حلة أذهبها من بعد مالونا

وقوله [من البسيط] :

اشرب شمولا على ريح الشمال فقد هبت شمالا ولاح الصبح فاتضحا
كأنها جنة فى الكف مائلة تبدو فيخفى ضيا أنوارها القدحا
كأن حاملها من خمر ريقته وافى بها أولها من حده اقتدحا

وقوله [من الوافر] :

وظبى زارنى من غير وعد نعمت بقربه أتم سعد
سقانى ثم نقلنى بلثم على محال ءحيانى بورد
وشمر ساعداً فيه وشوم فلبى مثلها من أجل صد
فكان كفضة سكبت عموداً عليه أسطر بالازورد

وقوله فى دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف] :

إن دير القصير هاج ادكارى نحو أيامى الحسان القصار
وزمانا مضى حميداً سريعاً وشباباً مثل الرداء المعار
عرفتنى ربوعه بعد نكر فعرفت الربوع بالإنكار
ولو أن الديار تشكو اشتياقا لشكت جفونى وبعد مزارى

ولكادت نحوى تسير لما قد كنت فيها سيرت من أشعارى
وكأنى إذ زرته بعد هجر لم يكن من منازلى ودياري
إذ صعودى على الجياد إليه وانحدارى فى المعقبات الجوارى
بصقور إلى الدماء سوار وكلاب على الوحوش ضوارى
منزلا لست محصياً ما لقلبي ولنفسي فيه من الأوطار
منزلا فى علوه كسماء والمصابيح حوله كالدرارى

ومنها :

غردت بينها الطيور فطارت بفؤاد المتيم المستطار
كم خلعت العذار فيه ولم أر ع مشيباً بمفرقى وعذارى
كم شربنا على التصاوير فيه بصغار محثوثة وكبار
صورة من مصور فيه ظلت فتنة للقلوب والأبصار
أطربتنا من غير شدو فأغنت عن سماع العيدان والمزمار
لا وحسن العينين والشفة اللم ياء منها وخدها الجلنارى
لا تخلفت عن مزارى ديرا هى فيه ولو نأى بي مزارى
فسقى الله أرض حلوان فالنخ ل فدير القصير صوب العشار
كم تنبهت من لذاذة نومى بنعير الرهبان فى الأسحار
والنواقيس صائحات تنادى حى يا نائما على الابتكار
قبل أن يبلى الجديد الجديدا ن بليل معاقب ونهار
إنما هذه الحياة عوار وعلى المستعير رد العوارى

وقوله [من الوافر] : ٠

أأيامى بشاطئ البركتين سقاك الله نوء المرزمين
لقد أذكرتنى طربى ولهوى ووكلت الفؤاد بلوعتين

ترى أيامنا فيك المواضى يعود وصالها من بعد بين
سقى الله البقاع ملث قطر وأعطش منزلا بالجلهتين
ودار على المدار رهام مزن تسير إلى حنان السروتين
فكم من بيعة عقدت بقصف وعزف فى رياض البيعتين
وكم من مدنف قد حاز وصلا ونال مناه وسط المنيتين

وقوله ، من البسيط :

اشرب بطموه من صفراء صافية ترى بخمر فراهيت وغايات
على رياض من النوار زاهره تجرى الجداول فيها بين جنات
منازلا كنت مفتونا بها يفعا وكن قدما مواخيرى وحاناتى
كأنما النيل فى مر النسيم بها مسبل فى دروع سابريات

أبو الفتح البستى الكاتب

أنشدنى له محمد بن عمر الزاهر بصف شمعه من أبيات من البسيط :

قد شابهتنى فى لون وفى قصف وفى نحول وفى دمع وفى سهر

هذا تشبيه حسنة جمسه وقد أحد عليه لجودة وقوله من الكامل

صحت السلاح شدة الحرب لمسنعات تشدد السكرب
حتى إذا نسوا سلاحهم وتشددوا لوقائع حرب
ناوأتهم فلى وقلت لهم : هذا المسىء فقطعوا على

وقوله من الطويل :

أئن صدع الدهر المشتت شملنا فللدهر حكم فى اجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامه وللشمس من بعد الغروب طلوع
وإن نعمة زالت عن الحب وانقضت فإن لها بعد الزوال رجوع

وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه فإن زوال الشر عنك سريع

وقوله ، من الكامل :

وغزالة غازلتها في المقس من أولاد حام

نظرت بعيني ظبية ونظرت من عيني قطام(١)

وتبسمت وكأنها برق تألق في غمام

ثم انثنت مثل المهى وتبعتها رتك النعام

حتى دخلنا بيتها فخصلت في البيت الحرام

فجعلت أفتح ميمها لما جثوت لها بلامي

وكأنني إذ ذاك أو لجت الضياء على الظلام

ضدان لم يجمعهما إلا المحبة للحرام

كانت لعمري عاهة جمعت غرابا مع حمام

أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال من السريع :

إن كنت يا قلب عزمت الهوى فاستخر الله إذا قبلا

ولا تكن يا قلب مثل الذي قدم رجلا وثنى رجلا

حتى تلاقي في الهوى أهله وقلما تلقى له أهلا

لا توردني مورداً كلما قطعت وحلا ألتقي وحلا

---

(١) قطام : امرأة من العرب يضرب بها المثل في صواب الرأي وحدة البصر ، ويقال : هي التي عناها النابغة الذبياني في قوله :

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد

عبد الله الصفرى

قال يصف الشيب [من الطويل] :

بدا الشيب فى رأسى فقالت تعجبا : لقد شبت من هجرى وأنت صغير
فقلت لها . لا غرو إن وصالكم يرد شباب المرء وهو كبير

أبو العباس الكندى

قال يصف الندى على البحر [من الطويل] :

كأن الندى فى البحر بحران مائع على مائع هذا على ذاك مطبق
فهذا لجين سائح مترقرق وذاك لجين فى السماء معلق
إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها له ساعة أبصرته يتمزق

وقوله [من المتقارب] :

عذارك المنقطع المسبل يقطع عذرى عند من يعذل
ووجهك المقبل إقبال من أنت على طلعته مقبل
لا عشت أن أعدمه فالذى يعدمه بعدم ما يأمل

وقوله يصف السحاب [من الرجز] :

سارية فى غسق الظلام دانية من قلل الآكام
جاءت مجىء الجحفل اللهام فافترقت كالإبل السوامى
كأنها والبرق ذا ابتسام كتيبة مذهبة الأعلام
دنت من الأرض بلا احتشام ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرت سائغ الإنعام وثروة تحكم فى الإعدام

أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال فى ولده وقد حم من الكامل :

أعزز عـــلى بى ما نلقى سدت على شكاتك الطرقا
قد كنت بالحمى أحق فليتنى ألقى من الحمى الذى تلقى

أبو العباس الزوقى

أنشدت له فى التيب | من المنسرح :

قد رابنى من شبيبتى ريب وقل من غرب صبوتى الشبب
وكان ثوب الشباب أحسن ملـــبوسا بهاء فأخلق الثوب
من عابنى بالمشيب قلت له صدقت فالشيب كله عيب
طلائع الشيب كلما طلعت شق عـلى مبت الصـ حب

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له | من الكامل :

هات هنور كـثرة الفرح واقدح زناد اللهو بالقـدح
وصل الغبوق اذا وصلت إلى الـــمسى . وإن أصحت فاصطبح
أ . د . ى الندما . سالك ما برد النسيم وغـى واقترح
صنع . . . . . . محمد ويسد عمرك غـير مصلح

أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبو بكر هذا من البصرة . وكان يشبه — فى حضور جوابه . وبيان خطابه . وحسن عبارته . وكثرة درايته — بأبى العيناء . وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوثة . وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول . فقال يوماً للمصريين : يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم . لا يقولون باتخاذ الولد حتى يقتنوا له العقد والعدد . فهم أبداً يعزبون . ولا يقولون باتخاذ العقار ، خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون بإظهار الغنى فى موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون .

ووقف يوماً بالجامع — وقد أخذت الحلق مآخذها — فقال : يا أهل مصر ، حيطان المقابر أنفع منكم يستند إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس . والبهائم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها .

وكان ابن حنزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيبويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض . فخرج سيبويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال . من عند هذا الزاهى بنفسه . المدل بعرسه . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد

وأخلى الحمام لمفلح . فجاء سيبويه ليدخل فمنع . وقيل له : الأمير مفلح داخل . فقال : لا أنقى الله مغسوله . ولا أسبغ سوله . ولا وقاه من العذاب مهوله وجلس حتى خرج من الحمام . فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلى فى قبله ، أو مبتلى فى دبره ، أو سلطان يخاف من شره . فأى الثلاثة أنت ؟

ومن شعره ، من الكامل :

عذر أخاك على رداءة خطه   واغفر رداءته لجودة ضبطه
فالخط ليس يراد من حسنه   وبيانه إلا إبانة ضبطه

فإذا أبان عن المعانى سمطه كانت ملاحته زيادة شرطه

*

أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له ، من الكامل :

غنت فأخفت صوتها فى عودها فكأنما الصونان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها أبداً ويتبعها اتباع ودود
أندى من النوار صبحاً صوتها وأرق من نشر الثنا المعهود
فكأنما الصوتان حين تمازجا ماء الغمامة وابنة العنقود

وقوله من الطويل :

سقى الله أحياء اللوى كلما سقى بضرب من المزن الكنهور هامل[1]
إذا نثرت ريح جمان سحابة غدا وهو حلى للرياض العواطل
به خفق برق ليس بين جوانح ووسواس رعد ليس بين مفاصل
إذا كاد در البرق يلبس نبته تلقاه در النور بين الخمائل

وقوله [من الكامل] :

يجرى النسيم على غلالة خده وأرق منه ما يمر عليه
ناولته المرآة ينظر وجهه فعكست فتنة ناظريه إليه

وقوله ، من الوافر :

صديق قد ندمت على اختيارى له لما تأمله اختبارى
يتم بسر مستودعيه سراً كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشايب ومن صافى الزجاج على عقار

---

(١) الكنهور بزنة سفرجل - المتراكم من السحاب، أو هو قطع منه كالجبال

وقوله [من الوافر] :

وذى حرص تراه يلم وفرا لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو فريسته لبأكلها سواه

وقوله [من السريع] :

لكل شىء فى الورى آفة وآفة المرء من الكبر
يحسب أن الكبر فخر له وليس غير العلم من فخر

أبو القاسم عبدالغفار المصرى

أنشدت له [من مجزوء الخفيف] :

إنما الفضل غرة فى وجوه المدائح
أريحى رياحه عبقات الروائح
كعبة الجود كفه بين غاد ورائح
إنما نصلح الأمو ر برأى ابن صالح

أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوى

أنشدنى ابن وهب له من مجزوء الرمل :

لم يطل ليلى ولكن سهرى كان طويلا
وكذا ليس يلذ النوم من كان عليلا
يا غزالا لم أجد عنه إلى الصبر سبيلا
هب لعينى سهرت فيك من الغمض قليلا

محمد بن جعفر الأنصارى الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع] :

قد طال منك المطل فى الوعد لى   وأنت فى مطلك لا تخطى(١)
لو كنت تعطى مال مصر وما   حوت من الدور على الشط
وما بدار الضرب من عسجد   لكان كفرا بالذى تعطى

أبو على تميم بن معد صاحب مصر

أنشدنى له على بن مأمون المصيصى [من الكامل] :

يا دهر ما أقساك من متلون   فى حالتيك وما أقلك منصفا
أتروح للنكس الجهول ممهدا   وعلى اللبيب الحر سيفا مرهفا ؟
فإذا صفوت كدرت شيمة باخل   وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن صفوت لأننى   أدرى بأنك لا تدوم على الصفا
زمن إذا أعطى استرد عطاءه   وإذا استقام بدا له فتحرفا
ما قام خيرك يا زمان بشره   أولى بنا ما قل منك وما كفى

وقوله [من الطويل] :

أيا دير مرحنا سقتك رعود   من الغيث تهمى مزنها وتجود
فكم واصلتنا من رباك أوانس   يطفن علينا بالمدامة غيد
وكم نابَ عن نور الضحى فيك مبسم   وناب عن الورد الجنى خدود
وماست على الكثبان قضبان فضة   فأثقلها من حملهن نهود
ليالى أغدو بين ثوبى صبابة   ولهو . وأيام الزمان سعود
وإذ لمتى لم يوقظ الشيب ليلها   وإذ أثرى فى الغانيات حميد

(١) ورد عجز هذا البيت فى نسخة من ا هكذا : وأنت فى مطلك لى تخطى *

وقوله ، من البسيط :

يا منتهى أملى لا تدن لى أجلى ولا تعدب ظنونى فيك بالظنن
إن كان وجهك وجها صيغ من قمر فإن قدك قد قد من غصن

وأنشدنى له من قصيدة أولها من الطويل :

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذب *

يقول فيها :

وبات ضجيعى منه أهيف ناعم وأدعج نشوان وألعس أشنب
كأن الدجى فى لون صدغيه طالع وشمس الضحى فى صحن خديه تغرب
وإنى لألقى كل خطب بمهجة يهون عليها منه ما يتصعب
وأستصحب الأهوال فى كل موطن ويمزج لى السم الدعاف فأشرب
فما الحر إلا من تدرع عزمه ولم يك إلا بالقنا يتنكب
وما لى أخاف الحادثات كأننى جهول بأن الموت ما منه مهرب
خليلى ما فى أكؤس الراح راحتى ولا فى المثانى لذتى حين نضرب
ولكننى للمدح أرتاح والعلا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفسى وهمتى يروح له فوق الكواكب موكب

وقوله ، من الطويل .

إذا حان من شمس النهار غروب تذكر مشتاق وحن حبيب
يرى عندهم علم وإن شطت النوى بأن لهم قلبى على رقيب
لهم كبدى دونى وقلبى ومهجتى ونفسى التى أدعى بها وأجيب
فآية حزنى لوعة وصبابة وعنوان شيبى زفرة ونحيب
وما يبلد الإنسان إلا الذى له سكن يشتاقه وحبيب

وقوله من الطويل :

أما والذى لا يملك الأمر غيره ومن هو بالسر المكتم أعلم

لئن كان كتمان المصائب مؤلما لإعلانها عندى أشد وآلم

وبى كل ما تشكو العيون أقله وإن كنت منه دائما أتبسم

وقوله ، وهو مما يتغنى به من البسيط :

قالت وقد نالها للبين أوجعه والبين صعب على الأحباب موقعه

اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت قواه عن حمل ما فيه وأضلعه

واعطف على المطايا ساعة فعسى من شت شمل الهوى بالبين يجمعه

كأنني يوم ولت حسرة وأسى غريق بحر يرى الشاطى ويمنعه

وقوله [من الطويل] :

وغضبى من الإدلال والتيه والهوى بلا غضب سكرى الجفون بلا سكر

كأن على لباتها رونق الضحى وفى حيث يهوى القرط منها سنا الفجر

ترى البدر مثل البدر فى صحن خدها وتفتر عن مثل الجمان من الثغر

وقوله [من السريع] .

أما ترى الرعد بكى فاشتكى والبرق قد أومض فاستضحكا

فاشرب على غيم كصبغ الدجا أضحك وجه الأرض لما بكى

وانظر لماء النيـــل فى مده كأنه صندل أو مســـكا

وقوله من المنسرح :

وليـــلة بتها على طرب آخرها مشبه لأولادها

أقبل البرق من ترائبها وألثم الشمس من محياها

سقتنى الراح وهى خداها بأكؤس السكر وهى عيناها

إذا أ[illegible] آخ[illegible] فاها

فيالها قهوة معتقة وليس إلا الخدود مأواها
حبابها الثغر حين يمزج لى ونقلها اللثم حين أسقاها
لله أيامنا التى سلفت بدار حزوى ما كان أحلاها
فالقصر من حيرة الملوك إلى أعلى رباها إلى مصلاها
إذ نجتنى اللهو من أصائلها والعز من فجرها ومغداها
إن عرضت لذة ملكناها أو صعبت خطة حويناها

وقوله [من الطويل] :

وصفراء لم تطبخ بنار شربتها على وجه معشوق السجايا مقرطق
كأن حباب الكأس من نظم ثغره وإشراقها من خده المتألق

وقوله [من المنسرح] :

لو صورت خلقها إرادتها ما قدرته كمثل ما قدرا
كالمسك نشرا ، والبرق مبتسما والغصن قدا ، والحقف مؤتزرا

وقوله [من السريع] :

شبهت بالبدر فاستضحكت وقابلت قولى بالنكر
وسفهت قولى وقالت : متى سمجت حتى صرت كالبدر ؟
والبدر لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا يبسم عن ثغر
ولا يميط المرط عن ناهد ولا يشد العقد فى نحر
من قاس بالبدر صفاتى فلا زال أسيرا فى يدى هجرى

وقوله [من البسيط] :

ناولتها شبه خديها مشعشعة صرفا كأن سناها ضوء مقباس
فقبلتها وقالت وهى ضاحكة وكيف تسقى خدود الناس للناس

قلت : اشربي إنها دمعي وحمرتها ... دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
قالت : إذا كنت من حبي بكيت دما ... فسقنيها على العينين والراس
يا ليلة بات فيها البدر معتنقي ... وبات الشمس فيها بعض جلاسي
وبت مستغنيا بالثغر عن قدحي ... وبالخدود عن التفاح والآس

وقوله [من الطويل] :

وما أم خشف ظل يوما وليلة ... بلقعة بيداء ظمآن صاديا
تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي ... مولهة حيرى تجوب الفيافيا
أضر بها حر الهجير فلم تجد ... لغلتها من بارد الماء شافيا
إذا نعدت عن خشفها انعطفت له ... فألفته ملهوفا إلى الجوع ظاميا
بأوجع مني يوم شدوا رحالهم ... ونادى منادى الحي أن لا تلاقيا

وقوله مفتخرا [من الكامل] :

ألقى الكمي فلا أخاف لقاءه ... ويفل إقدامي شبا الحدثان
وأكر في صدر الخميس معانقا ... للموت حين يفر كل جبان
ويزيدني كل الخطوب تعظما ... وتسلط الأيام عز مكان
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق ... ذرعا بأيامي وغدر زماني
وكما يمل الدهر من إعطائه ... فكذا ملالته من حرمان
وكما يكر لمعشر بسعادة ... فكذا يكر لمعشر بهوان
وإذا رماك بشدة فاصبر لها ... فلسوف يأتي بعدها بليان
وسل الليالي عن نفاذ عزيمتي ... وسل الحوادث عن ثبات جناني
يخبرك عني أنني لم ألقها ... بين العزائم واهن الأركان
أصبحت لا أشتاق إلا للندى ... إلفا ولا أهوى سوى الإحسان
وإذا السيوف قطعن كل ضريبة ... قطع السيوف القاطعات لساني

وقوله [من الخفيف] :

اسقيانی فلست أصغی لعذل ليس إلا محلة النفس شغلی
أأطيع العذول فی ضد ماأهـــوى كأنی اتهمت رأيی وعقلی
عللانی بها فقد أقبل الليـــل كلون الصدود من بعد وصل
وانجلى الغيم بعد ما أضحك الرو ض بكاء السحاب فيه بوبل
عن هلال كصولجان نضار فی سماء كأنها جام ذبل

أحسن فی هذا التشبيه ماشاء ! وقوله [من الطويل] :

إذا هب سلطان المريسی نافخا سحيرا وحل القر كل نقاب
ومد على الأفق الغمام ثيابه فقم فألقه فی عدة وحراب
بكن وكانون وكأس مدامة وكيس وكس وافر وكباب

وقوله [من الكامل] :

ورد الخدود أرق من ورد الرياض وأنعم
هـذا تنشقه الأنو ف وذا يقبله الفم
فإذا عدلت فأفضل الـــوردين ورد يلثم
هـذا يشم ولا يضم وذا يضم ويلثم

وأنشدنی المصيصی له [من المنسرح] :

وجنة من شفنی هواه ومن أفنيت فيه دموع ماقی
كأنما الصيرفی دنر ما يحمر منها ودرهم الباقی

وأنشدنی له أبو الحسن علی بن مأمون المصيصی من قصيدة مخمسة أولها
[من الهزج] :

دم العشاق مطلول ودين الحب مطول
وسيف اللحظ مسلول ومبدی الحب معزول
وإن لم يصغ للائم

إذا يظهر الحب ولم ينهتك الصب
ويفتى سره القلب بجملة ما ادعى كذب
فبح يا أيها الكاتم

وأحور ساهر الطرف يفوق جوامع الوصف
مليح الدل والظرف جنت ألحاظه حتفى
فمن تعدى على الظالم

أطاع جفونه السحر وذل لوجهه البدر
وماد بردفه الخصر وأشبه ثغره الدر
فقلب محبه هائم ؟

يعنفنى على حبى ويهجرنى بلا ذنب
كأنى لست بالصب لقهوة ريقه العذب
أما فى الحب من راحم ؟

غزال لحظه تبركه وبدر ثوبه فلكه
ولو انى كنت أمتلكه فأنهب ما حوت تكه
نهاب الطاهر الغانم

حذوا بدمى قنا القد وحسن تورد الخد
وليل الشعر الجعد وثقل الكفل النهد
وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفى الجور بالعدل
محب دائم الخبل سليب الصبر والعقل
كئيب مدنف هائم

بحسن الأعين النجل وعض الوقف والحجل

وذاك القصب الجدل وريق كجنا النحل
وتمر يطمع الشائم
سلوا الشمس التي طلعت علينا ثم ما أفلت
عسى ترثى لمن قتلت بعينيها وما علمت
فقد يستعطف العالم

أما والخرد الصفر شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الخمر لقد أضرمن في صدرى
غراما ليس بالنائم
وراح تبعث الطربا وتحيي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حببا تخال به عيون دبى
ودرا صفه الناظم
أما والجمرة الكبرى وزمزم والصفا ومنى
ومن لبي بها ودعا وطاف البيت ثم سعى
خميصا مخبتا صائم
لقد أضحى لنا خلفا نزار وابنى تمرفا
وأصبح خامس الخلفا وأحيا سعده السلفا
وأضحى المهدى قائم
سمى في المجد عنصره وطال النجم مفخره
وفاق البدر منظره فصرف الدهر يحذره
أبى ابن حسام

وقوله في الراى [من الوافر] :

كأن الراى حين أتى طريا ... بأدبار كأنجم العيوق
ملسقبات لون ألطاف ... أسفلها نقاء من رحيق

محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبدالرحمن المرواني

من شعره [من الطويل] :

وما كان من عطف على حدبتها ... ولكن لتعذيب الفؤاد المعذب
حديث لو استنشقت به الصخر جادها ... بأعذب من صوب الغمام وأطيب

وقوله [من مخلع البسيط] :

راجعه شوقه لحينا ... وشفه نجوده فأنا
وسال من دمعه مصون ... أظهر ما كان مستكنا
فعاد فيه الهوى يقينا ... وكان عند الرقيب ظنا
لو كان يلقى الذى تلاقى ... أوسعه رحمة ومنا

وقوله [من الخفيف] :

بين أجفانها وبين ضلوعي ... نازعتني الحياة أيدى المنون
لست أدرى أعن مدى طرفها الفا ... تن موتى أم طرفي المفتون

وقوله [من الخفيف] :

قد رضيت الهوى لنفسي خلا ... ورأيت الممات في الحب سهلا
وتذللت للحبيب وعز الـ ... صب في سنة الهوى أن يذلا

(١) الراى : ضرب من السمك

بأبى من أحل قتلى عمدا وهنيئا لسيدى ما استحلا
سوف أجزى الحبيب بالصد ودا مستجدا وبالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد نيها وعجباً ردت نفسى له خضوعا وذلا

وقوله [من الخفيف] :

غير مستنكر همول دموعى فى التصابى وغير بدع حشوعى
ليس عزى إلا فناء عزائى وسنائى إلا نقاء خضوعى
وبحسبي أنى ألاقى عذولى باصطبار عاص ودمع مطيع

وقوله [الطويل] :

أعد نظراً واستوقف الطرف منعماً تجد كلفا صبا بحبك مغرما
سرى الحب فى أخلاقه فأرقها وعلمه أحكامه فتعلما
ولست تراه سائلا منك عطفة حذارا من التقبيل إلا توهما
فإن حدت لاقته الحياة كريمه وإن لم تجد لاقى الحمام مقدما

وقوله من الطويل :

تأن وعدى وصلها وعد عاتب تجاحدنى وعدى وينكرنى حقى
فأفضل نوء الغيث فى الأرض دافق وأبلغه ما جاء بالرعد والبرق
ثنى عنى فضل إنجاز موعد فإن الحيا الممنوع أشهى إلى الخلق
فلا كان لى فى الأرض رزق أناله إذا لم يكن فى نيل موعدها رزقى

وقوله [من الخفيف] :

ياربيعى ما كان ضرك لوجد ت علينا كما يجود الربيع
ورده ذاهب ووردك باق وهو مبذول وأنت ممنوع
كن شفيعى إليك ياحسنه الخا لد مالى غير الخضوع شفيع

وقوله من الخفيف

كم تصاب أردته مصب فصطاح وصله اغتباق

وكؤوس عاطيتها بدر تم جل أن يعتريه نقص المحاق
وغصون جنيت منها ثمارا لم يشنها تساقط الأوراق
زمن لو بكيته حسب وجدى كنت أبكيه من دم الأحداق

وقوله [من الطويل] :

ومختطف للعين بت أشيمه مجالسة والليل حيران مطرق
سرى يخبط الظلماء حتى كأنه بوجدى يسرى أو بقلبي يخفق

وقوله [من الطويل] :

تبدت بأكناف الحجاز ديارها فأوقد نار الوجد فى القلب نارها
كأن بأنفاسى استمد ضرامها وعن كبدى الحرى تلظى استعارها
يحن إليها القلب حتى كأنما إليه تناهيها ومنه انتشارها

وقوله [من الطويل] :

ولما حمى الشوق المبرح ناظرى كراه حذارا أن يرينى مثاله
شربت عقارا أذكرتنى بريقه وأهدت كرى أهدى إلى خياله
فهل هى إلا نعمة مسترقة أنالت يدى ما لم أؤمل نواله

حبيب بن أحمد الأندلسى

قال [من الخفيف] :

ودعتنى بزفرة واعتناق ثم نادت متى يكون التلاقى
وتصدت فأشرق الصبح منها بين تلك الجيوب والأطواق
يا سقيم الجفون من غير سقم بين عينيك مصرع العشاق
إن يوم الفراق أقطع يوم ليتنى مت قبل يوم الفراق

وله [من الرمل] :

هيج البين دواعي سقمي وكسا جسمي ثوب الألم
أيها البين أقلني مرة فإذا عدت فقد حل دمي
يا خلي الروع نم في غبطة إن من فارقته لم ينم
ولقد هاج لقلبي سقما حب من لو شاء داوى سقمي

وقوله [من الخفيف] :

وجنة كالربيع جاد عليها من حياء لا من حيا وسمى
ووجوه قلبتها كالدنانيـــر ومثلي لمثلها صيرفى
تتهادى الرياح منها نسيما شابه عنبر ومسك ذكى

وقوله [من الطويل] :

ألا بأبي من قلبه غير مشفق على ، ولى قلب عليـه شفيق
وإنى لأبدى للوشاة تبسما وإنسان عينى فى الدموع غريق
وكم شافهتنى للصبا أريحية ومازج ريقى الأحبة ريق

تم — بحمد الله تعالى وحسن توفيقه — مراجعة الجزء الأول من كتاب «يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر » لأبى منصور الثعالبى ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى مفتتحا بترجمة الوزير أبى مروان عبد الملك بن جهور ، نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله